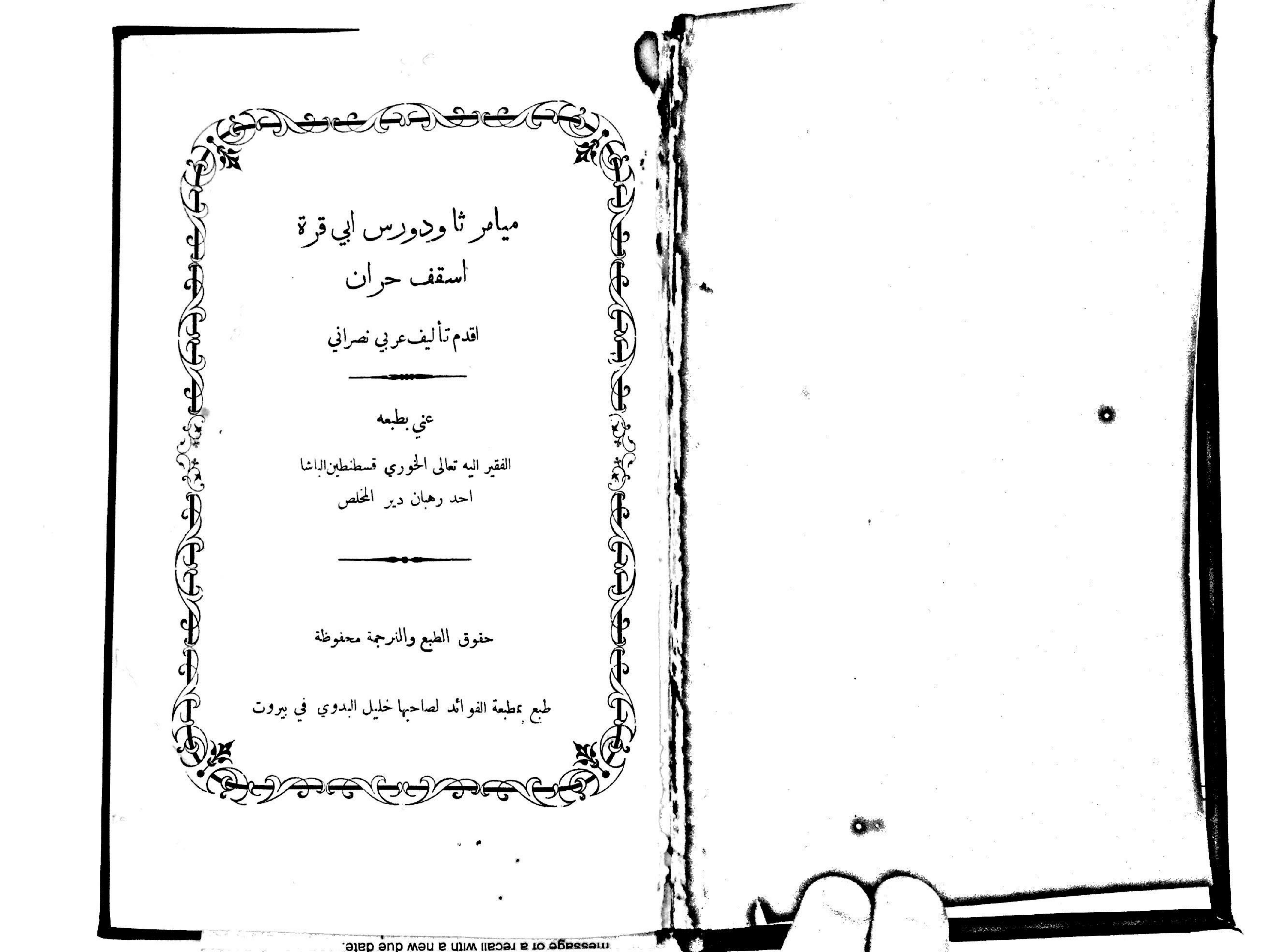


كتاب دفع الهم



ميامر ثاودورس ابي قرة
اسقف حران

اقدم تأليف عربي نصراني

عني بطبعه

الفقير اليه تعالى الخوري قسطنطين الباشا
احد رهبان دير المخلص

طبع بمطبعة الفوائد لصاحبها خليل البدوي في بيروت

توطئة

* تعريف المؤلف * ان ثاودوروس ابي قرة (ويروى ابوقارة) مقاماً رفيعاً بين اللاهوتيين فيعتبرونه كاعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنفات الجدلية والابحاث الدينية بحيث تراهم يتخذونه كحجة في تفنيد مزاعم المبتدعين . ومع ما لهذا الكاتب من رفيع الشان لا نكاد نعرف شيئاً من ترجمته والمرجح انه عاش في اواخر القرن الثامن للمسيح وفي اوائل التاسع وانه عرف القديس يوحنا الدمشقي بل تتلمذ له . ومما لا ريب فيه ان ثاودوروس تأثر اعقاب ذلك القديس العظيم والكاتب البارع وجاراه في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمنوثليتية وغيرها ردّ عليها بالبراهين العقلية والادلّة الوضعية. وربما جعل تفنيده على طريقة المباحثة والمحاورة بين الارثذكسي والمبتدع فيكون الجواب ارسخ في العقول . ويؤيدّ قولنا في زمن ابي قرّة انه املى بعض مقالاته على توما اسقف اورشليم الذي عاش في اواخر القرن الثامن وكان جالساً على كرسيّ اورشليم سنة ٨٠٧ . وعمر ابو قرّة الى عهد المأمون الذي تولّى الامر من سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ مسيحية والدليل على ذلك ان في مكتبة باريس وغيرها نسخاً من جدال ديني جرى له في حضرة المأمون

ومما يستفاد من مقدمة كتاباته انه كان اسقفاً على حرّان المدينة الشهيرة المجاورة للرّها . وقد نكر البعض ذلك وقالوا انه كان اسقفاً على « قارة » وهي مدينة في فلسطين في عبر الاردن وقيل انّ قارة هذه هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق لان حران لم يكن فيها من النصارى ما يقتضي اقامة اسقف ولم يعرف لها اسقف في التاريخ وقد كان اهلها على دين الصابئة الى زمان الدولة العباسية بخلاف قارة هذه فانها كانت ذا اهمية باسقفيتها الى زمان البطرك مكاريوس الحلبي وهذا يوافق ما يقال عن ابي قرة انه تتلمذ ليوحنا الدمشقي ويناسب ما ورد في مقالته الثالثة باليونانية التي تضمن محاورته مع رجل حمصي. غير ان هذه الحجج لا تقنع التحقيق

الثاني عند وجود النص الصريح في صدر تآليفه باليونانية والعربية انه اسقف حران ولعله دعي ابي رة او ابي قارة نسبة الى مكان مولده بقرب دمشق حيث تقرب الى الدمشقي وتتلمذ له ثم صار اسقفاً بعد ذلك على الرها وحران التي كانت تابعة لمطرانيتها وبذلك تيسر له ان يتقرّب الى المأمون العباسي . ولعله يكون نفس القديس ثاودوروس الذي من سيق القديس سابا الذي صار اسقفاً على الرها وكان مقرّباً الى المامون حتى نصره بعد ان شفاه من مرض اعيا الاطباء شفاؤه والله اعلم بالصواب

ومن الاوهام الشائعة في حق ثاودوروس ابي قرة انه كان اسقفاً على بلاد كارية من اعمال ثراقية . والصواب ان ثاودوروس اسقف كارية كان بعد ثاودوروس ابي قرة بنحو مئة سنة وعاش على عهد فوتيوس بطريرك القسطنطينية وناقضه في عصيانه على الكرسي الرسولي

اما تآليف ثاودوروس ابي قرة التي كانت معروفة سابقاً فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوّلة أدرجت في اعمال الاباء اليونان لمين في المجلد الـ ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ الى ١٦١٠ واول من نشر هذه الاثار الجليلة الاب اليسوعي الشهير يعقوب غرتسار وترجمها الى اللاتينية الابوان توريانوس اليسوعي وجنبرد البندكتيّ

ولم يتفق الكتبة على اللغة التي صنف بها ثاودوروس ابو قرة تآليفه أهي اليونانية ام العربية. والراي الارجح عندهم انه كتبها العربية ثم نقلت الى اليونانية قياساً علي ما جاء في مقدمة مقالته الرابعة حيث يقال انه املاها بالعربية وترجمها الى اليونانية الكاهن ميخائيل قيم كنيسة اورشليم . وبناء عليه فتكون تاليفه من اقدم الاثار النصرانية في اللغة العربية . الا انه لم يكن يعرف من تاليفه سوى ما يوجد منها باليونانية في مكتبة الاباء اليونانيين وليس فيها ما يدل على الترجمة الا المقالة المذكورة . الا انه لا مشاحة بانه كان عارفاً حق المعرفة باليونانية كما يظهر من تاليفه اليونانية والعربية وسعة علمه بعلوم اليونان . ولذلك عدّ علماء اوروبا هذه المجموعة اكتشافاً عظيماً ولاسيما لان ليس لها اثر في تأليف ابي قرة اليونانية .

رغير انه يصرّح في هذه المجموعة نفسها انه كتب بالسريانية الامر الذى لم يكن يعرفه العلماء من قبل . ونحن ننبّه هنا بطيبة نفس تبرئة لنا من التهمة باننا ننكر بالاطلاق استعمال السريانية عند الملكيين وانما ننكر تغلبها عندهم في سوريا لا في حران ولا عند بعض الكتاب او بعض البلاد الداخلية التي لم يدخل اليها تمدن اليونان .

واري ان النسخة التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية (المجلد الثاني ص ٢٩٢ في الحاشية) وقال اطلعه عليها في صيداء المطران افتيميوس الصيفي هي النسخة الاصلية التي نقلت عنها هذه النسخة لانها لم تنقل الا بعد موت المطران المذكور

تعريف الكتاب وناسخه

هذه الطبعة عن كتاب مخطوط وجدته في مكتبة دير المخلص وقد علق عليه ناسخه قبل الميمر الاخير ما حرفه . « حاشية لكاتبه المطران باسيليوس . اعلم ان هذه نسخة ثانية من النسخة التي في دير مار سابا السيق بقرب اورشليم التي هي النسخة الاصلية للكتاب التي كتبت عليها هذه النسخة » . ثم . « وكان كتابته في شهر حزيران سنة ١٧٣٥ وذلك في دير المخلص من معاملة صيدا في جبل الدروز »

وجاء في آخر الكتاب . « وكان النجاز من نساخة هذه الميامر نهار الاثنين الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٨٣٥ لتجسد المسيح ربنا » ثم « كتب بيد الحقير المطران باسيليوس فينان عن كتاب نسخته قديمة منسوخة عن النسخة الاصلية التي في دير مار سابا السيق بمعاملة القدس الشريف . ولذلك لما وجدنا فيه بعض كلمات ممحية من عتقه ابقينا موضعها بياضاً لعلنا نجد له نسخة صحيحة كاملة فنكتب ما نقص وبالله التوفيق. وايضاً تاريخ النسخة التي نقلنا عنها هذا الكتاب سنة ٦٥٥٩ لابينا آدم (١٠٥١ للمسيح) وهو تعليق الراهب اغابي في دير مار الياس في جبل اللكام فيكون لها يوم نسخنا هذا الكتاب عنها ٦٨٤ » والظاهر ان نسخة دير القديس سابا التي نقلت

عنها نسخة دير مار الياس قبل هذا التاريخ . ومن ثم يعرف ان هذا الكتاب من الكتب القديمة العهد النادرة بالعربية بل من اقدمها عهداً عند كتاب النصارى وخصوصاً الملكيين . واهمّ من ذلك سلامته من التحريف لعدم تداوله بايدي النساخ . ولا حاجة الى التنبيه الى قوة براهينه الوضعية والعقلية وغزارة مادّته ووضوح حجته وصحة قياساته وسلامة عقيدته ورشاقة اساليبه العربية ومتانة تراكيبه ومما يزيد في قيمة الكتاب قدراً عدم وجود نسخة ثانية منه بالعربية او غيرها حتى يصحّ ان يقال فيه انه جليل فريد

وقد وجدت نسخة من المحاورة التي جرت بحضرة المأمون بين ابي قرة وبعض العلماء من العراق والشام لكنها ناقصة من اولها وفيها اغلاط كثيرة ادخلها النساخ لكثرة تداول الايدي بها . وفي مكتبة باريس يوجد منها اكثر من نسخة لا يسع الحال ان تنشر هنا

كذلك وجدت نسخة من الميمر الثالث في مجموعة قديمة العهد ترتقي الى القرن الخامس والعشر في مكتبتنا في دير المخلص لكنه ناقص من اوله اشار اليه جامعه بقوله . « من قول ثاودورس اسقف حران المعروف بابي قارة » قابلته على نسختي فلم اجد فرقاً

ثم وجدت في مجموعة للمطران افتيميوس الصيفي رسالة كتبها بخط يده المباركة يدعو بها الاساقفة الشرقيين الى الاتحاد بايمان واحد وترك الانشقاق قسماً كبيراً من الميمر الاخير يستشهد به على عدم صحة دعوى الذين ينتحلون النصرانية ظاهراً وهم لا يدينون باطناً بحقيقة دين المسيح اذ يخالفون الخلكيدونيين اي الملكيين قابلته على نسختي هذه فلم اجد فرقاً

واما الناسخ فقد وجدت عنه في سجل رهبانيتنا الباسيلية المخلصية في كلامه على تلاميذ المطران افتيميوس الصيفي الذي انشأ ديرنا ورهبانيتنا ما يأتي . « الثاني والعشرون الخوري ميخائيل فيتان من يافا نذر الرهبنة وارتسم كاهناً من يد معلمه

المطران المذكور سنة ١٧١٧ ثم ارتسم مطراناً على كرسي بانياس من يد ابرهيم ورتبت بطرك الارمن الكاثوليك والمطران الياس الماروني والمطران نعمة اسقف بيروت الروم (١ بامر الامير حيدر شهاب ودعي باسيليوس وذلك اول سنة ١٧٢٤ وتسلم رعية الجبل (لبنان) وبر صيدا عدا المدينة لانها بقيت الى المطران اغناطيوس المرتسم من البطريرك اثناسيوس المشاق . واذ شكك المطران باسيليوس في رسامته فيما بعد عرض ذلك الى رومية فاتاه الجواب بصحة واجازة رسامته مع البركة . وقد خدم الرعية بكل حرية وكان رجلاً شهماً بطلاً وماهراً في صناعة الموسيقى اليونانية اي البسلطيكا . وربى ثلاثة تلاميذ ماهرين بها وهم القس يواكيم ربع مدّ من قرية برته والقس نعمة فرحات منها والقس يوسف فرحات من مزرعة دير المخلص (ارتسم اسقفاً على زحلة من البطريرك ثاوضوسيوس الدهان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٣) وتوفي اي المطران باسيليوس في دير المخلص ودفن في هيكل القديس انطونيوس البدواني امام المذبح تحت الدرجة التي يقف عليها الكاهن وتمّ القداس في ١٣ شباط سنة ١٧٧٢

ويؤخذ منه في غير هذا المحل انه ذهب الى رومية مع القس سرافيم طاناس موفداً من البطريرك كيرلس الحلبي سنة ١٢١٥ وارسل معهما صورة ايمانه . وانه كان من الاساقفة الوطنيين الذين انتخبوا للبطريركية الانطاكية القس سرافيم طاناس

---

١) وسبب ذلك ان البطريرك اثناسيوس الدباس كان قد رجع في ذلك العهد من القسطنطينية عن معتقده الكاثوليكي الذي كان قد اعلنه مراراً فلم يرد ان يقبل منه الرسامة وفضل عليه الاساقفة المذكورين من الطوائف والطقوس المختلفة وهذا الذي جعله بعد ذلك في شك من رسامته

ورسموه (١ في دمشق في الكنيسة المريمية في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ قبل ان رسم البطريرك القسطنطيني في ٢٨ في القسطنطينية الشماس سلفسترس القبرصي الاجنبي وارسله الى دمشق بطريركاً بل قل اجيراً ودخيلاً . وكان مقيماً في دير المخلص مؤازراً للبطريرك المذكور في ادارة شؤون الطائفة . وكان هو الراسم للرهبان . وكان في عدد الاساقفة الذين كانوا في مجمع دير المخلص الاول الذي عقده البطريرك المذكور في شان اتحاد الرهبانية المخلصية والشويرية سنة ١٧٣١ وكان كذلك في المجمع الثاني الذي عقده البطريرك المذكور سنة ١٧٥١

---

١) من هنا يعلم ان سرافيم طاناس كان قساً لما انتخب للبطريركية لا مطراناً كما روى ذلك القس مخائيل بريك في حكاية خرافية عن رسامته مطراناً لقيسارية الكبادوك.

باسم الاب والابن والروح القدس امين

ميمر يحقق للانسان حرية ثابتة من الله في خليقته وان حرية الانسان لا يدخل عليها القهر من وجه من الوجوه بتة وضعه المعلم كير ثاودورس اسقف حران

لا تصفو لذّة الخطيئة لعامل الخطيئة وان تهيأت له بلا آفة تكدّرها عليه ما دامت نفسه تستقبح الخطيئة وتعاتبه عليها . من اجل ذلك العقل الانسي اذا استرخى للشهوة واعجبه ان يتمتع بها بلا انقباض فانه لا همة له الا ان يكف عنه عتاب النفس اما بتجميل الشهوة وتصييرها حلالاً عنده . واما ان يتعلل عللاً في الخطايا كما قال نبي الله داود (مز ١٤ : ٤) ويلهم نفسه ويقنعها وان ابت انه مقهور على اتباع الشهوة وان كان اتباعها قبيحاً . فالمجمل عند نفسه الشهوة من هذين من قد اتخذ لنفسه المعلمين بدغدغة مسامعه كما قال مار بولس (٢ تيم ٤ : ٣) وصدّق ممن ادّعى الوحي والرسالة من الله او من اشترع ناموساً يوافق الشهوة او من صار ناموساً لنفسه باعتقاده ما استحسنه بعمى قلبه وميل هواه وخلع العذار به من كل ناموس نسب الى الله وتعامى عن معرفة الله ولزم الجحود . والمتعلل عللاً في الخطيئة ويقول انه مقهور على اتباع شهوته وان كان اتباعها قبيحاً هو احد اثنين . اما الذي يزعم انه لا حرية له ويقول انه مجبور من خالقه على ان يصنع ما هو صانع من خير او شر . واما الذي يقول ان الله خلق له الحرية غير انه قد دخل على حريته القهر من سبب وجبرت ان تصنع ما هي صانعة من خير وشر

فنحن ليس غايتنا في ميمرنا هذا لا ان نحقق الانجيل انه هو الناموس الحق التام من بين كل ما نسب الى الله . ولا ان نقرر اهل الجحود بالحق . لاننا قد فعلنا ذلك في موضع غير هذا . وانما غايتنا ان نثبت ان الحرية في صبغة الانسان . وان القهر لا يدخل عليها من سبب حتى تذعن لذلك السبب طوعاً فهلم حتى نحاور كل واحد بما نقوده به الى قولنا هذا

اخبرني ايها الزاعم ان الانسان مجبور على ما هو عامل من خير او شر اتزعم ان الله عدل ولسنا نشك انك تقول نعم . فنقول لك : ان من العدل ان ينزل العادل من نفسه الاشياء المستوية بالسواء في حال استوائها . فاخبرني ان كان الانسان كما تزعم مجبور على ما هو صانع . وكان غيره من الحيوان كذلك فكيف استحسن الله بعدله ان يأمر الانسان وينهاه ويعد له ثواباً على طاعته وعقاباً على معصيته ولم يفعل ذلك بسائر الحيوان ؟ فلو نرى الله بقدر قولك ازل عند نفسه الاشياء المستوية بالسواء في حال استوائها وهذا فقد يقصيه عن العدل وحاشا له . وكيف يستقيم ان يكون الله يفرض على الانسان مالا يطيق ولا به اليه سبيل ثم يعذبه ان لم يفعله ؟ ما هذا الا كمن يقول للحمار ياحمار طر محلقاً في الجو كما يطير العقاب واذا لم يفعل ذلك ضربه . وحاشا لله ان يكلف نفساً الا وسعها

وان قلت ان الله عدل وان فعل ذلك . قلنا لك ان الله عدل وهو لا يفعل ذلك لعدله . وان قلت انه مسلط ان يصنع بخلقه ما شاء فقد لعمري خلق الخلد اعمى وجعل مسكنه في التراب وخلق العقاب طامح البصر وجعله يتنعم بصفاوة الجو . قلنا لك : ان الله مسلط على خلقه وانه قد صنع بالخلد والعقاب

ما ذكرت . غير انه لم يصنع بالخلد ما قد صنع به لامر كان امره به فعصاه فيه ولا بالعقاب لشيء كان اوعز به اليه فاطاعه فيه . بل صنع بخلقه ما راى بحكمته كما قال مار بولس ان صانع الفخار مسلط على طينته ان يجعل منها آنية للكرامة وآنية للهوان (رو ٩ : ٢١)

وان قلت : ان الله انما امر الناس ونهاهم ليأخذ عليهم الحجة اذا هو عذبهم . قلنا لك : ان هذه ليست بحجة لان الحجة انما تقع في توبيخ العدل على من يستحق ان تلزمه الحجة في قبيح صنعه كان قادراً الا يصنعه او في جميل يتركه كان قادراً ان يعمله . فليس الخلد تلزمه حجة من العدل في هذا الوجه كان يستحق لها ان يخلق كما قد خلق . الا انه لو كان ينطق لقال لله : انك مسلط اذ خلقتني كما قد خلقتني كذلك الانسان الذي يعذب لا يلزمه حجة من العدل يستحق لها ان يعذب اذ كان مجبولاً (كقولك) لا استطاعة له ان ينقبض وان ينبسط . غير انه يقول لله ان فعل ذلك به : انك مسلط ان تعذبني . اذاً ما كان الله ليأمر العباد وينهاهم ليتخذ عليهم الحجة اذ جبلهم على ان يعملوا ما هم عاملوه . ولا كان للعباد عند الله هذا الخطر . ولا يتجنى عليهم العلل من غير سبيلها في امر يريد ان يفعله بهم بل كان يتناولهم بما شاء . ولم يكن لاحد منهم ان يسأله عما يفعل اذ كان تقدم عليهم بقدرته كقولك . فعلى كل حال الجبل والامر والنهي لا يجتمعان ابداً . اما ان تجحد ايها القائل بالجبل كل ما قد جاء من عند الله من الامر والنهي اذ تقول بالجبل . واما ان تقر ان الله امر العباد ونهاهم اذ تبطل الجبل وتقول بالحرية لا محالة

وانت ايها الجاحد ان تعاميت عن معرفة الله فانه لا بد من الاقرار بان

الحريّة في صبغة الانسان اذ نرى الناس كلهم من يدين منهم ومن لا يدين يأمرون وينهون ويثابون ويعاقبون . فلعمري انه ليس من ملك الا وهو في اجناده ومقاتلته اعداءه من المكاره على ما لا تسلس به النفس طوعاً فمن حمل منهم على تلك المكاره شرف عند الملك . ومن عجز على تلك المكاره عاقبه الملك واقصاه عن جنده والحقه بالسوقة . ولم يكن الناس كافة يجتمعون على هذا الا والصبغة الانسية تناديهم بسكوتها او تخبر ان فيها استطاعة حرية تحمل النفس (والبدن يقهرها) على ما احبت مما وافقها او كرهها . ولذلك رتبت القضاة بالدنيا كلها عند كل امة تدين او لا تدين وصارت كل امة لا بد ان تكون لها شريعة مفترضة من الله او منفعلة من تلك الامة

واما من زعم ان الله خلق الحرية في الانسان وان قهراً يدخل عليها بغير مشيئتها . فليعلم انه قد ادخل على الله في قوله هذا سماجة كثيرة في وجوه شتى لان القهر انما يدخل على الحرية اما من الله نفسه واما من غير الله . فان كان من الله نفسه يدخل القهر على الحرية فليس يعدو الله ان يكون احد ثلاثة . اما ان يكون خالق الحرية جاهلاً بما تصير اليه فلما علم انها تصير الى ما يكره ادخل القهر عليها . واما ان يكون خالق الحرية جوداً ثم اعتراه البخل فبدا له فيها وادخل القهر عليها . او يكون انما كان خلقها يريد بها شراً ثم ارعوى فندم على ما كان منه وابطل الحرية . وهذا كله اسمج ما يكون ان يقال على الله جل وتبارك . فلعمري ما يجهل الله شيئاً يصنعه ولا يبدو له في جوده ولا يريد شراً بامر يكون منه

وان كان هذا القهر الذي يدخل على الحرية هو من غير الله فلا بد ان

يكون القاهر للحريّة اما من خلق الله واما من غير خلق الله . فان كان من خلق الله فانه قد كان يحق على الله اذ خلق الحريّة اما لا يخلق شيئاً يقدر ان يقهرها . واما ان كان خلق هذا الشي لامر اخر اراده ان يحول بينه وبين الحريّة حتى لا يصل اليها ابداً ليتم ما قد خلق ولا يكون هو الناقض على نفسه .

وان كان الذي قهر الحرية ليس من خلق فهو ضد له لا محالة . اذ قد اقدم على صنعته فافسدها بغير اذنه . وقد لجأ صاحب هذا القول الى مثل قول ماني الاحمق الذي يدخل كونين طيباً او شريراً . ويزعم ان النفس الحرية من الكون الشرير . ويقول ان الجسد قد غلب على النفس وقهرها لان الشيطان الذي هو قيّم الشر سبى الانفس من الله الذي هو قيم الخير فحبسها في الاجساد . فنقول لك يا ماني ان كان الجسد غالباً على النفس يقهرها كقولك فان النفس لا تقدر ان تمتنع عن الشر ان تعمله ما دامت في الجسد . وانت حيث جئت تأمر الانفس بالخير وتنهاها عن الشر قد كان ينبغي لك بدل هذا ان تستجيش من الطيب فتخلص الانفس من الجسد وهي تكفيك المؤونة فلا تعمل الشر بل تعمل الخير لان ذلك من سوسها (١) فاما ان تجي لتأمر النفس وتنهاها عن الشر وانت تزعم انها مقهورة من الجسد فانك انما تشبه رجلاً عمد الى عقاب قد اوثقت اجنحته بالحبال الثخينة الى جنبه وقال له طر من غير ان يفك وثاقه . واحري بمن فعل ذلك ان يكون هلك . فكفى بك من الحمق غاية

والعجب من جهلك يا ماني انك تعتد حجة لتحقق الكونين اللذين ابدعتهما

---

(١) اي طبعها

من طغيان قلبك بما قال انجيلنا المقدس . انها لا تستطيع الشجرة الطيبة ان تجعل
ثماراً ردية ولا الشجرة الشريرة تستطيع ان تجعل ثمراً طيباً (متى ١٢ : ٣٣)
ثم تقول ان الانفس من الجوهر الطيب وانها تعمل الشر مع الاجساد . ان
قولك لخلاف ما تأوّلت عليه كلمة الانجيل . فلعمري لئن كان الطيب لا يستطيع
ان يعمل الشر فانه ينبغي للانفس التي هي من جوهر الطيب الا تعمل الشر
مع الجسد لا كما قد تقول انت (انها تعمل) . وان كانت النفس لا تعمل شراً
البتة لا خارجاً عن الجسد ولا مع الجسد كما تأوّل عليه كلمة الانجيل فما ادري
كيف جئت انت يا خائب ان تأمرها بالخير وتنهاها عن الشر . ما هذا الا شبيه
بان يأمر الانسان الشمس في الظهيرة فيقول لها انيري يا شمس . وهذا
الحمق بعينه . فاما الجسد فاني لا اظن لك اليه سبيلا ان تأمره بالخير وتنهاه عن
الشر اذ تزعم انه من جوهر الشر وتقول على تأويلك كلمة الانجيل . ان
الشرير لا يستطيع ان يعمل الخير . والا اشبهت من يتمنى النار ان تبرد والا
تحرق . فعلى كل حال امرك ونهيك ليس يشبه ما قد تأولت عليه كلمة الانجيل .
ولكن كلمة الانجيل انما عنى بها المسيح الهنا النية الطيبة والنية الشريرة

واعلم ان النية الحسنة لا تعمل عملاً قبيحاً . والنية القبيحة لا تعمل عملاً
حسناً . وذلك حتى ما دامت النية الحسنة حسنة والنية القبيحة قبيحة . غير انه
لم يقل ان النية القبيحة لا تقدر ان تتغير فتصير حسنة ولا ان النية الحسنة لا
تستطيع ان تتحول فتكون قبيحة . بل قد دل في تعليمه كله على تغيير النية عن
كل واحدة من الحالين الى صاحبها

وانما يشبه في قوله هذا رجلاً قال انه لا يستطيع النائم ان يقرأ صحيفته

ولا النبهان يستطيع ان يرى حلماً . والامر على ما قال ما دام النائم نائماً والنبهان
نبهاناً . ولكن قد يتغير النائم فيكون نبهاناً ثم يستطيع ان يقرأ صحيفته ويتغير
النبهان فيكون نائماً ثم يستطيع ان يرى حلماً . كذلك تستطيع النية الحسنة ان
تتغير عن حالها الحسنة فتكون قبيحة ثم تعمل اعمالاً ردية . وتستطيع النية
القبيحة ان تتغير عن حال قبحها فتكون حسنة ثم تعمل اعمالاً طيبة كما قال
يوحنا المعمدان لاحبار اليهود : يا اولاد الافاعي من ارشدكم الى ان تهربوا
من الرجز الآتي . اعملوا اعمالاً تشاكل التوبة . (متى ٣ : ٧) الا ترى
انه سماهم اولاد الافاعي وطلب منهم اعمال التوبة لان بمشيئتهم صاروا اولاد
الافاعي وبمشيئتهم يقدرون ان يتحولوا عن حالهم فيعملون اعمال التوبة

ولكن ماني انما يتمايل تمايل السكران الذي حيثما مال صرع . فان كان ما يتأول
عليه كلمة الانجيل حقاً فقوله ان الانفس تعمل الشر مع الاجساد باطل . وان
كان قوله ان الانفس تعمل الشر مع الاجساد حقاً فما تأول عليه كلمة الانجيل
باطل . وعلى كل حال ان كانت الانفس لا تستطيع ان تعمل الشر وان كانت
مقهورة ان تعمل الشر فمجيء ماني اليها ظل . وامره اياها ونهيه احمق الحمق
واخيب الخيبة

ليت شعري اكان لك جسد يا ماني ام لا ؟ فان زعمت انه كان لك جسد
كسائر الناس فقد كانت نفسك مقهورة لا محالة من جسدك ان تعمل الشر
الذي هو عمل الجسد بزعمك . ولا تستطيع ان تكون صالحاً كما قد كنت
في كل نحو من الفسق تاماً وكنت كاذباً لان الكذب نوع من الشر واذ
كنت كاذباً فقولك كله باطل لا محالة . وان زعمت ان قولك ليس بباطل

فان جسدك اذن لم يقهر نفسك ولم يحملها على الكذب الذي هو من سوسه . بل هي قهرت اللسان الذي هو عضو من الجسد حتى نطقت بالحق عليه . وصار قولك يبطل نفسه واشبهت رجلاً يدَّعي انه اخرس لا يقدر ان ينطق بلسانه للناس ويقول الا فاعلموا ايها الناس اني اخرس لا استطيع ان انطق فدعواه هي التي تبطل نفسها

كذلك انت ياماني قولك يبطل نفسه حيث تزعم انه كان لك جسد وان الجسد قاهر للنفس يحملها على خصاله ثم تقول ان ما نطق به لسانك حق . وعلى كل حال قد صار قولك مردوداً ان زعمت انه كذب وان زعمت انه حق وكفى بما قد وقعت به جهلاً

وان زعمت انه لم يكن لك جسد وانك مشيت في غير الشرير فالعجب كيف لم يأخذك فيحبسك في بعض اجساده . اذ كان قد سبى الانفس التي من جوهرك من جوف محلتها حتى حبسها في اجساده . فانه اولى اذ قد قطنت ببلاده ان يجدك صيداً عتيداً فيحبسك في اجساده . فاذ لم يفعل ذلك فهو احد اثنين اما ان يكون عجز عنك واما ان يكون قد حلم . فان كان قد عجز عنك فانه كان ينبغي للطيب الذي تعتد ان يأمرك بانقاذ الانفس من ايدي الشرير ليريحها من سجونه . او يضم اليك قوة اخرى من قوته حتى تفعل ذلك بلا كلفة . وان كان الخيّر ترك الانفس عن عمد بيد الشرير فليس الشرير باسوأ صنعاً الى الانفس من حيث يقدر ان يخلصها من يديه ولم يفعل . وان كان هذا رايه فانه كان غنياً عن ارسالك اليها . وان كان الشرير حلم عنك فهو قادر ان يأخذك . فهو في هذه الحال خيّر

وحزبك ياماني كله الذين لا نشك ان لهم اجساداً فهم من قبل تعليمك هذا لا محالة يعملون الشر كله الذي هو بزعمك من سوس اجسادهم الغالبة على انفسهم . ولا يرعوون من القتل والزناء والسرقة والكذب وغير ذلك من انواع الشر . وكان قولك خليقاً ان يتحقق لو لم يكن في الدنيا غير اهل ملتك لانهم لم يقبلوا تعليمك الا ليزيلوا الورع عن قلوبهم فلا يمتنعون من شهوة تتوق اليها نفوسهم كائنة ما كانت . وان بدا من احدهم صلاح فصلاحه مبطل لما ينتحل من دينه لا محالة

واما غير حزبك ياماني من اهل الحق فانا نراهم تذل اجسادهم لانفسهم لحسن نياتهم . وهذا الجسد الذي تقول انت انه شرير غلب على النفس قد نراه يصوم ويصلي وتسعى رجلاه في عيادة المرضى وتتقلب يداه في اعطاء الصدقة وخدمة اهل السقم والضعف . ولسانه ينطق بالحق والرشد . وعينه تصد عن النظر المريب . وتحيد مسامعه عن المنطق السؤ . وكل واحد من حواسه ينصرف عن معصية الله . وهو قدس كله عند من احسن سياسته وصد عن تعليمك واقام نيته بالتعليم الحق الذي هو انجيل المسيح المقدس ابن مريم العذراء . ولا تقتصر النفس من الجسد ان تجعله تبعاً لحسن نيتها الباطنة فقط من شدة قدرتها عليه حتى تتعبه في الخير الظاهر على سماته من نيتها الداخلة فيصير الامر بالعكس خلافاً لقولك ياماني ويلفى الجسد يعمل الخير والنفس تنوي الشر

ولا نريد ان نطنب في قول ماني فنخرج من سمتنا . لانا لو ذهبنا ان نتفرغ الى صحيفته اذاً لوضعنا مصاحف كثيرة نبدي فيها منه اسمج السماجة

واحمق الحمق . فلعمري انه ليس التائه في منامه باضل فيما يرى من احلامه
من ماني فيما كان يتوهمه عقله . وانما عارضنا قوله ادنى معارضة لمشاكلته
قول من يريد ابطال الحريّة في ادخال القهر عليها . وقد يحق علينا ان يمضي
قولنا في سبيله حتى يتم على جهته

وينبغي ان تعلم ان من يدخل القهر على الحرية اذا انقطعت عنه المذاهب
كلها واحاطت بقوله السماجة من كل ناحية لجا ان يتعلل بسابق علم الله وقال
ان الله قد سبق علمه في الامور وما قد سبق في علم الله فانه لا بد له من
ان يكون . وما لا بد له من يكون ففاعله مقهور على ان يفعله . فاذن الحريّة
الانسية مقهورة على ان تعمل ما هي عاملة من خير او شر . فنحن نقول لصاحب
هذا القول . ان الامر ان كان على ما قد ذكرت فليس اول من يدخل عليه
القهر من سابق علم الله الا الله نفسه . لانه قد سبق في علم الله ما الله نفسه
كان صانعه قبل ان يصنعه . فان كان ما قد سبق في علم الله لا بد من ان
يكون . وما لا بد من ان يكون ففاعله مقهور على ان يفعله كما قد زعمت
فقد صار الله مقهوراً على ان يصنع ما كان سبق في علمه ان كان صانعه .
وهذا اسمج ما خطر لاحد على بال ان يكون الله مقهوراً على شيء صنعه او
يصنعه جل عن ذلك وتبارك . وان كان سابق علم الله في نفسه لا يقهره ان
يصنع ما كان قد سبق في علمه فانه لا يقهر سابق علمه الحريّة الانسية ان
تصنع ما قد سبق في علمه لكيلا يلفي سابق علمه ينقض ارادته . فاذاً القهر
قد دخل على الله من هذا الوجه . فانت لا بد من ان تكون احد ثلاثة اما
ان تقول ان الله لم يسبق له علم في شيء صنعه قبل ان يصنعه وحاشا لله ان

يكون كذلك . واما ان تقول ان الله مقهور ان يصنع ما قد سبق في علمه انه
كان صانعه وهذا اعظم الافتراء على الله . واما ان تقول ان علم الله لا يدخل
القهر عليه ان يصنع ما كان قد سبق علمه فيه انه كان صانعه وهذا حق .
فاذا كان هذا كذلك فينبغي ان يكون سابق علم الله لا يقهر الحريّة الانسية
التي جاد الله بها للانسان ورتبها في خلقته لكي لا يكون سابق علم الله ينقض
ارادته كما قلنا ويكون علمه ضداً له تعالى عن ذلك

واعلم ان علم الله تام وان الله كذلك يعلم من نفسه انه سيصنع ما هو صانع
وانه قادر الا يصنعه . كل هذا يعرف الله من نفسه . وكذلك يعلم من الحرية
الانسية انها ستصنع ما هي صانعة وانها قادرة الا تصنعه وعلى هذا الوجه
يصنع الله ما قد سبق في علمه . وهو يقدر الا يصنعه وتصنع الحرية الانسية
ما قد سبق منها في علم الله وهي قادرة الا تصنعه وكذلك لا يبطل علم الله
ولا يكون ضداً لمشيئته . ولا في امر ارادته بخلقه ولا ترى ان الله يصنع ما
قد سبق في علمه لان سابق علمه قد تقدّم فعله . وان الحريّة الانسية تعمل ما
قد سبق منها في علم الله لسابق علم الله بما كانت عاملته بل الله تبارك يصنع
ما شاء بالقدرة التامة ليس بدون ما كان يصنع لو لم يسبق له علم في شيء كان
صانعه . كذلك الحريّة الانسية تقلب كيف شاءت بالقدرة التي اعطاها الله
فيما قد امرها الله به ونهاها عنه ليس بانقص مما كانت تقلب في ذلك لو لم
يكن سبق لله علم في شيء كان منها . وليس علم الله بالذي يعبد الله او يعبد
الحريّة ان ينتهي كل واحد منها الى ما قد سبق علمه فيه وحاشا لله ان يكون
علمه يقهره او يبطل عليه الحريّة التي طبعها في الخليقة الانسية كرماً وجوداً منه

واعلم ان الحرّيّة الانسية لا يعدو سلطانها اول ذلك ان يكون فيما قد امرها الله به ونهاها عنه. فلها ان تنوي من طاعته ومعصيته ما احبت واليها ان تنفذ محبتها في كل ما امكنها. وتهيأ لها من حركات جسدها وغير ذلك مما هو خارج من جسدها. قد تمتنع مراراً مما هو خارج من جسدها ان تنفذ فيه مشيئتها. وربما امتنعت من ان تقلب جسدها على ما تتعمده مشيئتها من قبل امراض تحلّ بالجسد او قهر يعرض لها من خارج. ولكن ليس ذلك يمنع الحرّيّة ان تنوي ما شاءت من طاعة الله او معصيته ومما تحمد عليه او تذمّ. وكل اعمالها انما تكافى عليها بقدر نيتها في تلك الاعمال لا بقدر ما ترى العين من ظاهر الاعمال. ولذلك سميت الحرّيّة حرّيّة لانها مسلطة على نفسها ابداً اذ تميل حيث شاءت بارادتها. وهذا سلطانها الذي لا يزول ولا يدخل عليه القهر من وجه من الوجوه. فاذا كانت الحرّيّة مسلطة على نيتها ابداً ومكافاتها انما تكون على حسب نيتها من عدل الله فقد صار سلطانها نافذاً لا محالة في نيتها وفيما كان لاحقاً لنيتها من مكافاتها. واذ كان كذلك فاليها ان تعطب واليها ان تنعم واليها ان تدخل جهنم واليها ان ترث الملكوت. وذلك يكون على قدر حركاتها في نيتها التي لا يخفى على حكمة الله جليلها ولطيفها وتحريرها على ادق دقائقها

واعلم ان الحرّيّة انما تستوجب المكافاة ما دامت الحرّيّة تطمع في الاشياء التي تنالها على عمد مشيئتها. وذلك انما يكون ما دامت في الدنيا حيث تقلب وتذلّ بامكانها لطمع الحرّيّة فيما نوت من خير او شر. فاما اذا زايلت الدنيا محلة الطمع وحبسوا ذلك من الطمع في الامور التي تاتي لها واذا كانت القيامة

وصار كل شيء غير متغير فانها لن تكافى على نيتها. ولذلك قد ينبغي لكل واحد ان يبادر الى التوبة في هذه الدار الزائلة قبل ان تحلّ به المنية فتحول بينه وبين التوبة

واعلم ان بعض الناس يفرّون من ان يقولوا ان لله سابق علم كراهة ان يلزمهم من ذلك ادخال القهر على الحرّيّة الانسية. وهذا الراي انما تدعو اليه الجسارة وقلة المعرفة بكتب الله. اما تعلم ايها القائل هذا القول ان الله قال لموسى في شأن بني اسرائيل اني اعلم انهم بعدك يزنون عني بالهة اخر (خر ٠٠ : ٠٠) او ليس قد تنبأ داود على اليهود انهم يسمرون يدي المسيح ورجليه. وانهم يسقونه في عطشه الخلّ ويخلطون في طعامه المرارة (مز ٢١ : ١٩) او ما تنبأ على يهوذا الاسخريوطي الذي اسلم المسيح للموت وقال عن لسان المسيح فيه ان الانسان الذي كنت متكلاً عليه اكل خبزي ورفع عليّ عقبه (مز ٥٤ : ١٤) او ما قال المسيح ربّنا في الانجيل لتلاميذه الست انا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان وانما عني يهوذا الاسخريوطي لانه كان يعلم انه هو الذي سيسلمه (مز ١٤ : ١٧) وقال ايضاً لسمعان راس التلاميذ في الليلة التي طلب فيها انك ياسمعان قبل صياح الديك ثلاث مرات تكفر بي (١٤ : ٣٠) وامثال هذا كثير في الكتب المقدّسة. فالذي يفرّ من ان يجعل لله سابق علم كراهة ان يدخل القهر على الحرّيّة ليت شعري ايقول في هؤلاء ان سابق علم الله قد ادخل عليهم القهر ان يصنعوا ما صنعوا فيعذرهم بذلك. ولكن كيف نصنع بقول المسيح الهنا في انجيله المقدّس. ان ابن الانسان يسلم كما هو مكتوب فويل

للرجل الذي على يديه يسلَّم ابن الانسان ولقد كان خيراً لذلك الرجل ان لم يكن ولد (مر ١٤ : ٢١) الا ترى انه كان يعلم ان يهوذا سيسامه فقال عنه ويل له ولقد كان خيراً له ان لم يكن ولد . اذن لا يقدر على شر يصنعه من كان قد سبق في علم الله ان يصنع ذلك الشر واذ كان لا يقدر فليس بمقهور . (١) والا كان الله غير عدل في لا يمنعه اياه وحاشا له ذلك .

ويقول في الانجيل ايضاً ان المسيح الهنا اذا جلس على كرسيه دياناً للبشر يقول للمحجوجين عنده : انطلقوا الى النار المعدَّة للشيطان وملائكته . ومعلوم ان تلك النار لم تعدّ للشيطان وملائكته من الله الا وقد علم الله اعمالهم التي يستوجبون تلك النار بها . ولو انهم معذورون عنده لسابق علمه باعمالهم لما كان اوردهم تلك النار ابداً لئلا يكون غير عدل . ولو انهم كانوا مقهورين عليها لكانوا معذورين عنده اذ ليس على احد قهر من سابق علم لله كما قد بيَّنا بدءاً . وليس ينبغي لذي عقل ان يفرّ من ان يقول ان الله سابق علم في الامور مخافة ان يدخل على الحريَّة الانسية قهر من ذلك . فالمسيح نسأل ان يفيض علينا روح قدسه بلا كيل وان يمتّعنا بافضل ثمرات الحريَّة التي اكرمنا بها وينيلنا بذلك سعادة ملكوته التي اليها تشخص شهوة العقول اذا لم تزلّ عن سبيلها . له الحمد مع الآب وروح القدس الى دهر الداهر امين

---

(١) اي يقدر الانسان يمنع نفسه عن شر يصنعه ويعرفه الله بسابق علمه ومن يقدر ان يمتنع عن فعل سبق علم الله به فهو غير مقهور عليه

ميمر للاب الفاضل كير ثاودورس اسقف حرّان

يحقق انه لا يلزم النصارى ان يقولوا ثلاثة الهة اذ يقولون الاب اله والابن اله وروح القدس . وان الاب والابن وروح القدس اله ولو كان كل واحد منهم تام على حدته

ان الايمان هو اليقين بما قد غاب عن المعرفة كما احاطت به المعرفة. فالايمان لا يتولى الا بحب كما قال مار بولس ان الايمان انما هو من سماع الاذن (رو ١٠ : ١٧) فالناس كافة في الايمان بما جاء من عند الله ثلاثة . منهم من يعطل الايمان بتة متعظماً عن ان يكون عقله تبعاً لخبر لم تحط به معرفته . ومنهم من قد بذل عقله لقبول خبر يأتيه من الله لا تحيط به معرفته غير انه يهمل ايمانه ولا يوكل به عقله ان يحتاط له نظراً حتى يجعله في مكانه (١) ومنهم من يخضع ذهنه للتصديق بخبر يسند الى الله ولا يستند الى الله ولا يخلي ايمانه ان يعود كالسفينة التي لا ربّان فيها ولا نوتيه بل يدبّره عقله حتى يضعه في مكانه ثم يرخيه بكل ما خرج من ذلك الموضع الذي قضى له العقل بالحقيقة ان يستحق ان يصدّق فيما اسند من الكلام الى الله

فالمعطل الايمان بما جاء من عند الله يهوا عن التصديق بخبر لا تحيط معرفته احري به ان يكون جاهلاً غراً من نقص طبيعته حيث لا يعلم انه مضطر ابداً الى الايمان وذلك لانه لا يحوي بكل شيء علماً فلا بد له

---

(١) احتاط له نظراً اي عمل فيه نظره وحافظ عليه

من ان يصدّق غيره فيما لا يبلغه علمه مما يحتاج اليه . فقد يدخل عليه
الطبيب اذا كان مريضاً فيصف له عن مرضه ما لا يعرف فتلجئهُ حاجته
الى البرء من ذلك المرض ان يصدّق بما قال ذلك الطبيب ويمكنه من
جسده ان يعالجه ويشرب دواء ان سقاه يرجو به الشفاء وهو لا يدري
ان كان ذلك الدواء يؤديه الى الموت

وقد يدخل سفينة يدبّرها غيره لا علم له بتدبيرها فتضطره الحاجة
الى ان يسير في البحر ان يكل حياته بيد مدبّر السفينة وهو لا يدري ان
كان غاشاً له او ناصحاً او محكماً لسياسة السفينة او جاهلاً بذلك

وقد يرى القضاة يحبسون ويغرّمون ويضربون ويقتلون لخبر يسمعونه
من البيّنات لا تحيط به معرفتهم انه كما شهدت به البينات وليست عقولهم
تشرك قضيتهم في اكثر امتحان البينة ليعلموا ما استطاعوا ان البينة
مستحقون ان تقبل شهاداتهم . وكان القضاة يحبون لو قدروا الا ينفذوا
قضية الا بيقين علم يستقر عندهم من الامور التي يصرفون القضاء فيها
ولكن نقص الطبيعة الانسية اضطرهم ان يقتصروا على ما تبلغهم طاقتهم .
ولو انهم استكبروا عن هذا الحد كما يستكبر معطل الايمان في الاخبار
الواردة عليه عن الله لبطل تدبير الدنيا كلها وفسد شكلها

ومعطل الايمان قد يأتيه خبر جيش يغير على البلاد التي هو فيها
فيرعبه ذلك الخبر وهو لا يعلم احق هو أم لا ثم لا يهدأ قلبه حتى
يتأهّب للنجاة مما يحاذر من ذلك بكل ما تبلغه مقدرته . وهو في كل
حالاته لو ذهبت ان تنظر فيها لأصبته مطمئناً على التصديق بما لا تحيط

به معرفته . فلما بلغ الموضع الذي يستحق التصديق دون كل شيء وفي
شأنه جعلت قوة الامانة الطبيعية الانسية سما عقله على التصديق واعظم
الحجة على نفسه حيث يُدان هذا الفعل منه بغيره من افعاله فيخصم بانه لم
يجعل للمرسلين من الله في التصديق لهم اسوة بغيرهم ممن هم اشد استحقاقاً
لذلك منه ويتحقق عليه الجور وسوء النظر والميل الى التهم بما وافقه من
شهوة نفسه . وانه عمداً ترك التصديق بالخبر عن الله مخافة ان يأتيه من
ذلك شيء يكدّر عليه شهوته . واما من اذلّ عقله للتصديق بخبر عن الله
واهمل ايمانه ان يكون مبذولاً لمن لا يعرفه عقله بالحقيقة انه مرسل اليه
من الله فاخلق به ان يكون شبيهاً بمن يغمض عينيه ويمكن من يده من
يهديه في الطريق من غير ان يعلم ان كان هاديه ناصحاً له او غاشاً وهادياً
بالطريق او ضالاً او يكون تجاهل عمداً فاتبع هادياً يقوده لا في
الطريق المؤدية الى حيث يريد وان كان وعراً وحشاً ومفازاً بل في الطريق
السهل الآنس الكثير الماء الذي لا يوصله الى غايته فوافقه ان يقصر
دون امله بما يتعجل من الراحة في مسيره ولحقت به الحجة التي لزمت
معطل الايمان على حسب ميله الى شهوته في اختياره اتباع من قد اتبعه
ممن قد ادّعى الوحي والرسالة من الله

واما الذي يخضع ذهنه للتصديق بالخبر عن الله فيكون عدلاً في
تدبير ايمانه اذ يجعله في موضعه فانه يشبه رجلاً اراد غاية فناصح نفسه في
ان تعرف المرشد له الى تلك الغاية حق معرفته وحمل نفسه على كل طريق
حمله عليه مرشده ولم ينظر في الوعرة والوحشة والمفاز او بخلاف ذلك

بل كانت همته بالجد الوصول الى حيث يريد كيف كان ذلك . واشبه قاضياً عدلاً لا تنفذ منه حكومة بشهادة بينة حتى يمتحنهم امتحاناً شافياً ويستقر عنده انهم يستوجبون ان تقبل شهاداتهم وافق هواه ما شهدوا به او خالفه . غير ان هذا قد يفوق القضاة في انه كسب لعقله سبيلاً يؤديه بالحقيقة الى معرفة المرسلين من الله المستحقين قبول شهاداتهم

فمن بين جميع الناس ليس احد يقضي له العقل بالروّية قضية تعدل العيان انه صار مؤمناً بتدبير عقله الا من قد اعتقد النصرانية ديناً . لانه ليس من دين اذا ذهب العقل ان يروّي فيه (١) كيف كان قبول من قبله بدءاً ما خلا دين النصرانية الا علم انه لم يقبل الا بالغرور او بالهوى . وذلك ان النصرانية ليس فيها شيء يوقع التهمة على قابليها الاوّلين انهم قبلوها الا بافضل المناصحة واشد الاحتياط . لان ليس فيها شيء يغتر اليه ولا يدعوا اليه الهوى ان يقبله قابلوه ممن يدعوهم اليه . فلعمري ما آذنت لقابلها بالاسترخاء لشيء من شهواتهم الباطنة ولا الظاهرة ولا اطمعتهم في الاغترار بها بل حملتهم على اقصى ما يكون من الذل . ولا في قبولها تعصب لذي قرابة ينال شرفاً بتقوية امره . ولا فيها قول مموّه يسارع اليه العقل السوقي بل هي نقية من هذا كله . وليس من دين الا وفيه بعض هذا او كله فليس يذلل العقل الشديد الا النصرانية ولا يدين بغيرها (٢)

(١) روّى وتروى اذا اعمل الروية وهي اعمال العقل

(٢) لا يدين بغيرها اي لا يذل العقل سوى دين النصرانية لانها فوق العقل

ولا يشك انها لم تقبل الا بالاعاجيب الالهية المستحق من عملها تصديقه واتباعه كما قد تذكر كتبها

وتحقيق ما ذكرنا بيانه وتلخيصه قد وضعنا فيه ميمراً يقدر من اراد الشفاء لنفسه ان يقراه فيقنع منه بما قد قلناه . وليس يحسن تكرار ما قد وضعنا هناك وبثه في ميمرنا هذا

ولا يلحقنا من قولنا هذا ابطال التوراة ما دام الانجيل قد حققها ولا تتم النصرانية الا بتحقيقها لان النصرانية انما هي الايمان بالانجيل وتوابعه وناموس موسى وما بين ذلك من كتب الانبياء . وينبغي لكل ذي عقل ان يؤمن بما قالت هذه الكتب التي ذكرنا والتصديق بذلك والمقام عليه بلغته معرفته ام لم تبلغه

قلت هذا مقدمة لاقناع من قد تحيّر عقله في قول النصارى الاب والابن وروح القدس ثلاثة اقانيم اله واحد وزعمهم ان كل واحد من هذه الاقانيم اله تام على حدته لان هؤلاء المتحيرين عند هذا القول يقولون انه لا يستقيم ان يكون ذلك بل ينبغي اما الا يكون واحد من هذه الاقانيم يقال انه اله فيكون الهاً واحداً . واما ان كان كل واحد من هذه الاقانيم الهاً اذن يقال انها ثلاثة الهة

فنحن نقول لاصحاب هذا القول انا قد اثبتنا لكم في ميمرنا هذا بالايجاز وفي غيره بتلخيص انه قد وجب على كل واحد ان يؤمن بالانجيل وناموس موسى وما بينهما من كتب الانبياء . وهذه الكتب التي ذكرنا نجدها تذكر ان الاب اله والابن اله والروح القدس اله واحد . ولا

تقول ثلاثة الهة بل تحذّرنا جدًّا ان تقول غير اله واحد . فنحن نقبل ما قالت هذه الكتب بالايمان ولو كانت عقولنا لا تجد سبيلاً الى تحقيق قولها . لان الايمان هكذا حدّدناه انه اليقين بما قد غاب عن المعرفة كما تحيط به المعرفة . وتحقق من هذه الكتب بايجاز انها تقرّر عندكم وجوهاً غير واحد (١) ونقول في كل واحد من هذه الوجوه انه اله تام . ونحن وانتم قد علمنا ان الكتب كلها المنزلة تنهي ان يقال الا اله واحد

فاذا فرغنا من ذلك نقول ان انتم قبلتموه بالايمان كقبولنا اياه فقد افضينا الى الامر المراد وان لم تفعلوا ذلك علمنا لم ان روح القدس قد اقنع عقول النصارى باشراقه لها عن هذا الامر وغيره مما دلّت ان تقبله من قوله بالايمان. وانما اقنع من قد اقنعه من اهل النصرانية من ذلك ليس حاجة من كان منا يعقل حد الايمان الى قنوع العقل ليدعم به على يدي هؤلاء من لا يتم ايمانه من اهل الضعف الا بان يسنده بعض برهان يصح بعقله . (٢) وليرجمكم من السنتكم بكلام صحيح كالحجارة يكف بها شغبكم عن ابناء الكنيسة كما امر الله ان ترجم السباع الدانية من طور سيناء اذ نزل عليه (خر ١٩ : ١٣)

(١) ان الكتب المذكورة تقرر في الله وجوهاً لا وجهاً واحداً اي لا اقنوماً بل اقانيم

(٢) اي ان الروح القدس اقنع من اقنع من النصارى بصحة دينه لا لحاجة العاقل الى قنوع العقل بل ليدعم ويقوي من كان ضعيف الايمان بهذا القنوع ليكون لديهم اصح برهان

فنحن نبدا من ههنا بقول داود النبي : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك تحت قدميك (مز ١٠٩ : ١) فقد قال ربًّا للقائل وقال ربًّا للمقول له ولم يعدد ربّين ويقول ان هذا الرب القائل وقال للرب القول له : اني من البطن قبل النور ولدتك ليعلم الناس انه ابن ازليّ . وقال ايضاً داود : كرسيك يا الله الى دهر الداهرين . عصا مستقيمة عصا ملكك . احببت العدل وابغضت الجور . من اجل ذلك مسحك الله الهك من دهن السرور اكثر من اصحابك (مز ٤ : ٧) الا ترى انه ذكر الهاً كرسيه الى دهر الداهرين وزعم ان لهذا الاله اله مسحه والممسوح ليس يشك من كان ذا لبّ انه المسيح الذي هو اله تجسد فمسح في تجسده

وقال الله في هوشع النبي : اني لست راحماً بيت اسرائيل فاما بيت يهوذا فاني ارحمهم واخلصهم لا بالخيل ولا بسلاح اخلصهم ولكن اخلصهم بالرب الههم (هو ١ : ٧) الا ترى ان المخلص رب واله والمخلص به رب واله

وقال في التوراة ان يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال لامرأتيه : ان آتاني ملاك الرب فقال لي ارجع الى بلادك وبيت والدك قد رايت سؤ فعل حميك بك . انا الاله الذي ترآيت لك في بيت إيل فبنيت لي هناك مذبحاً ونذرت لي نذراً (تك ٣١ : ٣) الا ترى انه سمى ملاك الله وزعم ان هذا الملاك هو اله بنى له يعقوب مذبحاً ونذر له نذراً . فالملاك اله والذي هذا الملاك ملاكه اله

وقال الله لنوح : اني بصورة الله خلقت ادم (تك ٩ : ٦) فالمكلم
لنوح هو اله والذي خلق ادم هو اله ولا يعدُّ الهين

وقال ايضاً في التوراة : ان الله خلق الانسان بصورة الله خلقه
(تك ١ : ٢٧) وهذه شبيهة بالتي قبلها

وقال ايضاً : ان الرب احدر من بين يدي الرب ناراً وكبريتاً على
سدوم (تك ١٩ : ٢٤) فالمحدر النار ربٌّ والمحدر من بين يديه ربٌّ ولا
يعدان ربين وموسى اذ بعثه الله الى مصر ليخلص بني اسرائيل هكذا
تقول التوراة في شانه : انه ترآى له ملاك الرب في لهيب نار في جوف
العليق فابصر عليقاً مشتعلة فيها النار والعليق لايحترق فقال موسى : لاعدلن
حتى ارى هذا المنظر العظيم . الا يحترق العليق . فنظر الرب الى موسى
قد عدل لينظره فناداه الله من جوف العليق فقال ياموسى: لا تدنون من
هنا . انزع حذاك عن قدميك فان الموضع الذي انت فيه واقف موضع
مقدس. وقال انا اله ابائك اله ابراهيم اله اسحق اله يعقوب (خر ٣ : ٢)
الا ترى انه زعم ان الذي ترآى له من العليق كان ملاك الرب وقال
ان هذا ملاك الرب وقال انه قال انهُ اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب
فالملاك اله والذي هذا ملاكه اله لا يشك فيه

واذ قرَّب يوسف ابنيه الى يعقوب والده ليدعو لهما فقال الله الذي
عبده ابائي ابرهيم واسحق . الله الذي اطعمني من صغري حتى يومي
هذا . الملاك الذي خلصني من كل البلايا يبارك على هذين الغلامين
ويسمى بهما اسمي واسم ابائي ابرهيم واسحق فيكثرون على الارض كثرة

لا تحصى (تك ٤٨ : ١٦) الا ترى انه قال ان الاله الذي عبده اباؤه
ابرهيم واسحق والاله الذي اطعمه من صغره هو الملاك الذي خلصه من
البلايا واياه دعا ان يبارك الغلامين وان يكثرهما فالملاك اله كما قال يعقوب
والذي هذا ملاكه اله ولا يعدان الهين

وحيث هربت هاجر من سارة سيدتها يقول في التوراة : انه اصابها
ملاك الرب على عين في البرية وقال لها ملاك الرب : لاكثرنَّ زرعك
حتى لا يعد من كثرته . ويقول الكتاب ان هاجر سمت الرب الذي
كلمها الاله الذي رؤي (تك ١٦ : ١٣ و١١) الا ترى انه قال ان الذي
ترآى لهاجر كان ملاكا وانه رب واله . وهذا الملاك الذي دلَّ على نفسه
انه اله حيث قال لها بقدرة لاكثرنَّ زرعك حتى لا يعد من كثرته .
فهذا الملاك اله والذي هذا ملاكه اله ولا يعدَّان الهين

وحيث اطلع ابرهيم اسحق ذبيحة لله على المذبح يقول الكتاب : انه
ناداه ملاك الرب من السماء فقال له ياابرهيم لا تتناولنَّ بيدك الغلام ولا
تصنعنَّ به شيئاً . الآن علمت انك تتقي الله . وانك لم تشفق على ابنك
الحبيب في شاني (تك ٢٢ : ١٥ و١٦) اذن هذا الملاك الذي لم يشفق
في شأنه ابرهيم على ابنه هو الاله الذي قرَّب له ابرهيم اسحق ابنه ذبيحة
فالملاك اله والذي هذا ملاكه اله ولا يعدَّان الهين

وقال في التوراة : ان يعقوب اذ انصرف من الجزيرة فخرب بنوه
شخيم المدينة التي عدوا فيها على ابنته قال الله قم اطلع الى بيت ايل
واسكن هناك واصنع مذبحاً للاله الذي ترآى لك اذ هربت من عيسو

اخيك (تك ٣٥ : ١) الا ترى ان الذي كلم يعقوب هو اله. وقال هذا الاله ليعقوب ان يبني مذبحاً للاله الذي تراآى له اذ هرب من اخيه فهذا اله وهذا اله ولا يعدّان الهين

وقال في التوراة : ان الله حيث كلم موسى في طور سينا قال موسى لله ارني تسبحتك . فقال الله لموسى انا اجوز قدامك بتسبحتي وأدعو باسم الرب بين يديك (خر ٣٣ : ١٩) الا ترى ان الله دعا باسم الرب فالله اله والرب الذي باسمه دعا الله اله ولا يعدّان الهين

وقال في الانجيل . انه في البدء لم تزل الكلمة والكلمة لم تزل عندالله والهاً لم تزل الكلمة . هذه لم تزل في البدء عندالله (يو ١ : ١) الا ترى انه قال ان الكلمة هي اله وعند اله ولا يعدان الهين

وقال مار بولس في شأن اليهود ان المسيح ظهر منهم بالجسد الذي هو اله على كل له التسبحات والبركات الى الدهر فالمسيح الاله والذي يسبحه المسيح اله

وقال ايوب : ان روح الله فيَّ التي خلقتني فصير الروح الهاً وقال المسيح الهنا لتلاميذه : اذهبوا علموا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس (متى ٢٨ : ١٩) هذا يحقق ان الابن والروح كل واحد منهما اله مثل الاب ولم تجدد الخليقة بالمعمودية باسمهما مع الاب الا وكل واحد منهما مثل الاب

ولا نريد من شهادات الكتب المقدسة ما يحقق به ان الابن اله والروح القدس اله اكثر من هذا لانه ليس هذه ارادتنا في هذا الميمر . فمن كان

سديداً في ايمانه يدبّره بعقل فقد وجب عليه الايمان بما شهدت به الكتب التي قد استبان لكل ذي لبّ انها من الله . ولزمه ان يقول ان الاب اله وان الابن اله وان الروح القدس اله . وكانا قد علمنا انه ليس في الكتب موضع يعدُّ فيه الهان . بل الكتب كلها تتقدم الى الناس الا يقولوا الا الهاً واحداً . وكانت هذه كفاية لتقرير ذلك عند اهل العقل واجتذابهم الى موافقة النصارى في قولهم ان الاب اله والابن اله والروح اله . وان الاب والابن والروح اله واحد ولكن قد علمنا كما قد ذكرنا بدءاً انه ليس كل واحد يطيق عقله ان يقهر قلبه فيخضعه لقبول الايمان. من اجل ذلك نروم اقناع من كان كذلك من سبيل العقل ان الامر على ما يقول النصارى من ان الاب والابن والروح القدس ليس ينبغي ان يعدوا ثلاثة الهة وان كل واحد منهم اله حتى لا تدعو اهل الضعف حسارة عقولهم لانكارها ذلك الى ابطال النصرانية التي هي دين الحق بحقيقة الاعاجيب وشهادة الانبياء . ويشهد عليه العقل اذا نظر في الامور نظراً خالصاً وعرفها حق معرفتها

اعلم ايها المنكر قول النصارى ان من الاسماء اسماء دليلة على الوجوه ومنها اسماء دليلة على الطبائع . فالاسم الدليل على الطبيعة هو كقولك انسان وفرس وثور . والاسم الدليل على الوجه هو كقولك بطرس وبولس ويوحنا . فانت اذا اردت ان تعدَّ وجوهاً كثيرة لها طبيعة واحدة فليس ينبغي ان توقع العدد على الاسم الدليل على الطبيعة والا فقد جعلت للوجوه

طبائع مختلفة . وكيف ذلك ؟ اذا اردت تعد بطرس ويعقوب ويوحنا .
وهؤلاء وجوه ثلاثة لها طبيعة واحدة وطبيعتهم الانسان . فليس يستقيم
ان توقع العدد على الانسان الذي هو طبيعة هؤلاء فتقول ثلاثة اناسي
والا فقد جعلت طبيعتهم الواحدة التي اسم الانسان دليل عليها طبائع مختلفة
ووقعت في الجهل . كذلك الاب والابن والروح القدس ثلاثة وجوه لها
طبيعة واحدة وطبيعتهم هي اله . فاذا عددتهم فليس ينبغي ان توقع العدد على
اسم الاله الذي هو اسم الطبيعة والا فقد جعلت طبيعتهم الواحدة التي
هي اسم الاله دليل عليها طبائع مختلفة واخطأت خطاء بيناً

وايضاً العدد قد يعلم كل واحد انه انما ينبغي ان لا يقع على الانسان
اذ تعد بطرس ويعقوب ويوحنا . فانه ينبغي لك ان تعلم ان بطرس انسان
ولكن ليس الانسان هو بطرس وان يعقوب انسان ولكن ليس الانسان
هو يعقوب . وان يوحنا انسان والانسان ليس هو يوحنا . فاذا كان
الانسان ليس لا بطرس ولا يعقوب ولا يوحنا فانه ينبغي لك اذا عددت
بطرس ويعقوب ويوحنا الا توقع العدد على الانسان وتقول ثلاثة اناسي
والا فقد اوقعت العدد على غير العدود . كذلك اعلم ان الاب اله ولكن
ليس الاله هو الاب . والابن اله ولكن الاله في وجه (اذ اسم الاله
دليل على الطبيعة) ليس هو الابن . والروح اله لكن الاله ليس هو الروح
فاذا عددت الاب والابن والروح القدس فليس ينبغي لك ان توقع العدد
على اسم الاله فتقول ثلاثة الهة والا فقد اوقعت العدد على غير المعدود .
ولكن ينبغي ان تعدد ثلاثة وجوه الهاً واحداً لان الوجه هو اسم منطقي

وليس بثابت ولا لواحد منهم بل يقع اسم الوجه على الاب وعلى الابن وعلى
الروح القدس وعلى كل واحد من الملائكة والناس والحيوان وغير ذلك من
الغير المنفصلات . وانما دخل الاسم المنطقي ليكون عليه العدد لانه لا يستقيم
للعدد ان يكون على اسمهم العام المسماة به طبيعتهم الثابت لها لكيلا يلحق
من ذلك ان تكون طبائع مختلفة كما قد ذكرنا . ولا يستقيم ان يكون العدد
على اسم كل واحد منهم الخاص غير المنطقي لكيلا يجعل العدد كل واحد
من المعدودين كلهم . وكيف ذلك ؟ اذا قلت ههنا ثلاثة بطرس ويعقوب
ويوحنا فقد صيرت كل واحد منهم ثلاثتهم كذلك ان قلت ان في السماء
ثلاثة اب وابن وروح القدس فقد صيرت كل واحد منهم ثلاثتهم . من
اجل ذلك يضطر الامر ان يكون العدد على الاسم المنطقي الواقع على كل
واحد منهم الذي هو وجه فتقول ان بطرس ويعقوب ويوحنا ثلاثة وجوه
واسم الانسان يبقى على حدته لا ينتشر ولا يكثر مع ان الاب والابن
والروح القدس ليسوا كاناس ثلاثة يفترقون في الموضع او يختلفون في
الصورة او في الشبه او في الحال

فلعمري ان كثيرا يتفقون في هذه الاشياء فيقال انهم واحد في ذلك
الشيء الذي يتفقون فيه منها . والذين يختلفون في هذه الاشياء يعدون
كثيراً كقولك انا وانت في الصورة واحد اذا اتفقنا فيها . وانت في
الارادة واحد . وانا وانت في هذه الحال واحد . وتقول ما انا وانت
بالصورة بواحد اذا اختلفنا فيها . وما انا وانت في الارادة بواحد . وما
وما انا وانت في هذه الحلل بواحد . وما شاكل ذلك . فالناس قد

يفترقون في الموضع ويختلفون في كل ما ذكرنا. فاما الاب والابن والروح
القدس فليس هذا منهم في موضع ليس فيه الاخر ولا لاحدهم صورة
ليست لغيره ولا مشيئة ولا مال ليست لغيره. فاذا كان الواحد من هذه
الخصال قد تجعل المتفقين فيها واحداً وان كانوا كثيراً فكم ينبغي للاب
والابن والروح القدس ان يكونوا واحداً اذ لا يفترقون في موضع وهم
متفقون في كل هذه الاشياء والوجوه وما شاكلها

وانما يشبه الاب والابن والروح القدس سرجاً ثلاثة ادخلتها بيتاً
مظلماً فانتشر ضوء كل واحد منها في البيت كله فلم يقدر بصرك ان يفصل
ضوء احدها من ضوء صاحبه وضوء كلها من ضوء كل واحد منها . كذلك
الاب والابن والروح القدس اله واحد وان كان كل واحد منهم الهاً تاماً
واحديّة اللاهوت في الاب والابن والروح القدس اخلص وارفع واحق
من ضوء السراج بما لا يقاس ومن كل شيء مخارق لا الطف منه في
المخلوقين

ولو وقف ثلاثة رجال فقالوا قصيدة واحدة جميعاً وكنت خارجاً
عن موضعهم تسمع صوتهم لما سمعت الا قصيدة واحدة وانت لا تشك
ان كل واحد منهم قد قال القصيدة تامّة . ولا تقدر ان تقول اني سمعت
ثلاث قصائد . هذا وفي اصوات الرجال بعض الاختلاف . فاما الاب
والابن والروح القدس فانه لا اختلاف بينهم بتة له اثر في قنوم
احدهم اكثر من ان كل واحد منهم غير صاحبه . فهم لعمري اولى ان
يكونوا الهاً واحداً وان كان كل واحد منهم الهاً تاماً

وقد نجد واحدية الطبيعة يوقعها الناس على الاسم الدليل على الطبيعة
ليس في الاشياء اللطيفة فقط ولكن في الاشياء الغليظة . وكيف ذلك ؟
قد يوضع بين يديك قطع ثلث من ذهب خالص فتقول ان كل واحدة من
ثلث القطع ذهب تام ولا تقول ان ثلاثتها ثلاثة اذهاب بل ذهب واحد.
فاذا كان هذا كذلك فالاب والابن والروح القدس اولى الا يقع العدد
على اسم طبيعتهم ولا يقال انهم ثلاثة الهة . وهذا يكفي دلالة على انه ليس
ينبغي ان يقال ان الاب والابن والروح القدس ثلاثة الهة وان كان كل
واحد منهم الهاً تاماً وقد كالت النصرانية في قولها ان الاب والابن والروح
القدس اله واحد وان كان كل واحد منهم الهاً تاماً وشهد لها بذلك الكتب
المنزلة والعقل السديد القياس بالنظر على استقامة القياس للاشياء على ما
اشبهته في الحال الذي يشبهه فيها

ولكن بعض الناس ممن لا عقل له يقولوا للنصارى اثلاثة خلقوا
الخلق ام واحد . فان قلت ثلاثة خلقوا الخلق استشنعوا ذلك . وان قلت
ان واحداً خلق الخلق ظنوا ان الاقنومين الاخيرين قد بطلا ورمى بهم
اعوجاج ظنونهم الى الهلاك بانفسهم . فنحن نقول لهم انه خلق الخلق
واحد . وليس قولنا هذا بالذي يبطل الاقنومين الاخرين من ان يكون
كلٌّ منهما خالقاً . وكيف ذلك ؟ اسمع . تقول لسان موسى النبي نطق
بالحق وانت صادق . وتقول موسى النبي نطق بالحق وانت صادق. ولا
تستطيع ان تقول ان موسى النبي ولسانه نطقا بالحق لان موسى انما نطق
بلسانه . وتقول ان الشمس تضيء للناس وانت محق وتقول ان شعاع

الشمس يضيء للناس وانت صادق . ولا تقول ان الشمس وشعاعها يضيئان للناس لان الشمس انما تضيء بشعاعها . وتقول لصاحبك عينك ابصرتني وانت محقٌّ . وتقول له ايضاً انت ابصرتني وانت محق . ولا يستقيم ان تقول لصاحبك انك وعينك ابصرتماني لان صاحبك انما يبصرك بعينه . وتقول للنجار يدك صنعت هذا الباب وانت محق . وتقول له انت صنعت هذا الباب وانت صادق . ولا يستقيم ان تقول للنجار انت ويدك صنعتما هذا الباب لان النجار انما يصنع الباب بيده . وتدخل على الملك فيقول لابنه فيضربك ثم تقول ان الملك ضربني وانت صادق وتقول ان ابن الملك ضربني وانت محق . ولا يستقيم ان تقول ان الملك وابنه ضرباني

كذلك يقال ان الاب خلق الخلق . ويقال ان الابن خلق الخلق . ولا يقال ان الاب والابن خلقا الخلق لان الاب انما خلق الخلق كله بابنه كما قال مار بولس : ان الله في آخر الايام كلمنا بابنه الذي به خلق الدهور (عب ١ : ٢) وكما قال يوحنا البشير في انجيله في شأن الابن وهو يسميه الكلمة انه في البدء لم تزل الكلمة . والكلمة لم تزل عند الله . والهاً لم تزل الكلمة . هذا لم يزل عند الله . كلٌّ به خُلق وبغيره لم يخلق شيء . ولا نرى ان اللسان بالعقل او الشعاع بالشمس او يد الصانع بالصانع او العين بالدماغ اشد اتصالاً من الاب بالابن للطافة الجوهر الالهي . وانه يعدو بلطافته الطف ما يكون من الخلق بما لا تتوهمه العقول

وتقول ان حرارة النار احرقتني وتقول ان النار احرقتني . ولا تقول ان النار وحرارتها احرقتاني لان النار لا تحرق الا بحرارتها . كذلك يقال

اذاً ان الاب خلق الخلق . ويقال ان الابن خلق الخلق . ولا يقال ان الاب والابن خلقا الخلق . ولا نرى ان الحرارة اولى بان تكون للنار من الابن ان يكون للاب ولا ان الحرارة اشد اتصالا بالنار من الابن بالاب وان كان كل واحد منهما اقنوماً لان الطبيعة الالهية لا تقبل تركيباً كما تقبله الاجساد . ولا يكون فيها الهيولى والصورة ولا توجد بتة الغيرية في ذات اقنوم واحد منها بل موقع الابن من الاب هو كموقع حرارة النار من النار وكموقع الشعاع من الشمس والكلمة من العقل وان كان الابن اقنوماً تاماً عندنا لان الطبيعة الالهية تلطف ان توجد الغيرية في ذات اقنوم واحد منها كما قلنا . ولذلك سمى مار بولس الابن ضؤ مجد الاب حيث يقول ان الله كلمنا في الايام بابنه الذي به خلق الدهور الذي هو ضؤ مجد وصورة عينه (عب ١ : ٢) وسماه ايضاً حكمة الله وقوته حيث يقول : ان المسيح حكمة الله وقوته (كو ١ : ٢٤) فانزله من الله بمنزلة حرارة النار من النار لان الحرارة قوة النار

ويوحنا المبشر قد سمّاه كلمة اذ قال انه في البدء لم تزل الكلمة والكلمة لم تزل عند الله وانما سمّاه قوّالا الالهيات هذان بهذه الاسماء لا لانه ليس باقنوم واله تام ولكن ليعلما الناس انه كما لا يقال كل واحد من هذه الاشياء المضافة التي ذكرنا انه والمضاف اليه يعملان شيئاً وان كان كل واحد منهما يقال انه يعمل على حدته . كذلك لا يقال الاب والابن انهما خلقا وان كان كل واحد منهما على حدته يقال انه خلق . لان قوالي الالهيات كرها ان يكون وقوع هذه الصفات يدعو السامعين الى ان لا اقنوم للابن

وليس باله تام مثل الاب كما ان كل شيء من هذه المضافات ليس له اقنوم ولا يسمى باسم المضاف اليه من اجل ذلك سمى كل واحد منهما الابن الهاً وقال يوحنا البشير انه في البدء لم تزل الكلمة . والكلمة لم تزل عند الله . والهاً لم تزل الكلمة فقد سماه كلمة وسماه الهاً . ومار بولس يقول ان المسيح من اليهود ظهر في الجسد الذي هو اله على كلّ له التسبحات والبركات (رو ١١ : ٣٦) وقد جرّد يوحنا وبولس صفةَ الابن بقولهما فيه ما قد قالا ودلا انه لا ينبغي ان يقال انه والاب خلقا شيئاً واعلما انه اقنوم تام بتسميتها اياه الهاً ونفيا عن الطبيعة الالهية التركيب وان توجد الغيرية في ذات كل اقنوم منها

كذلك فعل قوالو الالهيات كلهم بروح القدس فاضافوا روح القدس الى الاب شبه الاضافة التي اضافوا اليه الابن ثم قالوا انه اقنوم تام مثل الاب والابن . فالآن الابن والروح من الاب بمنزلة هذه الاشياء المضافة التي ذكرنا مما يضاف اليه . فان الكنيسة المقدسة قد تقول ان الاب خالق وان كل واحد من هذين خالق . ولا تقول انهم جميعهم خلقوا ولان الكنيسة تعلّم ان الابن اله تام والروح اله تام وان كانا مضافين الى الاب شبه هذه الاضافة فانها تعدُّ الابن والروح في حال القنومية مع الاب وتقول الاب والابن وروح القدس فتخالف بالابن والروح في عدتها اياهما اقنومين مع الاب حد هذه الاشياء المضافات التي لا يعد كل واحد منها اقنوماً مع المضاف اليه . ولان الكنيسة تعلّم ان الاب والابن والروح القدس اله واحد على الوجوه التي ذكرنا من قبل : كما ان الشمس وشعاعها

وضوؤها شمس واحدة وما شاكل ذلك فانها تقول ان الاب والابن والروح القدس خالق الخلق . ولا تقول خلقوا . وتقول يا اب ويا ابن ويا روح القدس ارحمني . ولا تقول ارحموني وما كان مثل ذلك

وان قال احد انه قد قيل في التوراة اخلقوا بنا (١) وتعالوا حتى ننزل ونفرّق الالسن (تك ١١ : ٧) وان الابن قال في الانجيل اني والاب نأتي حتى نسكن حافظ وصاياي (يو ١٤ : ٢٣) وان الابن قال في اشعيا ان الرب ارسلني وروحه (اش ٢٨ : ١٦) وان الابن قال في سليمان اني قبل الدهور كنت اخلق مع الله (ام ٨ : ٢٣) وظن القائل هذا ان قولنا خلاف لما في الكتب حيث نقول انه لا يحسن ان يقال ان الاب والابن والروح القدس خلقوا . فليعلم ان هذا القول الذي ذكرنا انه في الكتب المقدسة وما شاكله لم يوضع في الكتب الا من حرص قوّالي الالهيات ان يعلموا الناس ان الابن اله تام والروح اله تام لكيلا يظنوا ان الابن والروح في الله بمثل هذه الاشياء المضافة فيما يضاف اليه فيضلون من غلظ قلوبهم

---

(١) هذه الاية هي نفس اية سفر التكوين . هلمّ نصنع الانسان غير انها مختلفة الترجمة كما يظهر من آيات كثيرة يستشهد بها ثاوادورس ابو قرة ابقيناها على اصلها لا رغبة في ابقاء القديم على قدمه بل حرصاً على ما فيها من ايضاح معنى هذه الايات بالفاظ تختلف عن الترجمات الشائعة بين ايدينا في هذه الايام وهو نوع من الشرح او التفسير الحرفي

فيسأل من لا عقل له ويقول للنصراني اخبرني اتكفر بكل اله غير الاب ؟ اتكفر بكل اله غير الابن ؟ اتكفر بكل اله غير الروح القدس ؟ فان قال النصراني اني اكفر بكل اله غير الابن في المثل قال له اذن الاب والروح القدس ليس كل واحد منهما الهاً . وان قال النصراني اني لا اكفر بكل اله غير المسيح قال له اذن لك الهة شتى . فينبغي لهذا السائل ان يلطف نظره في الامور . وان يعلم انه جاف في مسألته ويستبين لك ذلك من ههنا . يوضع بين يديك انجيل تام فيقال لك اتؤمن بهذا الانجيل فتقول نعم . ثم يقال اتكفر بكل انجيل غيره فتقول نعم وانت تعلم ان في الدنيا ما لا يعدّ من الانجيلات ولو انه افرز لك كل واحد من تلك الانجيلات فسؤلت عنه لقلت اني كافر بكل انجيل غير هذا . ولا يلزم من قولك هذا ان يكون كل واحد من تلك الانجيلات ليس بانجيل تام . لان الانجيل الذي نطق به روح القدس واحد . كذلك تقول اني كافر بكل اله غير المسيح . ولا يسقط من قولك هذا الاب والروح القدس ان يكون كل واحد منهما الهاً تاماً لانه كما انك اذا سؤلت عن الانجيل الموضوع بين يديك ليس عن اقنومه تُسأل . انما تُسأل عن جوهرية الانجيل اي عن كلامه الذي نطق به روح القدس لان اسم الانجيل ليس هو خاصاً لذلك المصحف دون غيره . كذلك حيث تسأل عن المسيح فيقال لك اتكفر بكل اله غيره ليس عن اقنومه تسأل وان كانت المسألة تشير اليه بل انما تسأل عن طبيعة المسيح لان اسم الاله ليس بخاص للمسيح دون الاب والروح . وانما اسم الاله اسم طبيعة لا اسم اقنوم كما بيّنا

بدءاً فلذلك يحسن ان تقول اني كافر بكل اله غير المسيح ولا يسقط الاب والروح من ان يكون كل واحد منهما الهاً . لان هذه المسألة انما تشبه ان يقال لك اتكفر بكل طبيعة الهية غير طبيعة المسيح . فتقول نعم وقولك حق لان طبيعة الابن الالهية هي طبيعة الاب والروح

وايضاً يوضع بين يديك طبق موصلة فيه ثلاث مرايات فاذا اطلعتَ في الطبق طلعت صورة تامة في كل واحدة من تلك المرآءات . فلو ان رجلاً اشار بيده الى الصورة الطالعة في احدى المرايات فقال لك . الك صورة غير هذه ؟ لحق عليك ان تقول انه لا صورة لي غير هذه . لانه اذا كان وجهك واحداً وحليتك واحدة فلا صورة لك غير واحدة . ولم يكن قولك ينفي الصورة الطالعة في كل واحدة من المرآتين من ان تكون صورة لك وانما يشبه هذ ان يجي رجل فيحليك ويكتب حليتك في ثلاثة قراطيس تامّةً في كل واحدة منها ثم يعرض عليك قرطاساً من تلك القراطيس فيسألك عن حليتك التي فيه فيقول لك اكافر انت بكل حلية لك غير هذه الحلية فتقول نعم انا كافر بكل حلية لي غير هذه المكتوبة في القرطاس فليس قولك هذا بالذي ينفي حليك المكتوبة بكل واحد من القرطاسين الاخرين من ان يكون حليك . لانه اذا سألك عن الحلية المكتوبة في القرطاس الواحد وان كان يشير بيده الى الخط الذي في القرطاس فليس ذلك الكتاب يعني . بل انما يعني جوهرية حليتك اي انك اسمر في المثل اكحل اقنى وما شاكل ذلك . كذلك اذا قال لك انسان اتكفر بكل اله غير المسيح فليس قولك هذا بالذي ينفي الاب والروح من ان يكون كل واحد منهما الهاً

لانه وان كان السائل عن هذا يشير بقوله الى المسيح فليس المسيح بعينه
يعني اذا سمى الهاً بل انما يعني طبيعة المسيح التي اسم الاله دليل عليها .
وانما هذا كما قلنا بدءاً شبيه بان تقول اني كافر بكل طبيعة الهية غير طبيعة
المسيح وانت محق ولا يخرج الاب والروح من يكون كل واحد منهما
تلك الطبيعة تامّة لان طبيعة الاب والروح واحدة

واعلم ان الطبيعة الالهية لا تقبل التركيب بتة كما قلنا او غيرية
يوجد لها أثر في اقنوم واحد منها بل هي مبسوطة على صرف الانبساط
ومحض حقيقته وليس يقبل اقنوم الهي ان يضاف اليه شيء له أثر فيه

اجبني ايها الجاحد للابن والروح مخافة ان يؤمن بثلاثة الهة .اتقول
ان لله كلمة ام لا . فان زعمت انه لا كلمة له فقد صيرته اخرس وجعلت
الانسان افضل منه . فلا بد لك من ان تقول ان لله كلمة. ثم نقول لك
اخبرنا عن كلمة الله اجزء هي من الله ام لا. فان قلت انها جزء من الله فقد
بعضت الله وادخلت التركيب على طبيعته وهذا ما لا يكون ولا تقدر ان
تقول ان كلمة الله في الله كالصورة في الهيولى وكشيء شبيه بذلك . لان
كل هذا نفي من الله كما قد ذكرنا ثم تضطر ان تجعل الكلمة اقنوماً تاماً
ثم تقول انها اله تام وكذلك القول في روح الله

ثم نقول لك ان الله وكلمته وروحه اله واحد كما ان الانسان وكلمته وروحه
انسان واحد . وانما صار كلمة الله الهاً لان الطبيعة الالهية لا تقبل تركيباً
او شيئاً يشاكل التركيب كما يقبل ذلك الخلق . فالآن الابن موقعه من
الله موقع الكلمة من الانسان. والروح موقعها من الله موقع روح الانسان

من الانسان. وان كانت كلمة الله الهاً وروح الله الهاً لعلوّ الطبيعة الالهية
عن التركيب وما شاكله. فليس يقال الله وكلمة وروحه الا الهاً واحداً
كما لا يقال الانسان وكلمته وروحه الا انساناً واحدا . ولا ترى ان كلمة
الانسان بثابتة في مرتبتها من الانسان مثل مرتبة الكلمة من الله . وكذلك
الروح راتبة له فوق كل ما هو راتب في خاصته من الخلق بما لا يقاس
وان كان الابن الهاً والروح الهاً تاماً للوجه الذي ذكرنا

واعلم ان الابن قد يسمى يمين الله وساعد الله كما قال داود انما خلصت الله
يمينه وساعده القديس (مز ٥٩ : ٨) وهو يعني ان الابن خلص الناس للاب
اي الاب خلصهم به . وروح القدس قد يسمى اصبع الله كما المسيح لليهود
في الانجيل اني باصبع الله اخرج الشياطين (لو ١١ : ٢٠) وانما عنى باصبع الله
روح القدس وفسر ذلك الاونجليسط (١) الاخر وقال في هذا الموضع ان
المسيح بروح الله اخرج الشياطين (متى ١٢ ٢٨) فموقع الابن من الله موقع
الساعد من الانسان . وموقع الروح من الله موقع الاصبع من الانسان
وكما ان الانسان وساعده واصبعه انسان واحد ليس ثلاثة اناسي كذلك الله
وابنه وروحه اله واحد ليس ثلاثة الهة وان كان الابن والروح كل واحد
منهما الهاً تاماً لما ذكرنا من ارتفاع الطبيعة الالهية عن التبعيض والتركيب
واشباه ذلك

ونظير ما اتيناه به من اسماء الابن والروح كثير في الكتب المقدّسة
تنادي الناس ان ينزلوا الابن والروح من الله تلك المنزلة التي ينزلون بها

(١) كلمة يونانية • معناها البشير لكن صورة تعريبها الشائعة اليوم « انجيلي »

تلك الاشياء التي تدل عليها تلك الاسماء مما هي له لكيلا تزل عقول الناس الى ان يعدّوا ثلاثة آلهة . وسمت الابن الكتب الهاً تاماً وحققت لكل واحد منهما صفة الاله بتمامها لنقصي التركيب . وما ذكرنا من اشباهه عن الطبيعة الالهية . ونحن لا نريد ان نتبع تلك الاسماء كلها فنحشو بها ميمرنا هذا . غير انا قد وضعنا حدوداً لمن كان لطيف العقل يفهم بها كل واحد من تلك الاسماء في موضعه من الكتب المقدّسة وينزله على جهته

ولكن العجب ممن يؤمن بالتوراة ثم يستسمج ما يقول النصارى من ان الاب اله تام والابن اله تام والروح اله تام . وان الاب والروح اله واحد . ولا يتذكر القول الذي في التوراة ان الرجل والامراة جسد واحد (تك ٢ : ٢٤) وكانا نعلم ان الرجل جسد تام والمراة جسد تام . فكيف قبلت يا هذا ولهما جسدان ان يكونا جسداً واحداً مع غلظ طبيعتهما واختلافهما في الصور والحالات والمشيئة والذكر والانثى وغير ذلك . ولا تقبل ان الاب والابن والروح القدس اله واحد في لطافة طبيعتهم واتفاقهم فيما يختلف الخلق فيه من هذه الاشياء . هذا منك ليس بعدل . فمن كان مؤمناً التوراة وبالانجيل جميعاً وما بينهما من الكتب فلا يُنكرنّ ان يكون الاب والابن والروح القدس الهاً واحداً وان كان كل واحد منهم الهاً تاماً ما دام يصدق ان الرجل والمراة جسد واحد وهو يعلم ان كل واحد منهما جسد تام . وليعلم انه واجب عليه ان يقبل شهادة الكتب للابن والروح ان كلاً منهما اله تام ولا يدعوه عقله الى سد مسامعه عما تشهد به الكتب من ذلك ويقول انه لا يستقيم ان يكون

الابن الهاً والروح الهاً وان يكونا جميعاً مع الاب الهاً واحداً . ولا سيما اذ يسمع ما قد وضعنا في كتابنا هذا من الاشياء المحققة لذلك من سبيل العقل تحقيقاً ليس بعده امتراء لمن ترك المكابرة وجحود الامر الذي يعدل العيان مما تحقق بقياس العقل . ومن كان لا يؤمن بكتب العتيقة والحديثة التي بيد النصارى من معطلي الايمان ومهمليه فحسبه جرماً ما قد وضعناه في صدر كتابنا هذا مما يضطر كل الناس الى ان يؤمنوا بهذه الكتب مما يضطر الى الايمان بها اضطراراً لا مدفع له . وعلى كل حال ليس لمن كان يستشنع قول النصارى في الاب والابن والروح القدس ان كل واحد منهم اله تام . وان ثلاثتهم اله واحد . اذ يرى وجوهاً كثيرة من سبيل العقل تحقق ان ذلك ممكن ان يكون

فاما نحن معشر النصارى فانا نحمد المسيح الذي نبّه عقولنا لحسن النظر في الايمان وهدانا بذلك الى التصديق بكتبه المقدّسة وكان حسبنا ان نؤمن ان الاب والابن والروح القدس اله واحد وان كل واحد منهم اله كما شهد لنا به الكتب المقدسة ولو لم يكن نرى في الامور شيئاً يحقق لنا ما قد آمنا به من ذلك من سبيل العقل فكيف لا تكفينا شهادة الكتب وتحقيق العقل هذا ما لا غاية الا اقناعنا . فالمسيح نسأل ان يثبتنا على ايماننا وان يردّ قلوبنا الى العمل بطاعته وطلب ملكوته . له الحمد مع الاب وروح القدس الى دهر الداهرين آمين

ميمر في موت المسيح

وانا اذا قلنا ان المسيح مات عنا انما نقول ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور هو الذى مات عنا لا في طبيعته الالهية بل في طبيعته الانسانية وكيف يعقل هذا الموت وانه يحسن ان يقال على الابن الازلي في الجهة التى تقوله عليه الارثوذكسية وضعه المعلم اللاهوتي ثاودورس اسقف حران

ان الحق اهله حية عقولهم لها انبساط ولها انقباض . وانبساطها وانقباضها تبع لعمد مشيئتها وعمد معرفتها لا يتحرك الا بالمعرفة التي لا يشوبها جهل التي يسكن بها العقل بالنور الالهي الذي يضيء له ويريه حقيقة الاشياء بحسن نيته . فالآن الاشياء قد تلفي تتضاد في انحائها على وحديتها . فانك قد تجد في كلام اهل الحق تضاددا وتراهم يقولون نعم ولكن لا على شيء واحد وذلك ان عقولهم تشخص الى الاشياء فتميز انحاءها وتجرّد كل واحد منها تنظرها وقد تصيب التي له صفة في نحو من انحائه فتصفه بتلك الصفة وتصيب له صفة تخالف الاولى نحو في اخر وبها حركة ان تعقد على الصفة الاولى فلا تطرحها وترجع الصفة الى المخالفة فتضمها معها وتحوى الاشياء معرفة حقيقتها وتجمع كل صفاتها . والجهال اذا سمعوا كلامهم ورأوا فيه تضاداً حارت عقولهم دونه فلم تسر به قلوبهم ثم يتهزّوا ويصدوا عنهم ويقهقهوا عليهم مغتبطين بطغيانهم . وكان ذلك موثقاً رباطهم بيد الشيطان الذي صادهم بخديعته لهلاك انفسهم

فاما اهل الباطل فلسؤ نياتهم ميتة عقولهم ليس احدها الا يصير

منصباً على الاشياء جماحاً فاذا اصاب الشيء له صفة واحدة لم يكن رايه فيه انه يستقيم ان تكون له صفة تخالف تلك في نوع اخر ولا به حركة (لعدم النور الالهي الذي هو حياة العقول) ان يرجع من صفة الى خلافها بان يميز انحاء الشيء كلها فيستقريها نحواً نحواً ثم يوقع على ذلك الشيء من الصفات وان تضادت ما يكون لها مستحقاً في كل واحد من انحائه فيرتفع عنه مستقرياً له محرراً لمعرفته بل يشبه حجراً يهوى مندفعاً لثقله ليست به قوة ان يحبس نفسه عن طلقته

وكيف ذلك ؟ قد تقول الارثوذكسية في الاله انه واحد في الطبيعة وثلاثة في الوجوه وقد قويت ان تقول واحد في نحو وثلاثة في نحو اخر وقبل ذلك عقلها . والجهال اذا سمعوا ان الاله واحد ثلاثة ظنوا ان هذا قول ينقض بعضه بعضاً وانه لا يستقيم ابداً

والباطل في اكثر الاشياء محيط بالحق ولا يقف على الوحدية في مخالفته الحق بل قد تتشعب منه اقاويل يخالف بعضها بعضاً ويخالف كلها الحق من اجل ذلك الحق لا يكون كثيراً ولا يضاد نفسه والباطل قد يكثر ويتناقض خلافاً لنفسه مع مخالفته الحق . فقد احاق بهذا القول الذي ذكرنا ان الارثوذكسية تقوله في الله قولان يخالف كل واحد منهما صاحبه ويخالف كلاهما حق الارثوذكسية . وانت تتبين في كل واحد منهما ما ذكرنا من جماح عقول اهل الباطل . احدهما قول اريوس ان الله ثلاثة في الوجوه وثلاثة في الطبائع . فحيث قال ثلاثة في نحو اجرى معه النحو الاخر وقال فيه ايضاً ثلاثة . والآخر قول سابيلوس ان الله واحد في الطبيعة

وواحد في الوجه فاجرى النحوين مجرى واحداً ولم يقدر ان يعرف معنى خلافهما فصار كصاحبه

والارثوذكسية تقول في المسيح انه اقنوم واحد وطبيعتان فقد قالت انه واحد في نحوٍ وقالت انه اثنان في نحو آخر واستحسن ذلك عقلها وتشرّبه قلبها الحي بروح القدس . وقد احاط بقولها قولان يخالف كل واحد منهما صاحبه ويخالفان جميعاً حقها. احدهما قول نسطوريوس ان المسيح طبيعتان واقنومان . والآخر قول يعقوب ان المسيح اقنوم واحد وطبيعة واحدة فكل واحد من هذين القولين جموح ليس فيه اتئاد . وقول الارثوذكسية ظاهرة رزانته

وعمل الخير والشر الكنيسة تقول فيه ان الله خلق الانسان له حرية وملكه ان يختار ما احب من الخير والشر فيعمله. واعلمه انه صاير الى مغبة ما اختار لنفسه من ذلك. وقد احاط باستقامة قول الكنيسة قولان يخالف كل واحد منهما صاحبه ويخالف كلاهما قول الكنيسة. احدهما قول من قال ان الله جبل كل واحد من الناس وجبره ان يعمل الخير اوالشر . وانه خلق بعضاً شقياً وبعضاً سعيداً. والقول الآخر قول المانية انهم حيث ارادوا ان ينزهوا الله عن هذا وقعوا في شرّ منه . واختلقوا الشيطان الهاً آخر مع الله وجعلوا الله سبب الخير كله وجعلوا الشيطان سبب الشر كله. فوقعوا من هذا الى ان تاهوا في كل طغيان وضاعوا في ضلاله . وافتعلوا امثال العجايز وخيّلوا خيالات الاحلام فكل واحد من هذين القولين جموح قد اندفع على وجهه لا يقدر ان يرجع الى الامر الوسط الذي منه الرشد

وكذلك وقع في هذا الامر الموضوع لنا في موت المسيح قولان سمجان رديان يحيطان قول الحق فيه كل واحد منهما يخالف صاحبه ويخالف كلاهما الحق. احدهما قول نسطوريوس الذي يزعم انه اذا قال ان المسيح مات عنا انما يعني انه مات عنا انسان صرف في طبيعتنا مثل احدنا وان هذا الانسان ليس هو الابن الازلي المتأنس في شأننا. والقول الآخر قول يعقوب الذي يزعم انه اذا قال ان المسيح مات انما يعني انه مات الابن الازلي في طبيعته الالهية . وقول الارثوذكسية يقع فيما بينهما مهذباً ناصعاً نوره فانها اذا قالت ان المسيح مات عنا فليس تعني ان انساناً صرفاً مثل احدنا مات عنا في طبيعته الالهية وانما تعني ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور مات عنا لا في طبيعته الالهية بل في طبيعته الانسية التي اتخذها من الروح القدس ومن مريم العذراء . لانه ان كان الذي مات عنا انساناً صرفاً كما قال نسطوريوس فلا خلاص لنا اذن لان الانسان حسبه ان يخلص نفسه وكيف يستقيم ان يكون الانسان الواحد فداء لكل الناس ان كان الله انما اسلم هذا الانسان للموت لاقامة عدله ولئلا يكون عبثاً وناموسه باطلاً حيث يكون افترضه على الناس ولا يستوفي حقوقه بل لا يغفر لاحد خطيئة حتى يتقاضى منه كل عقوبة لزمته من حدود الناموس فان هذا ليس من العدل اذ يكون واجباً لله على كل واحد من الناس ان يُفضح وان يُجلد ويُصلب ويقتل ويحل به كل نوع من العقوبات المحدودة في الناموس على الخطايا مراراً لا تعد. ثم لا يسلم كل من آمن بموت المسيح من هذا كله بتجشم المسيح اياه عنه مرة واحدة اذا كان التجشم

انساناً صرفاً لان هذا الانسان ليس عدلاً لكلنا حتى تكون اوجاعه عوضاً للناموس عن عقوبات كلنا التي تجب لله علينا

وان كان الله لا يريد باسلامه هذا الانسان للموت اقامة عدله وان يجعل ناموسه الذي افترضه على الناس باطلاً حيث لا يتقاضى حقوقه من الناس بالاوجاع الحالة عليهم بهذا الواحد وكان له سبيل الى مغفرة الخطايا بلا هذا القصاص . فان اسلامه هذا الانسان للموت ولهذه الاوجاع قد صار باطلاً وكان الله لا يسلم من ان يكون عبثاً في كلا الوجهين سبحانه وتعالى عن ذلك

ولكن نسطوريوس لم يعرف سر المسيح ولا سبب التجسد والاوجاع والموت الحالّ بالمسيح وترك اتباع الروح القدس بالايمان اذ غيبت على عقله معرفة حقيقية السر وكان ذلك عوضاً له من المعرفة وابعاداً لعقله الجسداني . فقال ان الابن الازلي ليس يستقيم ان يصلب ولا ان يموت. وقد كان لو يعقل حسبه هذه القضية التي خرجت عليه من ان قوله يلزم الله من العبث والباطل اذ يجعل الذي مات عنا انساناً صرفاً . ولكن لا ضير ان نعرّفه ايضاً عن سماجة لواحق قوله عدا هذا لعله يرعوي اذا رأى السماجة محيطة به من كل ناحية . اخبرني يانسطوريوس عن هذا الانسان الذي صار ان يموت عنا انما هو احد اربعة اشياء . اما ان يكون الله امره بذلك . او طلبه اليه . او جبره عليه . او يكون قد تبرّع هو به واقدم عليه من غير ان يستأمر الله فيه

فان كان هذا الانسان مأموراً بان يموت عنا فانه لا حمد له عندنا لانه انما اكره نفسه على الموت تخوفاً من معصية الله لكيلا تلحقه منه عقوبة . ومن كان كذلك لا يكون مخلصاً لغيره لان سعيه انما يكون لنفسه التماساً لخلاصها من العقوبة التي يحذر ان تلحقه ان هو عصى الله

وان كان هذا الانسان مطلوباً اليه من الله ان يموت عنا بحرية نفسه فهذا مما يدخل الضعف على الله حيث لا يقدر على خلاصنا الا بهذا الانسان لو شاء لما اسعف الله في طلبته اليه ان يموت عنا . ولو انه امتنع على الله قد كان الله اعياه خلاصنا جل عن ذلك . وقد صار هذا الانسان يستحق منا ان نشركه مع الله في الحمدة على خلاصه ايانا معه وان نجعله في ذلك عدل الله . وان نظرت في حقيقة الامر كان هذا الانسان بقدر قولك يانسطوريوس اشد استحقاقاً للحمدة من الله تبارك اذ كان الله انما هوي خلاصنا فقط وهذا هوي ذلك مثله وتجشم من الاوجاع والبلايا فيه ما لم يتجشم الله . وهذا كله اسمج ما يكون اذ نجعل انساناً يفوق الله في الفضل او يكون فيه عدله تعالى عن ذلك

وان كان هذا الانسان مجبوراً من الله على ان يموت عنا فان الذي يموت عنا قهراً لم يفدنا من خطايانا عملناها بمشيئتنا واستوجبنا عليها الموت ولا يكون مخلصاً لنا . ولو ان الله رضي بقتل لا يكون طوعاً يجعله فداءنا من خطيئتنا لقد كانت له سعة في الثيران والخرفان التي كانت تذبح في العتيقة عن الخطايا المرسوم بها قبل المسيح الذي كان حقاً تغفر الخطايا . كانت تلك اولى بذلك من هذا الانسان ان كان مقهوراً على قتل فقد كان

انساناً صرفاً لان هذا الانسان ليس عدلاً لكلنا حتى تكون اوجاعه عوضاً
للناموس عن عقوبات كلنا التي تجب لله علينا

وان كان الله لا يريد باسلامه هذا الانسان للموت اقامة عدله وان
يجعل ناموسه الذي افترضه على الناس باطلاً حيث لا يتقاضى حقوقه من الناس
بالاوجاع الحالة عليهم بهذا الواحد وكان له سبيل الى مغفرة الخطايا
بلا هذا القصاص . فان اسلامه هذا الانسان للموت ولهذه الاوجاع قد
صار باطلاً وكان الله لا يسلم من ان يكون عبثاً في كلا الوجهين سبحانه
وتعالى عن ذلك

ولكن نسطوريوس لم يعرف سر المسيح ولا سبب التجسد والاوجاع
والموت الحالّ بالمسيح وترك اتباع الروح القدس بالايمان اذ غيبت على
عقله معرفة حقيقية السر وكان ذلك عوضاً له من المعرفة وابعاداً لعقله
الجسداني . فقال ان الابن الازلي ليس يستقيم ان يصلب ولا ان يموت .
وقد كان لو يعقل حسبه هذه القضية التي خرجت عليه من ان قوله يلزم
الله من العبث والباطل اذ يجعل الذي مات عنا انساناً صرفاً . ولكن لا
ضير ان نعرّفه ايضاً عن سماجة لواحق قوله عدا هذا لعله يرعوي اذا رأى
السماجة محيطة به من كل ناحية . اخبرني يا نسطوريوس عن هذا الانسان
الذي صار ان يموت عنا انما هو احد اربعة اشياء . اما ان يكون
الله امره بذلك . او طلبه اليه . او جبره عليه . او يكون قد تبرّع هو به
واقدم عليه من غير ان يستأمر الله فيه

فان كان هذا الانسان مأموراً بان يموت عنا فانه لا حمد له عندنا
لانه انما اكره نفسه على الموت تخوفاً من معصية الله لكيلا تلحقه منه
عقوبة . ومن كان كذلك لا يكون مخلصاً لغيره لان سعيه انما يكون لنفسه
التماساً لخلاصها من العقوبة التي يحذر ان تلحقه ان هو عصى الله

وان كان هذا الانسان مطلوباً اليه من الله ان يموت عنا بحرّية نفسه
فهذا مما يدخل الضعف على الله حيث لا يقدر على خلاصنا الا بهذا
الانسان لو شاء لما اسعف الله في طلبته اليه ان يموت عنا . ولو انه امتنع على
الله قد كان الله اعياه خلاصنا جل عن ذلك . وقد صار هذا الانسان يستحق
منا ان نشركه مع الله في المحمدة على خلاصه ايانا معه وان نجعله في
ذلك عدل الله . وان نظرت في حقيقة الامر كان هذا الانسان بقدر قولك
يا نسطوريوس اشد استحقاقاً للحمدة من الله تبارك اذ كان الله انما هوي
خلاصنا فقط وهذا هوي ذلك مثله وتجشم من الاوجاع والبلايا فيه
ما لم يتجشم الله . وهذا كله اسمج ما يكون اذ نجعل انساناً يفوق الله
في الفضل او يكون فيه عدله تعالى عن ذلك

وان كان هذا الانسان مجبوراً من الله على ان يموت عنا فان الذي
يموت عنا قهراً لم يفدنا من خطايانا عملناها بمشيئاتنا واستوجبنا عليها الموت
ولا يكون مخلصاً لنا . ولو ان الله رضي بقتل لا يكون طوعاً لجعله
فداءنا من خطيئتنا لقد كانت له سعة في الثيران والخرفان التي كانت تذبح
في العتيقة عن الخطايا المرسوم بها قبل المسيح الذي كان حقاً تغفر الخطايا .
كانت تلك اولى بذلك من هذا الانسان ان كان مقهوراً على قتل فقد كان

بلا شك اسفه على الله الذي قهره متلظياً عليه. والذي هو كذلك لا يكون ذبيحة لله بل عند الله دنس مكروه ومدفوع

وان كان هذا الانسان تبرّع بان يموت عنا من غير ان يستأمر الله في ذلك فقد صار لله عاصياً اذ اقدم من امر خلقه على ما لم يكن يعلم ان كان لله موافقاً او له فيه الرضاء . وحسبه ذلك ان يجعله نفياً من حد الخلاص. وقد نسمع المسيح يقول اني قد اعطيت ملك السماوات و الارض (متى ٢٨ : ١٨) وانت تزعم يانسطوريوس ان المعطى هو انسان لانه لا يستقيم للابن الازلي ان يكون معطى . فان كان الامر على ما تذكر فان هذا الانسان انما اعطي على احد وجهين اما ان يكون الله شرط له مكافاةً على ما تلقى عنا من الاوجاع والموت اذ طلب اليه ان يبذل نفسه لذلك عنا واما ان يكون الله حيث رأى هذا الانسان قد اجابه سلساً له بما اراد رآه مستحقاً ان يعطى سلطان السماوات والارض . فان كان هذا الانسان مشروطاً له من الله هذا السلطان بموته فقد صار جبرًا ولا يستقيم ان يكون مخلصاً لانه ليس عنا مات وانما مات في شأن نفسه مكتسباً لها ذلك بالامل الذي اطمعه الله فيه ونحن لا ننتفع من ناحيته شيئاً . وان كان هذا الانسان أعطي هذا السلطان لان الله رآه مستحقاً له لما كان من سلسه بالموت اذ طلب الله اليه ان يتجشم عنا وكان قد اعطيه على وجه الشرط فانه قد يحق علينا وعلى الملائكة الا تصلي لله ولا تطلب اليه شيئاً لان سلطانه كله قد اعطاه لهذا الانسان والله لا يندم على عطيته فيستردها ولا يغدر في شرطه . وقد ينبغي ان يكون كل من صلى منا لله

مغضباً لله . لان الله يقول للمصلي منا ان انطلق عني وارفع طلبتك الى الذي قد دفعت اليه سلطاني كله . وبهذا يتم الله لهذا الانسان ما قد اعطاه اياه . لانه ان كان هذا الانسان قد اعطاه الله سلطان السماوات والارض وكان الله هو الذي يدبر هذا السلطان كتدبيره اياه . فهذه عطية ليس لها حقيقة ولا نرى هذا الانسان انتفع منها بشي بتة

وان الجئت يانسطوريوس ان تمنع الله سجدتك وعبادتك وتجعلها لهذا الانسان دونه فقد خاب سعيك وصرت بيناً انت ملتمس تشريف الله بان تنزهه عن الموت اذ تسلبه سلطانه كله وادخلت الضعف عليه حيث تجعله لم يقدر ان يخلص خلقه الا بان استأجر لذلك هذا الانسان الذي لو شاء الا يجيبه الى ما طلب اليه قد كان خلاصنا ممتنعاً عليه لا يستطيعه . والعجب منك حيث تسمع الله يقول في النبي اني لست معطياً تسبحتي احداً (اش ٤٢ : ٨) وترى المسيح يقول ان ابن الانسان يجيء في تسبحة الاب (متى ١٦ : ٢٧) ثم تطيب نفسك ان تقول ان ابن الانسان هذا ليس هو الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور الذي تخلى من تسبحته في شأننا زمنياً حيث اخذ صورة عبد . فلما قضى تدبيره عنا بتنكره للشيطان عدونا وعدله عليه اخذ ما كان تخلى منه من تسبحته فوقع ذلك في موضعه . ولم تنتقل السجدة منا ومن الملائكة ولا العبادة الى غير من يستحقها من الجوهر الالهي . بل انما كان تخليه لمن كان شذ عنه واجتذاباً لهم الى ما كانوا عطلوا من سجدته وعبادته التي لم يزل مستحقاً لها وفيها الحياة والفوز العظيم لمن قضاها كما قال في الانجيل في شأن الشاة التي ضلت

من بين المائة فترك الراعي الصالح التسعة والتسعين وخرج يطلب الضالة حتى ردها (لو ١٥ : ٤) ولكن لست ادري كيف استحسنت ان تسلب الله تسبحته وتحلي بها انساناً لحاجة في ان تقول ان الابن الازلي ليس يستقيم ان يموت وانت ترى الكنيسة تقول ليس في طبيعته الالهية مات بل في طبيعته الانسية التي اخذها من روح القدس ومن مريم العذراء . وخفت مخافة حيث ليس مخافة كما قال النبي (مز ١٣ : ٥) فمن حيث قبلت الكلام فانه لا يستقيم ان يكون الذي مات عنا انساناً كما قد تذكر . وحسبك هذا ابطالاً لما تقوله من ذلك . ولقد كان فيما هو دونه عبرة لمن ليست همته المراء تقنعه ان الصواب في قول الارثوذكسية

فاما انت يا يعقوبي الجافي المتفحم فاني اشاء ان تعلم انك قد بلغت من الغلط حداً لا تبلغه البهائم ومن الجرأة على الله غاية تقصر دونها ابليس وجنوده حيث تقول ان الله مات في طبيعته الالهية . اما تعلم ويحك ان الطبيعة الالهية مبسوطة وان موتها لو يكون (وحاشا لها) انما هو فناؤها ومصيرها الى لا شيء . فان فنيت الطبيعة الالهية وصارت الى لا شيء فليست بازلية بل انما انتقلت من ان كانت الى ان لم تكن . وقد ينبغي ان كانت كذلك ان يكون لها ناقل هو خالقها ثم تكون قد ولدت علينا خالقاً غير الاب والابن والروح القدس . لانه ليس من شيء يقال على الابن انه له طبيعياً في طبيعته الالهية الا ويقال على الاب والروح مثلما قد يقال عليه . وصرت بيّناً انت تلتمس ان تفتخر لنفسك بالخلاص بموت هذا الابن الازلي اذ عدمت اللاهوت باسرها

وصرت بلا اله . وحططت الاب والابن وروح القدس عن مرتبة اللاهوت والازلية وسويتهم بنفسك . أفٍّ لجهلك ما اجفاه بل قبح لفحش شيطنتك . فقد كان لعمري خيراً لك ان تكون مجنوناً تصرع ولا تستولي الشيطان على لسانك هذا الاستيلاء كله فيحملك ان تكابر الله بهذا الافتراء مع ان هذا الخلاص الذي تفتخر به في قولك ان الله مات قد بطل عنك اذ تقول ان الموت انما عرض له في طبيعته الالهية . لانه ان كان كذلك فقد تلف الابن الازلي وهلك وصار الى لا شي كما قد ذكرنا . وصارت النفس الانسية التي كانت له قد أسرت في الجحيم وسجنت في مطابق الظلمة وبقيت هناك الى الابد . وجسده قد بلي وآل الى الفساد والاضمحلال والانحلال ولا قيامة له . وهذا كان يكون مصير النفس والجسد لا محالة لو كان الله مات عنا في طبيعته الالهية وتلف وصار الى لا شيء . وحاشا له

والعجب ان الابن الازلي هبط من السماء فتأنس التماساً ان يخلص فهلك بقدر قولك ولم يخلص لا نفسه ولا جسده ولا ايانا . لأنا ان كانت نفس المسيح بقيت في الجحيم وصار جسده الى الفساد فلسنا نرجو القيامة ابداً

لقد خيّبت مسعى الابن الازلي يا يعقوبي وليتك اوقفته عند الخيبة ولكنك ادخلت عليه اعظم البوار قاتلك الله ما اشد عماك واقبح ما بين عينيك

وان زعمت يا يعقوبي انك اذا قلت ان المسيح مات فلست تعني ان

من بين المائة فترك الراعي الصالح التسعة والتسعين وخرج يطلب الضالة حتى ردها (لو ١٥ : ٤) ولكن لست ادري كيف استحسنت ان تسلب الله تسبحته وتحلي بها انساناً لحاجة في ان تقول ان الابن الازلي ليس يستقيم ان يموت وانت ترى الكنيسة تقول ليس في طبيعته الالهية مات بل في طبيعته الأنسية التي اخذها من روح القدس ومن مريم العذراء . وخفت مخافة حيث ليس مخافة كما قال النبي (مز ١٣ : ٥) فمن حيث قبلت الكلام فانه لا يستقيم ان يكون الذي مات عنا انساناً كما قد تذكر . وحسبك هذا ابطالاً لما تقوله من ذلك . ولقد كان فيما هو دونه عبرة لمن ليست همته المرآء تقنعه ان الصواب في قول الارثوذكسية

فاما انت يا يعقوبي الجافي المتفخم فاني اشاء ان تعلم انك قد بلغت من القلظ حداً لا تبلغه البهائم ومن الجرأة على الله غاية تقصر دونها ابليس وجنوده حيث تقول ان الله مات في طبيعته الالهية . اما تعلم ويحك ان الطبيعة الالهية مبسوطة وان موتها لو يكون (وحاشا لها) انما هو فناؤها ومصيرها الى لا شيء . فان فنيت الطبيعة الالهية وصارت الى لا شيء فليست بازلية بل انما انتقلت من ان كانت الى ان لم تكن . وقد ينبغي ان كانت كذلك ان يكون لها ناقل هو خالقها ثم تكون قد ولدت علينا خالقاً غير الاب والابن والروح القدس . لانه ليس من شيء يقال على الابن انه له طبيعياً في طبيعته الالهية الا ويقال على الاب والروح مثلما قد يقال عليه . وصرت بيّناً انت تلتمس ان تفتخر لنفسك بالخلاص بموت هذا الابن الازلي اذ عدمت اللاهوت باسرها

وصرت بلا اله . وحططت الاب والابن وروح القدس عن مرتبة اللاهوت والازلية وسوّيتهم بنفسك . أفّ لجهلك ما اجفاه بل قبح لفحش شيطنتك . فقد كان لعمري خيراً لك ان تكون مجنوناً تصرع ولا تستولي الشيطان على لسانك هذا الاستيلاء كله فيحملك ان تكابر الله بهذا الافتراء مع ان هذا الخلاص الذي تفتخر به في قولك ان الله مات قد بطل عنك اذ تقول ان الموت انما عرض له في طبيعته الالهية . لانه ان كان كذلك فقد تلف الابن الازلي وهلك وصار الى لا شي كما قد ذكرنا . وصارت النفس الانسية التي كانت له قد أسرت في الجحيم وسجنت في مطابق الظلمة وبقيت هناك الى الابد . وجسده قد بُلي وآل الى الفساد والاضمحلال والانحلال ولا قيامة له . وهذا كان يكون مصير النفس والجسد لا محالة لو كان الله مات عنا في طبيعته الالهية وتلف وصار الى لا شيء . وحاشا له

والعجب ان الابن الازلي هبط من السماء فتأنس التماساً ان يخلص فهلك بقدر قولك ولم يخلص لا نفسه ولا جسده ولا ايانا . لانا ان كانت نفس المسيح بقيت في الجحيم وصار جسده الى الفساد فلسنا نرجو القيامة ابداً

لقد خيّبت مسعى الابن الازلي يا يعقوبي وليتك اوقفته عند الخيبة ولكنك ادخلت عليه اعظم البوار قاتلك الله ما اشد عماك واقبح ما بين عينيك

وان زعمت يا يعقوبي انك اذا قلت ان المسيح مات فلست تعني ان

الابن الازلي مات في طبيعته الالهية . ولكنك تقول ان الطبيعة المركبة
من اللاهوت والناسوت التي ابتدعتها من قلبك وثناً تعبده فسميتها مسيحاً
هي التي ماتت فويحاً لك ثم ويحاً كيف تنتقل من خطاء الى خطاء
ليس بدونه . وتخرج من ظلمة الى ظلمة ؟ اما تعلم انه ان كان الموت
هو لهذه الطبيعة المركبة من اللاهوت والناسوت التي زعمتها فوتها
انحلال تركيبها . وانحلال تركيبها هو افتراق اللاهوت والناسوت جزئيها
اللذين منهما ركبت . ومفارقة النفس الجسد ليست يقال لها موت النفس
بل يقال انها موت الانسان المركب من النفس والجسد . كذلك
حيث ماتت هذه الطبيعة المركبة من اللاهوت والناسوت بزعمك فبان
اللاهوت من الناسوت . فليس هذا موت الاله بل انما موت تلك الطبيعة
المركبة التي ابتدعها لك سويرس فسمّاها مسيحاً . وجعل المسيح غير الابن
الازلي وادخله رابعاً تعبده مع الثالث لا اله هو ولا انسان . وقد صرت
بيناً انك تجاهد الناس ان يقولوا ان الله قد مات اذ قد برئت من موت
الله بجهلك ولحقك ايضاً من مفارقة اللاهوت والناسوت مثل الذي
لحقك في قولك ان الله مات في طبيعته الالهية . اي ان النفس الانسية
ارتهنت في الجحيم . فلعمري لقد كانت ترتهن هناك اذ اللاهوت نائية
عنها بقدر قولك . وبلي الجسد وتشذب (١) الى كل طبيعته ولم يكن
قيامة وصارت اوجاع المسيح وموته باطلاً وبقي علينا سلطان الموت
والجحيم . وهذا هدم القولين اللذين زلاً عن الاستقامة في موت المسيح

(١) تشذب اذا تفرق

وقد بقي ان نأتي بصواب الارثوذكسية فنبدي جمالها ونحقق رأيها
الذي هو رأي روح القدس لا محالة ان الارثوذكسية اذا قالت ان
المسيح مات انما تعني ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور
مات عنا لا في طبيعته الالهية ولكن في طبيعته الانسية . وذلك ان المسيح
عندها هو الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور وان كان لم يستحق
ان يسمى مسيحاً الا من حيث تأنس من روح القدس ومن مريم العذراء .
وهي تزعم ان لهذا الابن الازلي بعد تأنسه طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة
انسية . لانه لم يزل الهاً في الطبيعة وصار انساناً في الطبيعة من غير ان
يتبدل بل بقي الهاً كما لم يزل . فهو الآن اي هذا الابن الازلي اله تام
وانسان تام هو بعينه لا اخرولا اخر . من اجل ذلك قد يقال عليه كل
شيء يقال على الله في طبيعته الالهية وكل ما يقال على الانسان في طبيعته
الانسية . فلان من صفة الاله في طبيعته الا يموت قد يقال بالحقيقة على
هذا الابن الازلي انه في طبيعته الالهية لا يموت . ولان من صفة
الانسان في طبيعته ان يموت قد يقال بالحقيقة على هذا الابن الازلي انه
مات في طبيعته الانسية

ولكن اليعقوبيين يقولون انك ان زعمت ان الابن الازلي مات في
طبيعته الانسية لا في طبيعته الالهية فقد قلت انه مات ولم يمت وصار
قولك الآخر مبطلاً للاول . فكان مصيرك الى ان قلت ان الابن الازلي
لم يمت . وكذلك يقولون في مولود مريم العذرا انا اذا قلنا نحن معشر
الارثوذكسية ان الابن الازلي ولد من مريم العذراء لا في طبيعته الالهية

لكن في طبيعته الانسية . فقد قلنا ان الابن الازلي ولد من مريم ولم يولد وابطل آخر كلامنا اوله. وصارت غاية قولنا ان الابن الازلي لم يولد من مريم العذراء . ثم يصيخون ويقولون ان الخلكيدونيين يزعمون ان الابن الازلي لم يولد من مريم العذراء ولم يمت فهم نسطوريون

فنحن نقول يا معشر اليعقوبيين ما اغلظ عقولكم التي ورثتموها عن ابهاتكم العماة واقربها الى البهيمة . اخبرني يا هذا ان قلت لك ان الانسان يبصر بعينيه لا باذنيه هل اقول اني قلت لك ان الانسان يبصر ولا يبصر وابطل آخر قولي اوله وصارت غاية كلامي ان الانسان اعمى ؟ اني لا اظن هذا ولا يخفى ولا على الاطفال الذين ما دربت حواسهم على شيء من العلم انه ليس كما يقول اليعقوبيون

فان زعم اليعقوبيون انه ليس هكذا ينبغي ان يقال فيقولون هم ان الانسان يبصر باذنيه ويأكل بعينيه ويسمع برجليه . ولكن هذا ليس كذلك بل يعلم جميع الناس ان الانسان يبصر بعينيه لا باذنيه ويقولون ان الانسان ينطق بلسانه لا برجليه ولا يقولون لذلك ان الانسان ليس بناطق . كذلك نعلم ان الابن الازلي ولد من مريم العذراء في طبيعته الانسية لا في طبيعته الالهية ولا يلحقنا في ذلك ان نقول ان الابن الازلي لم يمت . وقد جعلنا قولنا كثيراً في هذا الشرح من الكلام وفي امثاله واشكاله وتصريف انحائه وفيما تقدم منه ويؤخر في اللفظ واثبتنا ان الصواب فيه والاستقامة في قول الارثوذكسية . واتينا على كل شكل من امثاله بنظيره من كلام الآباء المقدسين في ثلاثين ميمراً وضعناها بالسريانية مدحاً لرأي

الارثوذكسية ولقول مارليون القديس اسقف رومية . وهذا ما لقي سوارس الذي نعما سمي في زمانه السخلستيق (١) الحمار لجفائه وغلظ عقله . واعلم ان هذا القول الذي ذكرنا لا يقنع نسطوريوس الذي قد جعل نفسه حية تنساب على الارض فطعامه من التراب لانه لا يقبل غير الارضيات ولا يشاء ان يسمو بذهنه الى السماء ولو قليلاً فيرسخ في قول الروحانيات بل يقول لنا ان عقلي لا يسقط على هذا الموت الذي تقولون على الابن الازلي ان نتوهمه لان الابن الازلي اله من اله عدل الاب ومن جوهره . وليس يستقيم ان يقال عليه الموت في حال من الحالات . فنقول له يا نسطوريوس انّا انما قبلنا مصاحف العتيقة والحديثة بالايمان للعجائب التي عملها باسم المسيح التلاميذ الذين اوصلوا هذه المصاحف الينا التي لا تعدُّ ولا تحصى . وقد كان حسبنا ان نقول لك ان الانجيل يقول ان الكلمة صارت لحماً اي انساناً في الوجه الذي يغدوا عقولنا ونقول عليها لذلك كما يقال على الانسان . فالآن الانسان يموت وقد نقول على الابن الازلي انه مات لانه انسان . وكما انّا نعلم انه حيث صار انساناً لم يتبدل ولم يدخل عليه مضرّة . كذلك نوقن انه حيث مات لم يفنَ ولم تدخل عليه عاهة

و قد اعلم انه لا ينفعك وان كان لازماً لك ان تقنع به اذ تنحل الايمان بهذه المصاحف المقدسة . فنقول لك ايضاً ان الابن الازلي انما

---

(٢) Scolastique اى المعلم المدرسى والمحامى كانت تطلق في ذلك الزمان مثل دكتور عندنا اليوم

لكن في طبيعته الانسية . فقد قلنا ان الابن الازلي ولد من مريم ولم يولد وابطل آخر كلامنا اوله. وصارت غاية قولنا ان الابن الازلي لم يولد من مريم العذراء . ثم يصيحون ويقولون ان الخلكيدونيين يزعمون ان الابن الازلي لم يولد من مريم العذراء ولم يمت فهم نسطوريون

فنحن نقول يا معشر اليعقوبيين ما اغلظ عقولكم التي ورثتموها عن ابهاتكم العماة واقربها الى البهيمة . اخبرني يا هذا ان قلت لك ان الانسان يبصر بعينيه لا باذنيه هل اقول اني قلت لك ان الانسان يبصر ولا يبصر وابطل آخر قولي اوله وصارت غاية كلامي ان الانسان اعمى ؟ اني لا اظن هذا ولا يخفى ولا على الاطفال الذين ما ذربت حواسهم على شيء من العلم انه ليس كما يقول اليعقوبيون

فان زعم اليعقوبيون انه ليس هكذا ينبغي ان يقال فيقولون هم ان الانسان يبصر باذنيه ويأكل بعينيه ويسمع برجليه . ولكن هذا ليس كذلك بل يعلم جميع الناس ان الانسان يبصر بعينيه لا باذنيه ويقولون ان الانسان ينطق بلسانه لا برجليه ولا يقولون لذلك ان الانسان ليس بناطق. كذلك نعلم ان الابن الازلي ولد من مريم العذراء في طبيعته الانسية لا في طبيعته الالهية ولا يلحقنا في ذلك ان نقول ان الابن الازلي لم يمت. وقد جعلنا قولنا كثيراً في هذا الشرح من الكلام وفي امثاله واشكاله وتصريف انحائه وفيما تقدم منه ويؤخر في اللفظ واثبتنا ان الصواب فيه والاستقامة في قول الارثوذكسية . واتينا على كل شكل من امثاله بنظيره من كلام الآباء المقدسين في ثلاثين ميمراً وضعناها بالسريانية مدحاً لرأي

الارثوذكسية ولقول مارليون القديس اسقف رومية . وهذا ما لقي سوارس الذي نعما سمي في زمانه السخلستيق (١) الحمار لجفائه وغلظ عقله . واعلم ان هذا القول الذي ذكرنا لا يقنع نسطوريوس الذي قد جعل نفسه حية تنساب على الارض فطعامه من التراب لانه لا يقبل غير الارضيات ولا يشاء ان يسمو بذهنه الى السماء ولو قليلاً فيرسخ في قول الروحانيات بل يقول لنا ان عقلي لا يسقط على هذا الموت الذي تقولون على الابن الازلي ان نتوهمه لان الابن الازلي اله من اله عدل الاب ومن جوهره . وليس يستقيم ان يقال عليه الموت في حال من الحالات . فنقول له يانسطوريوس انّا انما قبلنا مصاحف العتيقة والحديثة بالايمان للعجائب التي عملها باسم المسيح التلاميذ الذين اوصلوا هذه المصاحف الينا التي لا تعدُّ ولا تحصى . وقد كان حسبنا ان نقول لك ان الانجيل يقول ان الكلمة صارت لحماً اي انساناً في الوجه الذي يعدوا عقولنا ونقول عليها لذلك كما يقال على الانسان . فالآن الانسان يموت وقد نقول على الابن الازلي انه مات لانه انسان . وكما انّا نعلم انه حيث صار انساناً لم يتبدل ولم يدخل عليه مضرّة . كذلك نوقن انه حيث مات لم يفنَ ولم تدخل عليه عاهة

و قد اعلم انه لا ينفعك وان كان لازماً لك ان تقنع به اذ تنتحل الايمان بهذه المصاحف المقدسة . فنقول لك ايضاً ان الابن الازلي انما

(٢) Scolastique اى المعلم المدرسى والمحامى كانت تطلق في ذلك الزمان مثل دكتور عندنا اليوم

صار انساناً بان اتخذ نفساً انسية وجسداً انسياً من روح القدس ومن مريم العذراء وجعلهما له كما ان نفس كل واحد منا وجسده اللذين هما له وهذا ما لست اظنك تنكره للابن الازلي ان يستطيعه . ونقول انه كما ان نفس احدنا اذا زايلت جسده قيل ان ذلك الانسان الذي كانت له تلك النفس وذلك الجسد قد مات . كذلك حيث فارقت نفس الابن الازلي جسده قيل قد مات الابن الازلي بما انه انسان مثلما يموت احدنا . والابن الازلي لم تدخل عليه المضرّة من ذلك بل كان حياً في طبيعته الالهية وكان مع النفس في الجحيم ومع الجسد في القبر وهو الذي وصل فرقهما لليوم الثالث واعاد تركيبهما كما كان عليه قبل الموت . وكما ان احدنا اذا رجعت نفسه يقال انه قد قام الذي كانت له الجسد والنفس كذلك نقول ان الابن الازلي قام من الموتى لليوم الثالث اذ رجعت نفسه الى جسده فاتصلت به كما يقوم احدنا . وهذا القول فيه قنوع لمن ليس من شأنه الجحود وكان حسب نسطوريوس به ردعاً لانكاره ما تقول الارثوذكسية من موت الابن الازلي في طبيعته الانسية .

واذ قد وضعنا في هذا قولاً فانه ينبغي ان نمنع اهل الارثوذكسية براي فيه لطف يجمع اشياء كثيرة يسألون عنها وهي تشكل على عقول العامة . انما ينبغي ان نعرف موت هذا الابن الازلي من كونه انساناً . فمن عرف كيف كان انساناً فقد وضح له كيف مات . وبمعرفة كونه حياً نهتدي الى معرفة موته . ونحن نقول ان الابن الازلي انما صار انساناً بانه شاء بمسرة الاب والروح ان يقصر قوته التي لا نهاية لها

فيوقفها بحد قوة الانسان التي له في طبيعته على حقيقتها وغايتها ولا يعدوها بتة . وهذا الامر معروف اذ ليس يدخل على الابن الازلي غيراً كما انه لو ان انساناً يقدر ان يرمي بيده من اقصى الدنيا الى اقصاها احب ان لا يعدو برميه قدر ميل واحد لما كان ذلك غيراً دخل على قوته ومضرة . بل هذه القوة القادرة التي تستطيع ان تقدر بالنحوين تفعل على نحو عمد المشيئة فاما القوة التي لا تقدر على عمد المشية فتلك جموح اوقوة ضعيفة . وانما هي كالماء اذا امتد لا يقدر ان يرتدع من قبل نفسه او كالنار اذا مست ما تقدر الاّ ان تحرق من قبل نفسها . وكالمنطق المهمل الذي لا يدبره العقل فيكون وسواساً . فالابن الازلي له قوة قادرة يستطيع ان يقدرها كيف شاء لانه اله تام . فشاء كما ذكرنا بمسرة الاب والروح القدس ان يحصر قوته التي لا نهاية لها الى ان اوقفها بحد قوة الانسان الطبيعية وذلك بحلوله في جوف مريم العذراء مع بشارة جبريل الملاك . وتأنس دون الاب والروح ولذلك يقول الاونجلسيطيس ان الكلمة صارت لحماً

واعلم ان هذا الابن الازلي كان في جوف العذراء كقوة زرع الرجل في جوف المرأة ما خلا ان الابن لم يكن له جسد من جوهره بتة كما لقوة الزرع . فالتقى الابن وهو على هذه الحال بزرع المطهرة في جوفها كما يلتقي زرع الرجل والمرأة في جوف المرأة وحبلت مريم العذراء بالابن الازلي وولدت كما تحبل المرأة بزرع الرجل وتلده . من اجل ذلك مريم هي والدة الاله حقاً كما تكرز بها الكنيسة وكما ان لقوة زرع الرجل

في طبيعتها اذا التقت في الرحم مع زرع المرأة ان تعطي لنفسها الاعضاء وتصور لها هذه الصورة الانسية من الهيولى التي تخرج معها من زرع الرجل والمراة وتقسم نفسها لكل عضو بقدر ما يستحق ان يكون فيه كذلك الكلمة عضت لنفسها الاعضاء من زرع مريم الطاهرة. وصورت لها منه هذه الصورة الانسية وصارت في كل عضو من تلك الاعضاء .وفي النفس كما يستحق كل شيء من ذلك ان يكون فيه قوة الطبيعة الانسية . وكما انه خاق الابن الازلي الاشباح بدءاً ثم قواها ان تجري في التوالد.وكان روح القدس هو الذي ولي ذلك منها اذ ان يدميه لها بتهيئة روح القدس وتقويته صنع الابن لنفسه ذلك الجسد الانسي من الزرع الذي ناولته المطهرة باشغال روح القدس اياها كما تصنع قوة الزرع الانسي لنفسها الاعضاء بتقوية روح القدس لم يعد الابن في ذلك حد قوة الزرع بتة وان روح القدس تولّى من الابن في ذلك كما يليه الزرع القوة الانسي .الى هذا كله انحط الابن الازلي بمشيئته ومسرة الاب والروح في شأن خلاصنا حتى انه رتب نفسه في حد خلق واحتاج الى تقوية روح القدس الذي هو عدله في الجوهر والقوة . من اجل ذلك تقول ابهات نيقية المقدسون في شأن الابن الازلي انه تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وما ذكرنا من ان الابن الازلي حصر قوته واوقفها بحال قوة الانسان الطبيعية مار بولس يحققه حيث يقول في شأن المسيح انه سكن فيه كل تمام اللاهوت جسدانياً (كو ٢ : ٩) ومعنى ذلك ان الذي هو في الجسد اقنوم تام من اللاهوت. الا انه كان فيه كالانسان

وان كان فيه كله بكليته . وقال ايضاً في شأن يسوع المسيح انه بصورة الله وانه لم يعد ذلك اختطافاً ان يكون عدلاً . بل اخلا نفسه واخذ صورة عبد . وهذا يدل على ما قد قلنا ان الابن حصر قوته واوقفها بحد قوة الانسان الطبيعية كذلك لعمري تفعل تخليته نفسه وتعريفه اياها انه في حال تجسده اتى في الامر الذي في شأنه صار انساناً اذ لم يصنع ما يصنع الله بل صنع ما يصنع العبد ولم يعدو قدر العبد وصار الابن الحبيب الجوهري المستحق العبادة والطاعة من الخلق عبداً مطيعاً في شأننا واطاع حتى الموت كما قال مار بولس وبقي الهاً في طبيعته مثل الاب والروح كما لم يزل . هذا كون الكلمة انساناً فيما تبلغه عقولنا والذي بدا لنا من معرفة ذلك لا يكون ما يعدل خيط ضوء يدخل بيتاً مظلماً في ثقب كثقب الابرة اذا قرن الى ضوء الشمس كله

فان كان هذا كون الكلمة انساناً فموته انما هو مفارقة نفسه جسده . وان كان الابن في الجسد بمثل القدر الذي للجسد من قوة الطبيعة اذا فارقته النفس وكان الابن ايضاً في النفس بمثل القدر الذي للنفس الانسية في طبيعتها من القوة اذا فارقت الجسد وصار الابن الازلي قد افترق بلا افتراق مع افتراق النفس والجسد . وذلك ان الابن في فعله كان في النفس اكثر مما كان في الجسد كما ان ما للنفس من القوة في طبيعتها . اذا زايلت الجسد اكثر مما للجسد من القوة في طبيعته اذا زايلته النفس فافتراق الابن الازل مع النفس والجسد على هذا النحو الذي ذكرنا يحقق عليه الموت.ولا نرى ان افتراق الابن كان تبعاً لافتراق النفس والجسد

بل افتراق النفس والجسد كان تبعاً لافتراق الابن . لان الابن كان اقنوم النفس والجسد وحركتهما تبع لحركته . هذا كان من الابن الازلي في حال تأنسه . فاما في طبيعته الالهية فانه كان في النفس والجسد وفي كل بالسواء لانه لا يحوى ولا نهاية له في طبيعته الالهية وليس موضع يخلو منه

ولا تعجبن يا نصراني من قولنا ان الابن كان في النفس اكثر مما كان في الجسد في حال تأنسه اذ قلنا انه في طبيعته الالهية كان في كل بالسواء فان ذلك انما هو كقولنا عامة ان الابن في كل موضع في طبيعته الالهية بالسواء وانه كان في الجسد المأخوذ من مريم المطهرة كما لم يكن في شيء من الاشياء . وليس ذلك مما يدخل الضرر على طبيعته والا فقد يحقق الموت على الابن الازلي في حال تأنسه ولم يدخل على لاهوته من ذلك عاهة في النحو الذي ذكرنا . وكالت الارثوذكسة واشرق نور قولها ان الابن الازلي مات عنا في طبيعته الانسية لا في طبيعته الالهية

ولا ينكرن احد كون الابن الازل في كل موضع مع الاب والروح وان يفرّق فعله في اقدار شتى على اختلاف اقدار النفس والجسد وكل واحد من الاعضاء الانسية دون الاب والروح فان اللاهوت هكذا قدّر طبيعتها ان تكون في كل موضع بالسواء وان تبدي فعلها حيث ما شاءت بالقدرة والنحو الذي تشاؤه بحكمتها . وعلامة ذلك ان كل واحد ممن يدعي الايمان يقول ان الله في كل موضع وانه يبدو في العرش لملائكته ولا يبدو لهم في غير العرش من مواضع السّماء حتى تكاد تظن ان العرش محاته لا يكون في

غيره . وحيث ظهر لموسى في العليق وكانا نعلم انه كان في العليق وفي غير العليق في حال الاحتواء بالسواء . وحيث كان يترآى لموسى في السحابة بين الكاروبيم فوق التابوت في قبة الزمان ليس لانه لم يكن في غير ذلك من تلك القبة كان يترآى لموسى من هناك . ولكن لانه شاء ان يحد لموسى موضعاً يكون صمداً اليه في صلواته وما كان يقرب لله من البخور والخبز وغير ذلك كما حد العرش في السّماء للملائكة يكون صمداً لهم يسجدون لله نحوه لكيلا يتيهوا في طلبه في كل موضع فيختلف سجودهم ويتشتت امرهم وليكون يوعز اليهم باموره من ذلك الموضع ونظير هذا قد نجد في الكتب كثيراً ان تتبعناها وليس ينبغي ان نكثر فيه

والذي دعا الابن الازلي الى ان حد قوته بقدر قوة الانسان الطبيعية فلم يعدُ ذلك في حال تأنسه واخذ حقيقة الطبيعة الانسية من روح القدس ومن مريم العذراء وانه كان خلق الطبيعة الانسية في آدم على صورته وتمثاله كما قال الكتاب (تك ١ : ٢٣) وان الشيطان اغار على آدم فطين له حتى ازلّه وصير له ولذريّته الى الموت والفساد والتلف ووسّخها بالخطيئة . فظن الجاهل ان ذلك انما دخل على آدم من قبل نقص طبيعته لا من قبل استرخاء حريته وجعل بقحته يدخل العيب على الله في خلقته تلك الطبيعة اذ لم يكن بها قوة تحفظ نفسها من الافات التي دخلت عليها وكان يتهزا ويحه بصورة الله ويستطيل عليها ويكاد ان يلزم الله نقصاً في طبيعته اذ صارت صورته ناقصة من اجل ذلك حصر الابن الازل قوته الى قدر الطبيعة الانسية بالعدل واخذ حقيقتها من روح القدس ومن مريم العذراء فخرج من العذراء

ومشي في العالم متعرضا للشيطان فاقدم الشيطان على ان صارعه بكل وجه
من الصراع الذي صارع به آدم كما قد سمعتم في الانجيل انه فعل به في
البرية (متى ٢٤ - ١٠) واكب عليه مع ذلك الاوجاع المذكورة في
الانجيل فلم يقدر ان يصرعه ولا يزلّه. وفي كل ذلك لم يعدو الابن الازلي
في مقاتلة الشيطان حد الطبيعة الانسية ولا عدل مثقال ذرة فزكى الطبيعة
الانسية وازال العار عنها وفضح الشيطان الذي كان يعيرها وقمع استطالته
التي كان عليها وجعل الشيطان متهوراً بالجهل عند الملائكة والخلق كلهم بعد
ان كان يفتخر بحكمته وخبثه . ويقول اني استعبدت صورة الله وذلت لي
الخليقة كلها في سببها وجلّى الابن عن نفسه بما صنع من ذلك عند الملائكة
نظراً واعلمهم ان خلقه كان حسناً كما شهد عليه الكتاب وان صرعة الطبيعة
انما كان لا من قبل نقص خلقتها ولكن من قبل استرخاء حريّة آدم الذي
كان واليها فرفع الشك عن عقولهم واطمأنوا على عبادته لا يحذرون من
انفسهم زيغاً ابداً بعد ذلك واشترانا نحن الناس بعد ذلك باوجاعه وصلبه
وموته من لعنة الناموس وصار ما لقي من ذلك قضاء لما كان يجب منه
على كل من آمن به وبه كفاية ان يقضي عن كلنا لانه ابن ازلي خير من
كلنا بلا قياس

فنسطوريوس الذي يقول ان الذي تجشم عنا هذه الاوجاع والصلب
والموت وانما هو انسان قد بري من الخلاص ولعنة الناموس عليه باقية
وهو ملزوم بخطيئته يسلم لعذابها ابداً لان الانسان كما ذكرنا ليست به
كفاية ان يكون ما لقي عن كل الناس ..

ويعقوب الذي يقول ان الافعال الانسية التي فعل المسيح وما لقي
من الاوجاع والصلب والموت لم يكن في الطبيعة الانسية فلسانه اداة
الشيطان وانما ينطق بتزكية الشيطان ويثبت لهفخره على الطبيعة الانسية
وهو ممن يدخل العيب على الله مع الشيطان في خلقة الطبيعة الانسية .
وهكذا يكرز اليعقوبي ان الطبيعة الانسية المصروعة باقية في سقوطها ابداً
وان الله لم يقدر ان يجعل منها قوة تحفظ نفسها اذ خلقها . وان الشيطان
يدوسها بقدرته. هذا كله يلحق اليعقوبي ويبريه من خلاص المسيح ويثبت
عليه لعنة الناموس ويسلمه بخطيئة نفسه فيكون لعذابها ابداً مثل نسطوريوس
صاحبه وشراً منه سوى ما قد لزمه في هذا الميمر قبل هذا الموضع مما
لا تبلغه البهائم غلظاً ولا الشياطين جرأة على الله في قوله ان الله مات في
الطبيعة الالهية وانه بري من موت الابن الازل بما ابتدع من هذه
الطبيعة الواحدة التي سمّاها مسيحاً واتخذها وثناً يعبده

واعلم ان الابن الازلي في مصارعته الشيطان بالطبيعة الانسية لم يكن يعدو
قدر الطبيعة الانسية بنصره عدلاً على الشيطان وتزكيته للطبيعة . فاما فيما
لم يكن من حد صراع الطبيعة فانه كان يعمل ما شاء بقدرته كقدرته في
طبيعته الالهية . لانه كان قنومه بكليته متصلاً بالطبيعة الانسية . من اجل
ذلك كانت له طبيعتان بين ما منهما يعمل بها طبيعة الهية وطبيعة انسية .
وانما يشبه في المثل عقاباً اخذ طبيعة فرس فهو اذا جارى الافراس لا
يعدو قوة الفرس بتة واذا اراد ان يصنع شيئاً على غير وجه المجاراة عمل
كما يعمل العقاب في طبيعته وليس ذلك ظلماً منه للافراس التي تجاريه .

هكذا كان الابن الازلي فيما بينه وبين الشيطان . من اجل ذلك عمل الانسيات ولقيها في طبيعته الانسية ولم يعدو في ذلك قدر طبيعة الانسان وعمل الاعاجيب بقدرته في طبيعته الالهية كما يفعل الاله. واعطى التلاميذ قوة ان يعملوها باسمه ليحقق لاهوته. ودبّر ذلك تدبيراً اخفاه على الشيطان في ذلك الزمان تنكراً منه ليخدعه فيقدم على قتله . واوضحه لمن قبل روح القدس بخالص الايمان ممن اتبعه

هذا قولنا في موت المسيح . فان كان صواباً فان هذا من عادة روح القدس عند من طلب حق الايمان باستقامة النية ان يوفقه للصواب في ذلك وان كان لا يستاهله باعماله . وان كان في القول خلل فالحمد لروح القدس ايضاً الذي ايضاً ربما منع العطية عمن كان خاطئاً مؤدباً له ان يرجع من ظلمة الخطيئة ويطلب ضوء حكمته بالتوبة والبر . غير انّا بنعمة الروح القدس على كل حال انما مرجعنا الى ان نبني انفسنا على اساس مار بطرس الذي هو دبّر المجامع الستة المقدّسة التي اجتمعت بامر اسقف رومية مدينة الدنيا التي من رتّب على كرسيها هو الموكل من المسيح ان يعطف بمجمعه التابلي (١) على اهل الكنيسة وان يثبتهم كما قد اثبتنا في مواضع غير هذا . والمسيح نسأل ان يثبتنا على ذلك ابداً لنرث به ملكوته اذا ضممنا اليه العمل بوصاياه . له الحمد مع الاب وروح القدس الى دهر الداهرين.

(١) التابلي باللغة السريانية اي المسكوني

ميمر

في تحقق الانجيل وان كلما لا يحققه الانجيل فهو باطل

وضعه المعلم ثاودورس اسقف حران

الدين اذا خرج من ان يكون قبله اهله على اربعة اوجه فذلك الدين لا محالة حق وهو الهي مهذب . وهذه الاربعة الاشياء هي الرخص والعز والتعصب وقنوع العقل السوقي . فالدين اذا كانت فيه رخص فقد دخلت التهمة على من اتبعه لان الرخص التي فيه دعت اهله الى قبوله . وان كان الدين قد اطمع اهله عزيكتسبونه به فقابلوه متهمون ان الذي طمعوا فيه من الاعتزاز بذلك الدين دعاهم الى قبوله . وان كان دين امامه والداعي اليه ذا قرابة لمن قبله وقام به وكان القابل يستفيد شرفاً باتباعه الداعي ذا قرابته فقد دخلت التهمة على القابل ان الرغبة في الشرف بذي قرابته دعته الى قبول ذلك الدين. وان كان الدين يسرع اليه العقل السوقي قنوعاً به فذلك الدين اوشك ان يكون غروراً ولا سيما اذا اجتمعت هذه الخصل التي ذكرنا او بعضها او احدها . فاذا كان الدين ليست فيه رخصة ولا دعا الى عز اطمع فيه من يقبله ولا فيه تعصب لذي قرابة يستفيد قابلوه شرفاً يتفق به امره ولا فيه قنوع للعقل الجسداني فذلك الدين لا محالة طاهر خالص مهذب الهي

فالدين الذي نفيت عنه هذه الاربع خصال هو النصرانية وحدها . فاية رخصة توجد في الانجيل لمن قبله وهو يقول ان لطمك احد على خدك فحوّل له الاخر . ولن سلبك رداك فزده ثوبك وان نظرت الى امرأة

لكي تشتهيها فقد زنيت بها في قلبك. وان قلت لصاحبك رقا او احمق فقد وجبت عليك النار وما شاكل (متى ٥) او اي عز اطمعنا المسيح الهنا ان نكتسبه باتباعنا اياه وهو قد قال لنا اني اخليكم مثل الخراف بين الذئاب وان العالم يكون في سرور وانتم تكونون في حزن . وانها تأتي ايام من قتلكم يرى ان انه يقرب ذبيحة (يو ١٦ : ١٢) وما شاكل ذلك . او اي تعصب يقدر ان يرى احد في دين النصارى وهم امم الدنيا كلها . وكانت كل امة لها عبادة جرت اليها ورثتها عن اوليها وابائها كانت تلك العبادة فخرها عنها تحامي واليها تدعو واياها تزيّن . فانتقلت الامم من هذا كله وعمدوا الى رجل يهودي في ظاهر امره فاتبعوه وقد كانت اليهود ابغض الناس الى كل واحدة من تلك الامم . فلم يرضوا ان يقولوا فيه انه نبي او رسول بعثه الله او صديق بل قالوا انه الههم ومخلصهم وخالق السماوات والارض وما يُرى وما لا يُرى. وهذا الامر معروف انه ابرأ الاشياء كلها من التعصب وانه لم يدعُ اليه قهر او طمع

فاما غير النصرانية من الاديان ان زعم زاعم انه قد دخل فيه من كل امة فليعلم الزاعم ان كل دين سوى دين النصرانية انما دخل فيه من دخل من غير الامة التي تنتحله وتتعصب له وتتعزّز به اما من سُبي واستعبد واما من قهره الاستدلال واضرّت به النوائب الفادحة او بلغ منه الاذى حتى ارخاه واجتذبه الى ذلك الدين واما قد استماله بعض الخصال التي ذكرنا بدءاً . وليست كذلك النصرانية بل دخلت فيه كل امة بلا طمع ولا قهر وادخلوا الضيق الذي ليس وراءه ضيق على انفسهم وصرفوها

عن مفاخر الآباء الى عبادة هذا الرجل اليهودي في ظاهر امره . لانه انما خرج يدعو الى عبادة هذا الرجل اثنا عشر رجلاً انقطع كل واحد منهم من اصحابه الى امة من الامم وهي في ملكها وعزها وبلادها حتى ادخلهم في عبادة هذا الرجل اليهودي . وكان كل واحد من هؤلاء التلاميذ احقر الناس واوضعه وافقره وابعده عن كلما يرغب له الناس واما قنوع العقل السوقي الجسداني فهو نفي من الانجيل اصلاً . لان الانجيل يذكر ان المسيح ابن الله قد وُلد من الآب قبل الدهور وان الاب ليس باقدم منه (يوحنا ١) ويذكر ان هذا الابن في آخر الزمان هبط حتى حل في جوف امرأة فولد منها انساناً وبقي الهاً كما لم يزل وانه كان صبياً في المهد يرضع وينتقل في الغذاء حتى بلغ التمام ويذكر الانجيل ان هذا الابن الازلي قرّب في الهيكل قرابين لله (لوقا ٢) وان هيرودس طلبه فهرب منه الى مصر (متى ٣) وذكر انه صام وابتلي من الشيطان (متى ٤) وصلى . وجاع وعطش واعيا (متى ٢) . وان الخوف دخل عليه حتى رشح عرقاً خاثراً مثل الدم. وانه ظفر به اعداؤه وشتموه (لوقا ٢٢ و ٢٣) وفضحوه حيث بصقوا في وجهه. وظفروا على رأسه وجلدوه بالسياط . وكللوه بالشوك . وتهزوا به وسمروا يديه ورجليه وعلقوه على خشبة . وسقوه خلاً ومرارة . وطعنوه بالحربة . وانفجر منه دم وماء . وانه في خلال ذلك نادى فقال الهي الهي لم خذلتني

هذه الامور كلها التي ذكرها الانجيل في المسيح ليس احد من الناس يقنع بها عقله ان الله يوصف بهذا او يعرض له فقنوع العقل السوقي نفي .

من هذا الدين بتة مع غيره من تلك الخصال الاولى. وقد تحقق انه الهي
طاهر مهذب خالص لا ريب فيه ولا تهمة وانه دين الحق الذي
امر الله به وليس دين سوى النصرانية . وليس من احد ينظر في امر
الانجيل وما يذكر من المسيح الا علم انه لم يقبل الا بالاعاجيب التي ليس
وراءها عجب وليس يقدر ان يعملها الا من أيّده الله . لان الناس كلهم
في عقولهم لا يعدو احدهم ان يكون اما حكيماً واما جاهلاً واما وسطاً
بين ذلك. فهذه الاشياء التي ذكرنا ان الانجيل المقدس ذكرها في المسيح
من مولده الازلي من الله ومولده الثاني من مريم العذراء وما عرض له
ولقي وقال ليس يقنع بها ولا يقبلها لا حكيم ولا جاهل ولا وسط بين
ذلك .

فاخبرني كيف دخل في هذه الدعوى جميع الامم وجاوزت خمسة
اسداس الناس في المثل او اكثر من ذلك ؟ ولكن هذا معروف ان احد
هؤلاء التلاميذ اذا اتى امّة يدعوها انكروا عليه شفاعة ما يدعوهم
اليه وشدة ما يكلفهم من كل ما يخالف عقولهم واهوآءهم وشهواتهم
وكانوا يلتمسون قتله وكان ذليلاً حقيراً في اكفهم ان يقتلوه ويصنعوا
به ما شاؤا غير انه كان يقول لهم ايتوني بموتى فاذا اتوا بهم اقامهم . ولم
يكن يقول للميت ان قم باسم الله ولكن كان يقول له يا ميت لك اقول
باسم يسوع الناصري الذي صلبه اليهود في اورشليم قم فكان الميت يقوم
من ساعته . وكذلك نقوا البرص وشفوا المرضى واخرجوا الشياطين
واخمدوا النيران وبخروا المياه وازالوا الجبال: وردعوا السباع . وعملوا

كل ضرب من الاعاجيب التي لا تحصى ليس باسم الله ولكن باسم
يسوع الناصري الذي صلبه اليهود باورشليم . فلما رأت الامم ان
الخلائق كلها تذل لاسم يسوع الناصري المصلوب ايقنوا انه اله وابن اله
وعلموا ان تجسده ومصائبه وتدبيره كله الذي تستشنعه عقول الناس لم
يكن منه ضعفاً ولا عبثاً . وعلموا ان لذلك سبباً مستقيماً وان كانت عقولهم
تقصر عن معرفته غير انهم لما آمنوا به اطلعهم روح القدس الذي افاض
عليهم بصليبه ما كان يخفى عليهم من اسباب تدبيره قبل ايمانهم . هكذا
كان قبول الانجيل والايمان بالمسيح لا محالة . وبهذا جرت الكتب
واطردت القصص . فنحمد المسيح الذي انجز خلاصنا باوجاعه وقادنا الى
والده بروحه وجعلنا ميراثه وافاض علينا نعيم ملكوته . له الحمد مع الاب
وروح القدس الى دهر الداهرين آمين

ميمر على سبيل معرفة الله وتحقيق الابن الازلي وضعه المعلم اللاهوتي كير ثاودورس اسقف حران

كل شيء يُعرف انما يُعرف اما عياناً واما بأثر واما بشبه واما بخلاف
والله لا يعرف عياناً لان الابصار لا تنفذ اليه . وقد صار انما يوصل الى
معرفته بغير المعاينة من سبيل المعرفة التي ذكرنا . وصارت هذه السبل
تقتسم الدلالة على الله في النحو الذي يشاكل كل واحد منها وتمتحنه ويمكن
فيه ان يهتدي به العقل الى معرفة الله . فقد ينبغي لنا ان نستعمل كل واحد
من هذه الوجوه وننظر الى اي شيء يؤدينا الى معرفة الله ثم نجمع ما

تقتبس من كلها بالاستقامة فنعتمد عليه وتسكن قلوبنا اليه وتقنع به ولا سيما اذا كان ما نستفيده بها من العلم بالله يثبته لنا الانجيل الطاهر الذي قد اثبتناه . وناموس موسى المقدس والانبياء التي حققها الانجيل واوصلها الينا تلاميذ المسيح ربِّنا مع بشارة الانجيل . فنحن نبدا بعون روح القدس من السبيل الاول بعد المعاينة الذي هو الأثر. اما الاثرفهو يؤدينا ياهؤلاء اولاً الى ان نعرف الله. لاننا نعلم ان كل واحد من الاشياء اذا رايناه على غير شكل طبيعته استدللنا على ان غيره صرفه الى ذلك . فنحن نرى الارض من طبيعتها رزينة ثقيلة راسية هاوية ونراها مع هذا راتبة في موضعها لا تهوى ولا تنزل . وهذا قد يدل انه لا يحبسها عن التحدر الا احد شيئين . اما جسد اصلب منها واما قوة غير جسدانية . فان قال قائل ان تحتها جسداً اثقل منها عليه قرارها فانه يلزمه ان يقيم لذلك الجسد جسداً آخر تقوم عليه . ثم لا يزال يدخل جسداً بعد صاحبه الى ما لا نهاية له . فهذا ما لايكون ولا سيما اذ نراها من الجانب الاذ ، الينا قد انتهت فلا بد من ان تكون تحمل الارض قوة غير جسدانية الا ان يقول قائل لعل الارض هي تهوى وهي في حدور وان كنا نحن لا نحس بذلك لبعد اقطارها . فينبغي للقائل هذا ان يعلم ان الارض ولو كانت في نزول مع عظم ثقلها ثم رميت بنشابة خفيفة نحو السّماء فشخصت في الهواء ما شخصت اذن لما رجعت الى الارض ولا لحقتها انحداراً ابداً لان الثقيل من الاجساد اسرع في الانحدار من الخفيف منها فاذا كان

الحاجز الارض عن الهبوط قوة غير جسدانية فتلك نقول انها الله. (١) وهذا دلالة واحدة من الأثر

وايضاً اذا نظرنا في الناس او في كل واحد في الاشباح التي بقي شبحها في توالدها فانّا نعلم انه لا بد لاوائلها من ان تكون انما كانت على غير ولادة فتجذبنا العبرة من واحد منها حتى تصح القضية التي اخرجناها عليها واجعل الناس في المثل يكون عددهم مائة انسان واجعل هذا ولد منهم من هذا. وهذا من هذا . وهذا من هذا . فلا بد لاخرهم من ان يكون غير مولود . فذلك الذي لم يولد لا بد من ان يكون انشاه صانع . لان الارض لم نرها لفظت انساناً ولا فرساً او ثوراً او غير ذلك من الصور التي كل واحد منها محكم تركيبها مختلفة اعضاؤها كثيرة قواها . وافعالها

---

(١) لا يتضمن الاعتراض فعل الجاذبية اكثر مما يتضمنه كلام المؤلف في حله الاعتراض لان ليس من خاصية الجاذبية التحدر او السقوط الى اسفل بل هي عامة في كل جرم ولكل جهة . على انها لو كانت خاصتها التحدر لما كانت النشابة المرمية في الجو تشخص فيه وتعلو بل كانت تتبع الارض بانحدارها وتلحق بها بالسقوط الى اسفل . والجاذبية التي يفترضها الكلام قوة من قوى الطبيعة تفعل فيها حسبما تقرر في علم الطبيعيات تعليلاً لوقوع الظواهر الطبيعية في عامة الاجسام او المادة واقتضاء لبيان علة هذه الظواهر وهي اثر من اثار الخلاق التي استودعها في الاجسام لتدلنا على مبدعها كما يدل الاثر على اصله وسببه والفعل على عامله . واهل العلم لا يترددون في امر وجود هذه القوة وان لم ينظروها او يمسوها وانما يستدلون عليها من فعلها في الاجسام فيتحققون ذلك بالدلالة لا بالعيان

تتم على اشكالها وتجري على عادتها ولا تحول عن انحائها حتى تنقضي حياتها فذلك الصانع الذي انشأ هذه الاشباح واحسن تهيئتها هو الله

وقد كنا نستطيع ان نأتي بالدلالة على الله من كل شيء يرى في وجوه شتى غير انّا لا يجب ان نطول لان فيما قد اتيناه كفاية . فاذ قد اثبتنا الله فهلم حتى ننظر ايشبهه شيء من الاشياء في بعض الحالات فنستدل عليه من الاشباه ونعلم انّا قد اتخذنا الشبه سبيلاً الى معرفته ام لا يشبهه شيء في شيء اصلاً فنخرج الشبه من سبيل الدلالة عليه . ولكن لست اظن احداً يقدم على ان يقول انه لا يشبه الله شي من الخلائق في حال من الحالات . وهو يرانا عامة نعمد الى فواضل ما عندنا ومكارمه ونصف الله بها . فقد يقول كل واحد ان الله حي سميع بصير حكيم قوي عدل جواد وما شا كل ذلك وهذا كله قد نراه فينا وعندنا . ولو كان لا شيء يشبه الله من الخلق في حال لما استطيع ان يقع عليه وعلينا صفة واحدة بتة . وهذا في الناس كلهم انهم يستحسنون ان يوقعوا مكارم ما عندنا على الله ويوافقهم ذلك ويستحسنون ان لا يوقعوا عليه شيئاً من مناقصنا ويفرّون من ذلك

وايضاً لا بد للقائل من ان يقول انّا نحن انما عرفنا الله اما من صفته نفسه لنا . واما من انّا اهتدينا اليه بخلائقه التي تدبرتها عقولنا فمن كلا القولين يلزم لا محالة ان تكون الخلائق تشبه الله في بعض حالاتها لان الله لو وصف لنا نفسه بما لم نرَ شبيهاً له لما كان لصفته موقع في عقولنا ولا كنا نتوهمها اصلاً وما كانت غاية ما ندينه به الا الكلام ولفظ ينطق به على غير معنى العقل . والذي يدين الله كذلك فاحرِ به ان يكون وثناً اخرس ينطق على لسانه بما لا يحسن . وهذا لم يكن الله يرضى به لعباده ان يجعلهم اوثاناً خرساً . ولو انّا عرفنا الله بانّا اهتدينا اليه من خلائقه حيث تدبّرتها عقولنا ثم لم يكن في خلائقه شيء يشبهه في حال من الحالات لكان لنا ان نختار بعض صفة الخلائق نستحسن ان نوقعها على الله وننفي عنه ما خالف ذلك . فلا بد على كل حال من ان تشبه الخلائق بالله فيما يحسن ان يقال عليه منها . وصار الشبه من سبل الدلالة على الله كما قلنا ولا ينفر السامعون من قولنا ان الخلائق تشبه الله . لانا انما تقول انما اشبهه منها في الحال التي يشبهه فيها كما يشبه الشخص الذي في المراة الوجه الذي يطلع فيها . فالوجه جرم ثابت وشخص المرآة خيال زائل . وهكذا قال مار بولس غاية الفلسفة الروحانية انا لا نرى كفي المراة بالمعنى (اكو ٣ : ١٢) ولو يكون من الاشباه شبه ابعد من المشبه به من شخص المرآة من الوجه الذي يطلع فيها لكان به شبه مار بولس . ونحن من تعليمه عرفنا ما يشبه من الخلائق الله في الحال التي يشبهه فيها . فلكيلا يعظل من الاوهام فيما نصف الله به فتجلله الحيرة فانه لا بد للعقل من ان يتعلق بشبه اذ كان الله غائباً فعمد مار بولس الى ارق الاشباه وابعدها فمثّل ذلك

وقد بقي الآن ان نعلم كيف يكون الخلاف هادياً الى معرفة الله . وهذا لو عرفناه لكان مما يوضح لنا ما قد تشاجرنا عليه في الشبه ونأتي منه بالشفاء ونوقف العقل على حد التشبيه فنختلب منه المعرفة . ولا نزل الى الخطاء والتيه . فليعلم التائق الى نور المعرفة ان كل ما شبهناه بالله من الخلائق انما نختطفه في تشبيهنا اياه اختطافاً . وانه على حافر التشبيه لكيلا

يقف عقل السامع عنده فيرتطم في الضلال . وكيف ذلك ؟ تقول ان الله
حي والانسان حي وان الانسان يشبه الله في انه حي فاذا ذهبنا ان ننظر
في هذا علمنا ان حياة الانسان لها بدء وانها لا تزال تنتقل في تغيير
الحالات حتى تفضي الى البلى والهلاك. ونعلم ان الله حي على خلاف هذا
كله اي انه لا بدء له ولا منتهى ولا يتغير او تعرض له آفة او اذى .
لذلك تقول ان الانسان يشبه الله في انه حي ومن ساعتنا تقول في السمع
والبصر والحكمة وغير ذلك مما يشبه فيه المخلوق بالخالق فقد تحقق قولنا
ان الخلاف سبيل دلالة على الله في النحو الذي ذكرنا

فاذ تقرر عندنا ان معرفة الله انما افضينا اليها على احد هذه الثلاثة
الاوجه فهلم حتى نعلم ان كان العقل يودينا الى ان لله ابناً من جوهره هو
عدله كما يشهد الانجيل والناموس والانبياء . وقد اتفقنا انه لا يصلح ان
نصف الله بشيء من المناقص التي عندنا

فاخبرني ايها الجاحد الابن . اتقول ان الله يقدر ان يلد مثله ام لا يقدر
فان زعمت ان الله لا يقدر ان يلد مثله فقد ادخلت عليه اعظم المنقصة
حيث تجعلنا نحن يقدر احدنا ان يلد مثله وتجعل الله لا يقدر على ما تقدر
نحن عليه من الفواضل . لان الولد قد علم كل الناس انه من مكارم ما
عندنا وفواضله. فلا بد لك من ان تقول ان الله يقدر ان يلد مثله . فنقول
لك اذ قد اقررت بهذا فان الله لا يمتنع من ان يلد مثله (اذ كان قادراً ان
يلد) الا لاحد ثلاثة اسباب . اما لكلفة تنوبه في الولادة يكسل عنها
ويعجز . واما لانه لا يحب ان يرى مثله حسداً . واما ان يكون فيه

قوة على ذلك لا يعرفها وانما يمتنع عن ان يستعملها جهلاً بها . فكل هذا
اسمج من ان يقال على الله وهو نفي منه . فلعمري ما يعتريه كسل ولا
يدخل عليه حسد ولا يدنو منه جهل . اذاً تبارك وتعالى قد ولد ولداً هو
عدله لا محالة وليس لاحد ان ينكر ان لله ابناً والا فقد ادخل على الله
النقص والعيب والسماجة العظيمة

لكن تقول ايها الجاحد للابن ان كان الله ولد ولداً فان الله اقدم
من ابنه . فينبغي لك ان تذكر انّا اتفقنا بالاضطرار ان نصف الله بمكارم
ما عندنا وننفي عنه مناقصنا لمخالفتها جوهره الكريم وحده . وقدم الاب
على الابن انما يكون من نقص طبيعة الوالد عندنا . وذلك ان احدنا يولد
غير تام ولا بالغ حدّ مقدرة الولادة . فذلك الزمان الذي بين مولده
وبين بلوغه طاقة الولادة لا بد ان يكون فيه اقدم من ابنه . واذا بلغ
الانسان منا طاقة الولادة فهو ولو كان احرص الناس على الولد لا يقدر
ان يلد الا بالزواج وتمضي عليه ازمان قبل ان يصل الى زمان الزواج
يكون فيها اقدم من ابنه . وربما كان زواج ولا يكون ولد لعاهات
تعرض . فلو يخلق الانسان على اتم حالاته كما خلق ادم لما كان بد من ان
يمضي عليه زمان قبل ان يكون له ولد فيجعله ذلك الزمان اقدم من ولده
فاما الله تعالى فانه لم يكن قط غير قادر ان يلد مثله . ولم يكن قط لا يعلم
انه يقدر ان يلد مثله ولم يكن قط لا يشاء ان يلد مثله لئلا يدخل عليه
العيوب التي ذكرناها من فوق ولا يحتاج الى غير هذا اليلد . وليس
بين مشيئته وبين ان يكون ما يريد طرفة عين . والا فذلك ضعف به

وعجز في جوهره . فقد ولد الله لا محالة وليس الله باقدم من المولود منه

لكنك تقول ايها الجاحد لابن الله : ما بال الله لم يلد الا ابناً واحداً
فنقول لك ان الله اذ كان يقدر ان يلد مثله لا بد من ان يلحقه احد امرين
اما ان يلد ابناً واحداً ولا يزيد . واما ان يلد اكثر من ابن واحد . فان
زعمت انه ينبغي ان يلد اكثر من ابن واحد فالابن الواحد ناقص لانه لا
كفاية به لمسرة الاب . وان كان الابن ناقصاً والابن عدل الاب ومن
جوهره فالاب اذن ناقص

وان صرّحت بالنقص اذ تقول هذا على الله فليس احد باعظم افتراء
على الله منك فلا بد لك من ان تقول ان الله ولد ابناً واحداً لا يعدوه
لانه عدله ولانه تام مثله . وقد الجأك سبيل العقل الحق الى ان تحقق
قول الكنيسة المقدسة في الامانة التي تقولها اولادها كل يوم : انّا نؤمن
باله واحد الاب الضابط الكل . صانع السماء والارض . وما يرى وما
لا يرى . وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الواحد المولود من الاب
قبل كل الدهور . نور من نور . اله حق من اله حق . مولود غير
مصنوع من جوهر الاب الذي به خلق كل شيء

هذا ايمان الكنيسة الذي كرزه الانجيل وحققه الناموس المقدس
والانبياء الذين قدمهم الابن الذي ظهر لنا من مريم العذراء المقدسة ليتنبئوا
على مجيئه الى العالم . له الحمد مع الاب وروح القدس الى دهر الداهرين
امين .

ميمر

في انه لا يغفر لاحد خطيئته الا باوجاع المسيح التى حلت به في شأن الناس
وان من لا يؤمن بهذه الاوجاع ويقرّبها للاب عن ذنوبه فلا مغفرة لذنوبه ابداً
وضعه الاب كير ثاودورس اسقف حران

ان الله انزل الناموس على موسى بطورسينا وافترض فيه على الناس
فرائض ووضع حدوداً على من عداها . فكان من فريضة الله هناك
ان يحبه الناس بكل قلوبهم وبكل قوتهم وبكل نفوسهم وبكل نياتهم .
واعلمهم بذلك وانه لا يأذن لهم ان يعطلوا شيئاً من طاقتهم التي اعطاهم
ولا يرضى منهم ان يتركوا منها قليلاً ولا كثيراً الا استعملوه في محبته
(خروج ٢٠) فاذ قد الزم الله العباد ان يستقصوا قوتهم في طاعته وان
يجتهدوا له بكلها فانه ينبغي لاولي الالباب ان يعلموا انه لا استدراك ولو
طرفة عين من الدهر تمضي على احد من الناس يكون فيها مقصراً عن
كمال ما يقدر عليه من طاعة الله . واذا كان ذلك كذلك فانه ليس من
عقوبة حدّها الله على شيء من معاصيه الا وهي علقة (١) على من وقع
في تلك المعصية . ولا يقدر العاصي ان يدفع عن نفسه تلك العقوبة الواجبة
عليه بشيء ولا له منها محيص في حال من الحالات

الا انه يقول قائل اني اقدر اذري عني حد معصيتي بالتوبة اليه .
فنقول له خبرنا اذا كنت في توبتك اهلا وتقدر ان تزيد على كمال طاقتك

(١) علقة اي لازمة .

في محبة الله وطاعته ؟ فلسنا نشك انه يقول لا . فنقول له اذ كنت لا
تستطيع ان تعدو تمام قوتك في طاعة الله في حال توبتك وانه يحق عليك
في الناموس ان تؤدي اليه اقصى مقدرتك وتجعلها في موافقته في كل
حين من الدهر . فاذا كان هذا كذلك فحسبك في حال توبتك ان تقضي
في كل حين من ذلك ما قد افترض عليك في ذلك الحين . وان وصلت
الى غايةهذا معما قد استحكم عليك من عادة الخطيئةالتي ذللت لها طوعاً
حيث اعجبتك لذتها فانت بعيد عن هذا ولست اظنك تبلغ هذه الغاية
مطلقاً . مع انك وان بلغتها فانه لا سبيل لك ان تمحق ولو مقدار ذرة
من خطيئتك السالفة منك . اذاً لا محالة ان العقوبة التي لحقتك بما قدمت
يداك راتبة عليك لا تقدر ان تزيلها بشيء

ولا اعرفن ما قال احدهم ممن لا يعد في اهل العقل : ان الله لا يكلف
احدا من الناس ان يسعى باقصى مجهوده في طاعته . والا فقد لزمه ان
يقول ان الله قد رضي للناس ان يصرفوا بعض قوتهم في طاعة ابليس
واهوائهم الفاسدة . وحاشا لله ان يرضى لا حد من خلقه بهذا.والا فقد
اسلمهم للتهلكة واشرك ابليس معه في العبادة.وهذا ما لا يكون منه ابداً
تبارك وتعالى . اذاً الخطيئة باقية والعقوبة لازمة

فاذا كان هذا كذلك فنحن معشر الناس عامة من الله على احد امرين
اما ان يغفرلنا خطايانا مجاناً ويحط عنا عقوبتها برحمته واما ان يتقاضى ذلك
منا بالعدل فنصير الى الهلاك ابداً

فان قال قائل ان الله يحط عن الناس توابع الناموس رحمة لهم بلا

سبب عدل فقد جعل ناموس الله باطلاً والله عبثاً حيث انه يفترض ناموساً
لا يتقاضى حقوقه . وحاشا لله ان يكون عبثاً او يجعل شيئاً باطلاً . ولا
سبيل للناس الى السلامة من خطيئتهم الا بسبب عدل يقوم به الناموس
مع ان صاحب هذا القول لو سوّغه لما ترك احداً من الناس الا اوجب
له ان تشمله العافية معه برحمة الله.لان رحمة الله لا تضيق عن شيء وهي
قد تسع المؤمن والكافر ان فاضت بغير سبب عدل.ويصير المجوس ومن
هم شر منهم قد سعدوا به سعادته . وان كان هذا كذلك فباطلاً يشقى
اهل الايمان الذين في طاعة الله وينصبون في عبادته . وصار كل واحد منا
لا يبالي ان يكون جموحاً في شهوته ويجعل دينه هواه. ويخضع لكل دولة
من الدهر فيتمتع من الدنيا مع اصحابها بحق وباطل . ولكن حاشا لله ان
يهمل عباده اهمالاً هكذا ويصيرهم الى مثل هذه الحال التي هي شر
الحالات وابعدها عن رضاه . فلا بد من سبب عدل يصل به الناس الى
رضى الله عن الذنوب والعافية من لواحقها

فليت شعري ما هذا السبب حتى يبادر اليه من كانت له رغبة في
حياة الابد فيسعد به . ويلحق العار من صدّ عنه ويعتقد الندم حيث لا
ينفعه اذا حل به العذاب الاليم الذي لا زوال له بما سلف من خطيئته
وتقصيره في طاعة الله ومحبته المفترضة عليه في ناموس الله

ونحن نقول ان الابن الازلي المولود من الله قبل كل الدهور الذي
هو من جوهر الله وعدله هبط من السماء برحمته الى ذريّة ادم وحلّ في
رحم مريم العذراء المطهرة بروح القدس فاتخذ منها جسداً جبله لنفسه بعقل

ونفس. وتأنس من روح القدس ومن مريم المطهرة . فخرج الى العالم متعرضاً ان تحلّ به العقوبة التي كان كل واحد منا استوجبها بخطيئة نفسه من الضرب والفضيحة والصلب والقتل . لانه لو لم يتجسد لما كان لهذه الاوجاع سبيل ان تصل اليه لانه في جوهره الالهي لا يرى ولا يُجس ولا يصل اليه ألم ولا وجع ولا اذى. ولكن حيث تجسد اشترع السبيل الى هذه الآلام ان تنفذ اليه بان عرض لها جسده وامكن من ظهره ان يجلد بالسياط ومن راسه ان يطرق له عليه ومن وجهه ان يبصق فيه ومن يديه ورجليه ان تسمر ومن ضلعه ان يُطعن في الحربة فتجشم هذه الآلام بالحقيقة في جسده ولم ينفذ منها شيء الى طبيعته الالهية وانجز خلاصنا كما قال اشعيا النبي : ان المسيح يقول عن نفسه : لست اعصى ولا امتري. بذلت ظهري للسياط وخدي للطم ولم اردّ وجهي عن فضيحة البصاق. (اش ٥٠ : ٦) وقال فيه اشعيا : انه ليس له منظر ولا جلال فرأيناه لم يكن له منظر ولا جمال . بل منظره حقير دون مناظر الناس . هو انسان مجروح يعرف ان يحتمل الامراض . كان حقيراً لا يعدّ . فهو يحتمل امراضنا وفي شأننا توجّع . ونحن حسبناه في نصب مجروحاً من الله مبتلى . وهو انما جرح في شأن معاصينا . وعرضت له الادواء في شأن خطايانا . ادب سلامتنا عليه وبجراحه تداوينا . ضللنا كالمواشي وضل كل واحد منا في سبيله . والرب اسلمه في شأن خطايانا . لم يفتح فاه اذ ابتلي . كالشاة للذبيحة ساقوه وكالخروف امام الجزاز كان ساكتاً . كذلك لم يفتح فاه بتواضعه (اش ٥٣) .

هذا قول اشعيا فيه حيث رأى تجسده واخفى جلال لاهوته ليجترئ عليه الشيطان فيقدم على صلبه اليهود اهل طاعة الشيطان

وداود النبي قال فيه ايضاً نائباً عن نفسه : انهم سمروا يديّ ورجليّ واحصوا كل عظامي . رأوني فشتموني . واقتسموا ثيابي بينهم . وعلى ثوبي اقترعوا (مز ٢١٠ : ١٧ - ١٩) . وقال زكريا النبي في طعنة اليهود اياه : انهم ينظرون يومئذ الى الذي طعنوه (زك ١٢ : ١٠)

والانبياء كلهم قد ذكروا اوجاعه التي بها كان خلاص العالم فبهذا الابن الازلي الذي لقي وتجشم عنا هذه الاوجاع بجسده الذي اسلمه لها نصل الى مغفرة الذنوب فقط . وباوجاعه وحدها نسلم من العذاب الذي استوجبناه لاجل خطايانا . ولا سبيل لاحد من الخلق الى مغفرة ذنب او سلامة من عقوبة خطيئة الا بهذه الاوجاع التي حلت بهذا الابن

وكيف ذلك ؟ فليسمع السامعون وليفهموا ان الاب حيث رأى ادم وبنيه قد تهوروا في الخطيئة والتطوا فيها واستحوذ عليهم الهلاك بها قال للابن اني ارى ادم الذي بصورتنا وتمثالنا وولده قد صاروا تحت ملك الخطيئة ودحضتهم حجتها اللازمة لهم عن حد السعادة التي لها خلقوا والناموس لا يبطل ولا بد ان يستوفي حقوقه من كل واحد من الناس . فهلمّ حتى تتخذ جسداً تظهر به في العالم وتظهر للعقوبات التي استوجبها الناس بخطاياهم فتحل بك ويكون حلول ذلك بك مغفرة لذنوب من قرّب اليّ اوجاعك عن خطيئته وخلاصاً له من كل عقوبة استوجبها من ناموسي ويكون حينئذ قد أبطلت حجة الخطيئة وحجة ابليس وليتها وقضيت ناموسي حقوقه ولم يصـ

باطلاً ولا عبثاً وفتحت الباب لكل من اراد السلامة لنفسه من بني آدم وهيأت له غفراناً يناله بلا كلفة بالايمان بك وتقريب اوجاعك. لانك ايها الابن الظاهر عدلي ومن جوهري . وليس الخلق كلهم باليقين يعدلونك او يقاسون بك في حال من الحالات لجلال لاهوتك الذي لا شي يقرب اليه .فاذا اصابتك العقوبة المستوجبها كل واحد منهم مراراً لا تحصى مرة واحدة في شأنهم فقد قضيت الناموس عنهم حقه كله وزدت ما لا نهاية له. ففعل الابن ذلك لانه رحيم مثل الاب ومشيئتهما واحدة وجاء الى مريم فتجسد منها حيث طهّرها من كل ادناس الخطيئة بروح القدس وظهر في العالم منها وتقلب بين الناس كما تنبأت عليه الانبياء وتعرّض لهذه المصائب حتى حلت به فانجز خلاصنا تبارك اسمه وانقذنا من لعنة الناموس كما قال بولس الرسول (غلا ٣ : ١٣) واحتمل خطيئتنا كما قال يوحنا المعمدان فيه اذ رآه واومى اليه باصبعه ان هذا خروف الله الذي يحتمل خطيئة العالم (يو ١ : ٢٩) وناموس موسى ايضاً يقول : ان الذنوب بالذبيحة تغفر (اح ٤ : ٣) وانما عنى ذبيحة هذا الخروف الحق فلم يقف عند ذبيحة البهائم التي انما كانت مثالاً لهذا . ولذلك كانت الدماء التي تسفك هناك من البهائم عن خطايا الناس لا يتم سرها حتى امر الكاهن ان يجعل من دم منها صليباً على مذبح الله الرب قبل ان يذبح عن خطيئته بهيمة صورة لصليب المسيح التي لا تغفر الا به (١) لان الانسان

(١) لم يذكر سفر الاحبار في هذا الفصل الصليب ذكراً صريحاً وانما يوجب فيه على الكاهن قبل ان يقرّب الذبيحة عن الخطيئة ان ينضح من دمها قرون المذبح

لا يفديه من قتل يجب عليه بخطيئته ان يذبح عنه بهيمة هي دونه والا فلم يستوف الناموس حقه حيث يجب قتل انسان فيرضى بقتل بهيمة. وان قصر الناموس عن حقه فقد صار في هذه الحال باطلاً وصار الله الذي وضعه عبثاً تعالى عن ذلك

ولكن هذا الابن هو الذي ذبح عن العالم كله لانه خير من العالم كله بما لا يقاس وبه كفاية ان يستوفي الناموس حقه ويزيده فضلا لا يقدّر . ولذلك يقول بطرس الرسول في الابركسيس في شأن يسوع المسيح : ان الخلاص لا يكون بشيء آخر سواه . وانه ليس تحت السماء اسم غيره اعطي للناس ليحيوا به (اع ٤ : ١٢)

وقال بولس الرسول ايضاً في شأنه : ان الله وضعه مغفرة بايمان دمه ليكون الله عدلاً وليزكي بالعدل كل من كان مؤمناً بيسوع المسيح . (رو ٣ : ٢٥) الا ترى ان المغفرة بدم المسيح. وان من زكاه الله بهذا الدم من خطيئته انما يزكيه بالعدل لان قتل هذا الابن قد يقضي به كل حق كان يجب علينا للناموس كما قلنا

فان انت سمعت من كتب الله العتيقة والحديثة مغفرة او رحمة او توبة فاعلم ذلك انه لا يكون الا بصليب المسيح وسفك دمه ولولا هذا لكان الناموس باطلاً والله عبثاً. وحاشا له . لانه لا وفاء لحق الناموس الا بهذا الدم وحده الذي سُفك لاجل الاحياء والاموات. ولذلك هبط

على اربع زواياه فيرتسم بذلك شكل صليب وهو الذي اياه عنى الله واياه اراد كفارة عن الخطيئة ولذلك اوجب على الكاهن عمله قبل الذبيحة نفسها

المسيح الى الجحيم ليكرز لمن كان قد مات قبل صلبه ويعلمهم بسفك دمه
عنهم كي يصل من آمن به منهم الى مغفرة خطاياه بدمه كما يصل الاحياء

فنحن الان معشر النصارى اذ قرّبنا اوجاع هذا الابن عن خطايانا
غفرت خطايانا لا محالة وسلمنا من العذاب المعدّ لمن فارق الدنيا بعد مجيء
المسيح قبل ان تغفر ذنوبه بدمه. فاما غير النصارى ممن لا يقرّب اوجاع
المسيح عن خطيئته فهم يموتون بخطاياهم كما قال المسيح لليهود حقاً اقول
لكم ان لم تؤمنوا فانتم تموتون بخطاياكم (يو ٨ : ٢٤) ومن مات بخطيئته
فعذابها لازم له ابداً وقد تحقق قول الانجيل ان من آمن بالابن فله حياة الابد
ومن لا يؤمن به لا يذوق الحياة لكن غضب الله يبقى عليه (يو ٣ : ٣٦)
هذا كله صنع بنا المسيح يا هؤلاء فيما قد لقي عنا من الصلب والاوجاع
بجسده الذي اخذه من مريم المطهّرة . ولذلك سميت دعوته انجيلا اي
بشارةً لانها بشّرت الناس بخلاص المسيح اياهم مما لم يكن احد يقدر
ان يخلص منه فنحمده على منّته التي لا تقدر ونسأله ان يقذف في قلوبنا
بروح القدس لئلا نستحي من اوجاعه التي لقيها عنا والصدور عن الخطيئة
وهجران لذات العالم والاعراض عن مشورات الشيطان عدونا الذي
بخديعته طرحنا من قبل في هوتة الخطيئة ونبتهل اليه ان يطهر نياتنا حتى
نقضي بمحبتنا اليه بالحقيقة ونوفي له بعهد المعمودية التي كان بيننا وبينه
لكيلا نلغي ما قد اتخذنا باوجاعه تجارة للخطيئة ونكون نأكل لحمه ونشرب
دمه بلا استيهال منا لهما فنكتسب من ذلك احراقاً لانفسنا وعذاباً اشد
من العذاب الذي كنا نستحقه بخطايانا ونرغب اليه ان لا يتولى عنا كما وعدنا

في انجيله (متى ٨ : ٢٠) ويحسن سياستنا بادابه التي هي حياة لانفسنا كما
نشركه في ملكوته كما نشركنا في اوجاعه كما قال بولس الرسول (رو ٦ : ٥)
ولا يخذلنا ان نسترخي بشهواتنا فنغرق في الخطيئة ويكون الهلاك مصيرنا
بل يؤدينا بتدبيره ايانا الى محلة غبطته وقرار سروره . له الحمد مع الاب
وروح القدس الى دهر الداهرين امين

ميمر

يحقق ان لله ابناً هو عدله في الجوهر ولم يزل معه . وضعه المعلم الفيلسوف
كيرثودورس اسقف حران

ولعل قائلاً يقول انك يا هذا قد اثبتّ ان خطايا الناس لم تكن تغفر
الا بهذه الاوجاع التي حلت بالابن واعلمتنا انه لا ينكر لله ان يحل فيما
شاء من خلقه وان يُظهر من هناك افعاله وكلامه فاخبرنا كيف تحقق
ان لله ابناً هو عدله ومن جوهره كما ذكرت ؟

نقول لصاحب هذا القول انك ان انكرت ان يكون لله ابن
فقد ادخلت عليه النقص واقصيته عن جلال لاهوته وحططته عن شرف
ملكه . وكيف ذلك ؟ اسمع . اخبرني اتقول ان الله رياسة ام انت مزيل
رياسته كما قد جحدت ابوته جهلاً منك بالسماجة التي تلحق من ذلك ؟
ولست اظنك تكابر الله بهذا كله اذ تقول ان لا رياسة له . فاذا جعلت
له رياسة فاخبرني على اي شيء رياسته ؟ وانا اعلم انك تقول ان رياسته على
الخلق كله . ثم نقول لك قبل ان يخلق الخلق أكانت له رياسة ام لا ؟ فان

قلت انه لم تكن له رياسة قبل الخلق فقد جعلته يتخذ الشرف من الخلق لان الرياسة شرف لمن هي له لا محالة.وان كان الخلق هم الذين شرفوه وحاشا له ذلك فانه لا منة له عليهم بخلقه اياهم لان حاجته الى ان يشرف بالرياسة عليهم هي التي دعته الى خلقه اياهم وهذا استئصال لجوده وابطال لطيبه وكفر بنعمته.مع انك ان زعمت ان رياسة الله ليست الا على الخلق فقد جعلتها ادنى الرياسات واحقرها واوقفته عن ذلك بحد قد تنزه عنه اوضع الناس ولا يرضى به لنفسه . لانه ليس في الناس احد يرضى ان يكون رئيساً على النمل او الحمر او على ما هو اصغر من ذلك او اعظم اشباح البهائم والطير فما دونها . ولقد كان الانسان مؤثرًا ان يكون رأس انسان مثله على ان يرأس كل ما يرى من الخلق غير الناس . فان كان الانسان هكذا فالله لعمري اجل من ان تكون رياسته ليست الا على خلقه لانه ليس النمل والحمر او ما هو دونها بالغاً في الحقارة ما بلغ باحقر اذا قيس بنا من الخلق كلهم عند الله اذا قيسوا بعظم طبيعته ورفعة جوهره الان النمل وما دونه اذا قسناه الينا نجد له منا قرابة تضمنا واياه . وقد نرى في طبيعته اشياء تعدل فيها طبيعتنا . فاما الله تبارك وتعالى فانه لا شيء من الخلق بتة يعدله في شيء جل عن ذلك . فان ارفع خليقة في الخلق لأبعد عن طبيعة الله من الصورة عن الانسان المصوَّر ومن الظل عن الجسد ومن الشخص البادي في المرآة عن الوجه الذي يطلع فيها ومما هو ابعد من هذا عن صاحبه بما لا يتوهم . فكيف استحسنت يا هذا ان تجعل رياسة الله على خلقه فقط والخلق اذا قيسوا بالله قد نراهم في هذا

الحد من الحقارة ؟ هذا منك اعظم الجهل واشد الغفلة عن حال طبيعته ورفعة جوهره . فاني لاظنك لو تكون ملكاً فدخل عليك انسان فقال لك السلام عليك يا رأس الحمر لانزلت به عقوبة تصل بها الى مهجته. فكيف تظن انت انه لا يجب عليك اشد العقوبة من الله حيث تجعل رياسته على الخلق فقط وانت تعلم ان الحمر الى طبيعتك اقرب من اكرم الخلائق الى طبيعة الله بما لا تتصوره الاوهام ؟ فلا بد لك من ان تجعل لله رياسة من قبل الخلق لم تزل له وقد اضطرتك الحقائق الى ذلك

ثم نقول لك ان رياسة الله لا بد من ان تكون اما على ما هو عدله واما على ما هو دونه واما على ما هو افضل منه.فان قلت ان رياسته هي على ما دونه فقد عدت الى ما فررت منه ورجعت تأكل قيئاً قد لفظته ورددت رياسته الى ان تكون على الخلق . لان كل شيء دون الله فهو خلق . اذ لا يستقيم ان تكون رياسة الله على ما هو دونه . واما افضل من الله فليس شيء جل وتبارك . فلا بد من ان تكون رياسته على ما هو عدله فهلم بنا ننظر الى ما هو عدل الله اي شيء هو من الله حتى تنزله منزلته وتقضيه حقه

فنقول ان الرياسة انما هي على احد ثلاثة اوجه اما ان تكون بالقهر واما ان تكون بالرضا واما ان تكون طباعية . فان قلت ان رياسة الله انما هي بالقهر فقد ادخلت الضعف على الله لاننا قد اتفقنا ان رياسته على ما هو عدله.وان كان الذي هو عدله يدخل عليه القهر فهو ضعيف . وان كان

عدل الله ضعيفاً فالله ذاته يكون ضعيفاً وحاشا له ذلك . اذًا لا يحسن ان نقول ان رياسة الله بالقهر .

وان قلت ان رياسته بالرضا فقد جعلت لله رياسة مستعارة لا يامن دوامها ان بدا فيها امر لمن رضي بترأسه عليه . وهذا اسمج ما يكون اذ تجعل شرف الله دخيلاً مستعارا زائلاً تعالى عن ذلك . فقد بقي ان تكون رياسته طباعية .

واما الرياسة الطباعية فهي التي تكون للاب على الابن التي لا زوال لها ولا نيات بالقهر ولا فيها كلفة ولا وهم وهي ممتلئة سروراً وحباً . فلعمري ان الاب مسرور بالابن يحبه كما شهد عليه اذ اصطبغ متجسداً في الاردن فقال هذا ابني الحبيب الذي به سررت (متى ٣ : ١٧) فجمع له المحبة والمسرة . والابن مسرور بالاب يحبه كما قال في الانجيل في مواضع كثيرة (يو ١٥ : ٩)

ولكن تقول كيف يلد الله وقد نرى الوالد تنوبه النوائب التي لا يخلو منها احد من الجماع والحبل وتوابع ذلك مما لا يحسن ان نقوله على الله ؟

فنقول لك ما انت والمسألة عن الامر الذي يفوت العقول السّماوية واجناد الملائكة كلها خاشعة دونه هادية عن طلبه ؟ وان كنت لا بد لك من ابطال البنوة بعد ما ادتك اليها الاستقامة للا معرفتك بكيفيتها فقد حان لك ان تبطل كل ما تصف الله به لجهلك بكيفيته والا فاخبرني كيف الله حي وللحياة عندنا النوائب التي لا تجهلها من الاكل والشرب

والغذاء واللباس والفناء (١) ولا تستطيع ان تقول كيف هو حي على غير هذه النوائب . فاذا ابطل الحياة من الله للا معرفتك بكيفيتها ومخالفتها ما قد تراه بعينك كابطالك البنوة لجهلك بكيفيتها ومخالفتها ما تؤدي اليك الحواس . فان كنت لا تنفي الحياة من الله للا معرفتك بكيفيتها ومخالفتها ما عندنا فلا تنفين عن الله البنوة لجهلك بكيفيتها ومخالفتها ما عندنا . اذ كان لا بد ان يدفعك اليها صدق العقل

كذلك القول في السمع والبصر والحكمة والصنعة وغير ذلك مما نصف الله به . والا فاخبرنا اذا قلت ان الله سميع اهل تظن انه يسمع بلين العصب كما نسمع نحن ؟ او ترى ان لسمعه نهاية كما نسمع نحن ؟ او انه يعرض له آفة من شدة الدوي او من الصمم والسدود والخواء وغير ذلك من عاهات اسماعنا ؟ وانا اعلم انك لا تظن شيئاً من هذه اللواحق تعرض لله بل تقول انت ونحن نقول معك ان الله سميع وننزهه جميعنا عن آفات اسماعنا . كذلك ينبغي ان نمحضه الولادة ونرفعه عن مناقص ولادتنا كما يستحق جوهره الكريم

وكذلك قولنا ايضاً ان الله حكيم تظن انه انما صار حكيماً بالتعليم مثلنا ؟ او انه شخص في مناهل العلم على تآليفها حتى انتهى الى

---

(١) اي اذا كان عدم معرفتك بكيفية الولادة الازلية وجهلك بها داعياً عندك لابطال هذه البنوة فيسوغ لك ان تبطل وتنكر كل كمالات الله بداعي جهلك وعدم معرفتك بكيفيتها . وقوله للا معرفتك اذ ادخل حرف الجر على لا النافية والمنفي بها فهو كثير في استعمالهم كقولهم كلا شيء وكلا حول ولا . ومن لا شيء

غايتها ؟ او انه اهمه حفظ ما وعى من العلم لئلا يتلفه النسيان كما قد نراه يهمنا ؟ ولا احسبك ولا احد من ذوي العقول يقول هذا بل قد اتفقنا ان الله حكيم نمحضه الحكمة كما شاء كل جوهره الكريم ونرفعه عن ضعف حكمتنا. كذلك يحق عليك ان نخلص لله الولادة كما شا كل جوهره الكريم الرفيع ونحط عنه مناقص ولادتنا

وقولنا ان الله صانع الملك هل تظن انه لا يقدر ان يصنع الا من شيء نظيرنا ؟ اذ ان غاية قدرته فيما هو صانع ليست الا تأليف الطبائع ونظمها وقدها وتفسير بعضها الى بعض ؟ اوانه لا يريد بها الا تأديبها بتحريكه اياها بعضها ببعض الى الحد الذي يعلم انه لا يقدر منها على غيره وان كانت مشيئته منها تتوق الى اكثر منه ؟ او انه يحتاج في صنعته ما هو صانع الى اداة يعظّم بها قوته كما نحتاج نحن ؟ او يتوقى بالاداة مضار ما يفلت من الاشياء كما نتوقى نحن ؟ او انه يقدم اشياء وينصب في تهيئتها لتكفيه ما يلتمس من غيرها متعمداً ان يضع بذلك عن نفسه كافة المباشرة كما ترانا نصنع نحن ؟ او لعله رجا شيئاً يتوهمه فتقصر صنعته دون غايته ؟ او يعتريه الضجر من الاكباب اذا كلت قوته ؟ لكن هذا كله فينا . ونحن نعلم انه نبي من الله وان الله صانع ما شاء من لا شيء وتهذب له الطبيعة على ما يشاكل رفعة جوهره (١) وتعزل عنه الداني التي فينا . وكذلك يحق علينا ان نخلص له الولادة كما يشاكل جوهره ونجتنب

(١) تهذب له الطبيعة اي تطيع له وتطاوعه حتى تكون مهذبة خالصة من كل عيب وتعزل عنه اي ينتفي عنه كل شيء دني عندنا

كل مكاره ولادتنا . والا فما بالك تحقق على الله هذه الاسماء التي ذكرناها من السمع والحكمة والصنعة وغير ذلك وانت تراها لا تبلغ الى فهمك فواضلها الا مع مناقصها وقد رضيت بنفيها من مناقصها واخلاص فواضلها لله. ولا تحقق على الله الولادة وان كان اسمها لا يبلغ الى فهمك فضله الا مع نواقصه فتجعل لاسم الولادة اسوة بغيره من تلك الاسماء وتوقعه على الله كما نوقع تلك ؟ هذا منك ليس بعدل

ام لعلك تكابر الله بان تقول انه لا يقدر ان يلد مثله فتسلبه بجهلك قدرة اعظم من قدرته ان يخلق الاشياء من لا شيء فتكون بيناً ملتمساً تعظيمه باجتباء المكارم كلها من كل شيء وصفته اياه بها اذ تعمد الى اكرم مكرمات الطبائع فتغصبه اياه وقد ترى مكارم الطبائع قد اجتمعت له صافية دون المناقص الموجودة مع كل واحدة من هذه المكارم في الطبيعة التي هي فيها وتفضي مع ذلك الى تعطيل رياسته التي ساقك اليها العقل الصدوق باضطرار . وقد رضيت ان تقصر بالله تقصيراً تزيل به من قبلك شرف ملكه وعلو قدرته نفاراً من اسم الوالد الذي الهمت نفسك بغضه لجاجةً ووافقك تكذيب عقل احق من العيان قد الجأك باستقامة الى ان تقر بالابن الازلي جماحاً في الفرار مما لا حياة لك الا به وحسبك مخلصاً من الهلكة والعار يوم الدين هذا الابن الذي يدين الاحياء والاموات اذا تلفف عليك الخزي واسلمت الى العذاب المبرّح الذي لا زوال له ولا انقضاء

فانتبه يا هذا من كنت وآمن بالابن الازلي المولود الاب قبل كل

الدهور الذي خلصك بتجسده من مريم العذراء المطهّرة من خطيئتك ان قبلت خلاصه وآمنت بلاهوته وقرّبت اوجاعه عن خطيئتك ولا يظهر بك المراء فيدفعك الى الهلكة والخروج من عقلك

واعلم ان هذا الابن قد تحقق ايضاً من وجوه كثيرة غير الوجه الذي حققناه لك وان كان هذا حسبك ان كنت ذا لب او لك رغبة في الحياة الدائمة. ومع هذا كله وافضل من هذا قد تنبأت عليه الانبياء الذين كتبهم بايدي النصارى واليهود جميعاً واخبروا بمولده الازلي من الاب ومولده الثاني من مريم العذراء وباوجاعه وصلبه ودفنه وكل تدبيره غير الذي يصرّح به الانجيل المقدّس من ذلك . وكتب الحديثة كلها ومصاحف العتيقة والحديثة مبذولة لكل من اراد معرفة ذلك وعليه ان يطلب ذلك فيها ولا يكلفنا تتبعه معما قد تكلفنا له من سبيل العقل على ما نحن عليه من الضعف في عقولنا ونياتنا التي بصحتها نجتلب نور المعرفة من روح القدس الذي افاضه علينا المسيح بصلبه مع اننا لئلا نعطل امر الابن الازلي من شهادات الكتب المنزلة سنأتي باقرب ما يحضرنا عليه من ذلك

قال الله في داود النبي اني من البطن قبل النور ولدتك (مز ١٠ : ٣) هذا المولود من الله قبل النور هو الابن الازلي بلا شك . وقال كرسيك يا الله الى دهر الداهرين عصاً مستقيمة عصا ملكك . احببت العدل وابغضت الجور . من اجل ذلك مسحك الله الهك بدهن السرور اكثر من اصحابك (مز ٤٤ : ٧) فمن هذا الاله الذي كرسيه الى دهر الداهرين الا هذا الابن الازلي الذي هو اله من اله . وحيث تجسد من مريم حسن

به ان يسمي اباه اله الالهة (مز ٨٣ : ٨) وسليمان ابن داود قد ذكر هذا الابن وهو يسميه حكمة الله ليعلم الناس انه لم يزل مع الله وليخبر الجهال ان من عطل ازلية هذا الابن فقد سلب الله حكمته . وقال عن الحكمة ان الرب خلقني راس طرقه لاعماله وقبل الدهر اسّسني في البدء قبل ان صنع الارض قبل ان يفجر عيون المياه قبل ان يجمد الجبال والاكام قبل الكل ولدني حيث كان يخلق السّماء كنت معه حيث كان يجد عرشه على الرياح وحيث كان يوثق تهيئة العيون التي تحت السّماء . اذ وضع للبحر حد نهايته والمياه لا تعدو شفته . حيث كان يصنع اساس الارض قوياً قد كنت معه اصنع . انا الذي كان يتمتع بي كل يوم وكنت اسرّ به في كل حين (امثال ٨) فاية شمس اوضح من هذه دلالة على ازلية الابن ومولده من الله قبل الدهور وان الله به خلق الخلق وانه يسرّ به ويسر الله به كما قلنا من فوق . وانه تجسد فلذلك حسن به ان يقول ان الله خلقني راس طرقه لاعماله

لعمري ان الكنيسة المقدّسة تشهد على المسيح انه اله تام وانسان تام وان له طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة انسية بحقيقتهما فلذلك ذكرت الكتب كلها لاهوته وناسوته لان من زعم انه اله ولم يقل انه صار انساناً فهو كافر ومن زعم انه انسان ولم يقر انه اله فهو جاحد ونفي من حيز الحق

قال الله في اشعيا النبي يا شعبي يايعقوب بل ياسرائيل الذي دعوته. انا الاول وانا الى الابد . ويدي التي اسّست الارض ويميني التي صلّبت السّماء ادعوهم فينهضون معاً ويجتمعون كلهم فيسمعون . من اخبرهم بهذا

الرب محبك قضا بهمته من بابل ليستأصل زرع الخلدانيين (١) . انا قلت. انا دعوت. انا الذي اتيت بهذا وانجحت طريقها . اقتربوا مني واسمعوا اني لم اتكلم خفياً ومنذ كانت لم ازل هناك والرب ارسلني وروحه (اش ٤٤) . فمن هذا الذي هو الاول والى الابد الذي اسّس الارض وصلب السماء ودعا بابل ووضع طريقها والان الرب ارسله وروحه الا الابن الازلي الذي صار رسولاً للاب ولروح القدس حيث تجسد وولد من مريم العذراء كما قال اشعيا ايضاً ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويسمى عمانويل وعمانويل يترجم معنا الهنا (اش ٧ : ١٤) ؟ فلعمري قد صار الابن الاله معنا في تجسده وعد فينا . وقال ايضاً اشعيا فيه ان ولداً ولد لنا وابناً اعطينا فسمي ملاك المشيئة العظمى مشيراً عجيباً الهاً جباراً اب العالم الجديد (اش٩ : ٦) . فمن هذا الابن والولد الذي اعطيناه الذي سمي الهاً جباراً الا الابن الازلي ؟ وكيف سمي ملك المشيئة العظمى الا لان الرب بعثه كما قال مار بولس ان الله بعث ابنه فولد من امراة (غلا ٤ : ٤) ؟ وكيف هو ابو العالم الجديد الا لانه ابدا حياة العالم الجديد في جسده اولاً حيث اقامه من الموت فصرنا نحن له تبعاً في ذلك كما صرنا تبعاً لادم الذي كان ابانا الاول في الموت

(١) يريد الكلدانيين على لفظ اليونان ومن هنا يستدل على ان ابا قرة نقل هذه الايات عن اليونانية اذا لم نقل انه كتبها بالاصل في هذه اللغة (راجع حاشية صفحة ٤٥) لان كتابته لهذه الالفاظ على لفظ اليونان مخالفاً الاستعمال الشائع عند العرب والسريان مع كونه عارفاً بلغة الاثنين دليل واضح على ذلك (انظر آخر هذا الـ[illegible])

قال ارميا النبي(١) في هذا الابن الازلي هذا الهنا لا يعد معه اخر. الذي وجد طريق المعرفة فاعطاها يعقوب حبيبه واسرائيل خليله ومن بعد ذلك على الارض اري وبين الناس تقلب (باروك ٣ : ٣٦) فمن هذا الذي هو اله ورآه الناس وتقلب بينهم الا الابن الازلي اذ تجسد من مريم العذراء كما قال يوحنا البشير في صحيفته انا نكرز لكم الذي لم يزل في البدء رأيناه باعيننا وجسسناه بايدينا (يو ١ : ١) وكما قال داود انه رى اله الالهة في صهيون (مز ٨٣ : ٨)

وقال احد الاثني عشر نبياً في هبوط هذا الابن الازلي الى الارض اسمعوا يا جميع الامم وانصتوا يا كل الشعوب وليكن الرب عليكم شهيداً فان الرب يخرج من موضعه وينزل حتى يطأ على الارض . هذا كله في شان خطيئة يعقوب وفي شأن ذنوب اسرائيل (ميخا ١ - ٢ : ٥) فمن هذا الرب الذي خرج من موضعه ونزل الى الارض في شأن الخطيئة ليبطلها الا هذا الابن الذي قال لتلاميذه اني لم اجي لاخدم بل لاخدم ولاجعل نفسي فداء للناس (متى ٢٠ : ٢٨) . وقال ايضاً اني انما نزلت من السماء لاصنع مشيئة ابي (يو ٦ : ٣٨) وما مشيئة الاب الا ان يخلص ادم وذريته من خطيئتهم وقال الله في هوشع النبي اني لست راحماً بيت اسرائيل . فاما بيت يهوذا فاني ارحمهم واخلصهم . لا بالخيل ولا بالمراكب ولا بالسيوف والرماح ولا بالقسي اخلصهم . لكن بالرب الههم اخلصهم

(١) باروك النبي كان تلميذاً لارميا النبي وكاتباً له ولذلك نسب البعض من القدماء نبوته الى ارميا ومنهم ابو قرة كما ترى

(هو ١ : ٦) فمن هذا الرب الاله الذي به يخلص الله بيت يهوذا الا
هذا الابن الازلي الذي هو اله مثل الاب وخلص به العباد حيث بعثه
فتجسد من مريم العذراء ليكون فداء لهم باوجاعه التي لقيها عنهم

وقال الله في التوراة اخلقوا بنا انساناً على صورتنا وتمثالنا (تك ١ : ٢٦)
فاخبرني لمن قال الله ان يخلق معه الانسان

ولعل قائلا يقول انما قال للملائكة ان يخلقوا معه . فنقول له كيف
يستقيم ان يجعل الله الملائكة معه شركاء في خلق الانسان ؟ وكيف يستقيم
ان الله انفرد وحده في خلقة السمك والطير والبهائم ولما اراد ان يخلق
الانسان الذي هو اكرم خلقه عليه استعان بالملائكة ان يخلقوه معه
واشركهم معه في خلقه ؟ ولكن حاشا الله ان يشرك الملائكة او احدا
من خلقه مع نفسه في خلق الانسان او غيره . فلو انه يصنع هذا اما
يشبه صانعاً له بهائم اراد ان يصوغ صنعة كريمة رفيعة فقال للبهائم
تعالوا حتى نصوغ هذه الساعة . ولا يعجبن احد من هذا المثل لان
الملائكة ابعد من القدرة على ان يخلقوا مع الله من ان البهائم تقدر ان
تصوغ ساعة مع الصائغ . مع ان الكتاب لا يذكر خلق الملائكة في الستة
ايام لئلا يكون ذكره اياهم سبيلاً لاهل الجهل ان يتوهموا انهم شركاء لله
في خلق الانسان . ولم يقل هذا القول للملائكة تعالى عن ذلك . بل قال
لابنه الذي يسمى كلمته لانه ولد منه بلا وجع ولروحه اللذين هما ازليان
كما قال داود النبي انه بكلمة الرب خلقت الارض . وبروح فيه كل
قواتها (مز ٣٢ : ٦) . وحقق ذلك يوحنا البشير في الانجيل على الابن

الازلي الذي هو اله من اله حيث قال انه في البدء كان الكلمة والكلمة لم
تزل عند الله ولم تزل الكلمة الهاً . هذه لم تزل في البدء عند الله كل بها
خلق وبغيرها لم يخلق شيء (يو ١) . الا ترى انه يسميه كلمة ويقول انه
اله . وهذه الكلمة التي بها خلق كل شيء مار بولس يسميها ابناً ويقول ان
الله بها صنع الدهور . ويسمي هذا الابن ضوء مجد الله (عب ١ : ٢) .
ليعلم الناس انه لم يزل مع الله كما ان ضوء الشمس لم يزل مع الشمس

وقال يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم في التوراة لامرأتيه : انه ان
اتاني ملاك الله وقال لي ارجع الى بلادك وبيت والدك فقد رأيت سوء
فعل حميك بك ولم ادعه يظلمك . انا الاله الذي تراءيت لك في بيت ايل
وبنيت لي هناك مذبحاً ونذرت لي نذراً (تك ٣١ : ١٢) . فمن هذا الذي
هو ملاك الله وقال في نفسه انه الاله الذي تراءى ليعقوب وبنى له يعقوب
مذبحاً ونذر له نذراً الا الابن الازلي الذي يسمى المشيئة العظمى كما قال
اشعيا . وقال الله في التوراة ان آدم قد صار مثل واحد منا (تك ٣ : ٢٢)
وانما قال لابنه ولروحه لان كل واحد منهما منه وعدله . قال ايضاً في
شأن الناس الذين بنوا البرج في بابل ان للناس لساناً واحداً تعالوا حتى
ننزل فنفرّق السنتهم هناك (تك ١١ : ٧) . فلمن قال الله ان ينزل معه
لتفريق السن الناس الا للابن والروح اللذين لم يزل كل واحد منهما مع
الاب . ولم يزل الناس على اختلاف السنتهم ولم يكن احد يقدر ان يصنع هذا
العجب الكبير مع الله ويعلم الناس الالسن المختلفة ويلهمهم هذه الحكمة الا
ابنه وروحه . والمسيح الابن الازلي حيث سرح تلاميذه الى الامم كلها انما

بعث اليهم بعد طلوعه الى السَّماء روح القدس فعلمهم السن الامم كلها ثم انطلقوا الى اقاصي الدنيا حتى ادخلوا الامم كلها في عبادته

هذا ما رأينا ان نضعه مما حضرنا من شهادات الكتب المقدسة لتحقيق الابن الازلي لكيلا يطول قولنا فيثقل على من يقراه . وقد وضعنا هذه الشهادات واكثر كتب العتيقة ليست عندنا فنحن نسأل كل من لقي كتابنا هذا ان يحمد المسيح ربنا عنا بما وفقنا له من الصواب ويعذرنا على ما كان فيه من خلل ويدعو لنا روح القدس بانارة عقولنا وهداية كل من يقرأ كتابنا الى يقين المعرفة بربوبية المسيح التي لا احد يستكن قلبه الى الاقرار بها الا بهدايته كما قال مار بولس (رو ١٠ : ١٠) لكي يشركنا مع من كان كذلك في نعيم ملكوت السَّماء المعد للمؤمنين بالمسيح الاله ابن الاله . له الحمد والمجد والجلال مع الاب وروح القدس الى دهر الداهرين آمين

رسالة

في اجابة مسألة كتبها ابو قرة القديس الى صديق له كان يعقوبياً فصار ارثوذكسياً عند رده عليه الجواب

انك الفيتنا يا اخانا ذا الفضل داود في مدينة القدس لانّا واياك فيها اجتمعنا بتوفيق الله لنقضي الصلاة في المواضع المقدسة التي فيها ربنا يسوع المسيح قضى متجسداً التدبير الذي كان اعده قبل الدهور من اجل خلاصنا فسألتنا كيف الاباء القديسون يشبهون اتصال واتحاد المسيح باتصال واتحاد الانسان . وكيف لا يقال منذ مجمع خلكيدونية « للمسيح طبيعة واحدة » وكيف يستطاع يسمع هذا القول المحدود من هذا المجمع « ان المسيح

طبيعتان » ثم لا يلحق من توهم الطبيعتين وجهان مفرزان معتزل كل واحد منهما على حدته . وكيف قولهم المسيح طبيعتان لا ينفي عنه مشاكلة اتصاله واتحاده اتصال واتحاد الانسان التي هي ملتفة (١) في كلام الاباء القديسين . وطلبت الينا ان نشرح لك من ذلك يقين حق يلايم راي اهل المنطق ويثبت بالقياس القوي المستقيم حتى لا يعاب من اهل الفقه والفهم اذا امتحن منهم بالبحث الصميم (٢) الشافي

فحمدت عند ذلك رأيك ورغبتك الحسنة في مثل هذا الدهر الذي هو ممتلئ تشوشاً وخبالاً . واكثر من يزهر عليه الشباب من اهله انما همتهم جمع الورق (٣) وان يفوقوا في كثرة الاموال والتنعم باللذات وطيب الهها في فخر الباطل والوقوف في مراتب السلطان . وقد بلغت من رياضة نفسك ان تصونها من خبالات الدنيا وتصرف عقلك في طلب المنافع . فلما نظرت في ضعفي وانه قد تجال عقلي صدى كل نوع من الآفات حتى قد حال بينه وبين اللموع بضوء روح القدس الذي به تدرك جميع كنوز الحكمة لانه يعرف غور الالهيات خشيت جداً ان اروم شرفاً مثل هذا فاخيب منه علماً بان هذا الحظ لا يناله الا اهل القدس . ولكني استيقن كم من مرة وان لم يتهيأ الانسان بالطهر قد يقضي له روح القدس اذا سأله ولم يكن يتعاطى البحث عبثاً ولكن للمنفعة وقضاء المودة . ويبدي حينئذ من قلبه المعاني المكنونة لحبه الناس مورياً له ذلك ان كان مؤمناً فاشرقت عليه الموهبة الروحانية اذ كان الروح بنعمته يستاصل شوك الخطيئة ولا ينسى ذات نفسه

(١) ملتفة مجموعة (٢) الصميم المحض الخالص (٣) الورق الدراهم المضروبة

اذا كان كافراً لمنّ الله عليه فيظن انه انما صار اهلاً ان يظهر فيه الفعل الالهي لانه اخلص نفسه من الاثام ولكن يذكر الموهبة التي افيضت عليه اذ كانت خطيئته منصوبة بين يديه يراها في افعاله مظفورة جهاراً . من اجل ذلك اجبت طلبتك واثقاً بمعونة صلوات القديسين الذين كانوا مصابيح الكنيسة ان يشدّدني في طريق ما تكلفت من ذلك بلا زياغة ولا خطاء . وانا ابتهل الى المسيح ان يعطيك قلباً طاهراً ورأياً عادلاً فتلقى كتابي بلا اعوجاج ولا تكاسل لئلا تستوجب منه الخذلان فتمرّض عقلك الظنون الواهية البعيدة عن غاية العلم

فانا ابدا من ههنا واريك كيف اتصال وتركيب الانسان . وماذا الانسان وما صفته واي لوازم تلحق الانسان . ثم اتكلف ان اوضح السماجة اللازمة للمحوّلين شبه تركيب الانسان على تجسد المسيح في الجهات غير الجميلة التي لا يستحسنها احد من القديسين ثم اوضح لك الشبه الذي ينبغي ان يؤخذ من تركيب الانسان على ربنا يسوع المسيح وانير معنى التجسد . وفي اي معنى يقال الاله صار انساناً . وكيف يحق ان يقال ان المسيح طبيعتان في حال الحقيقة والثبات . وكيف لا يحسن ان يقال طبيعة واحدة مركبة مثل الانسان كما يستحسن بعض الناس وفي اي حمق يقع الذين هذا رأيهم مع توابع ذلك التي الاول فالاول تفهمها اذا حررت قولنا هذا بنعمة الله

الانسان ايها الحبيب مع كونه مركباً من نفس وجسد وهو طبيعة واحدة فينبغي ان لا يقال له نفس في حال الحقيقة والثبات لانه ليس يقع

عليه حد النفس وذلك ان حد النفس يقال انها حية كيانية لا تموت . وحد الانسان يقال انه حي ناطق مائت . فقد يوجد حد الانسان خلافاً لحد النفس اما جهاراً ففي الميت وغير الميت . وفي غور المعنى لانك اذا تفرست في جميع حروف الحدين وغصت في غور ما يعنى بكل واحد منهما وجدت خلافاً ايضاً لانه وان كان يقال على النفس والانسان الحي فشتان ما يعرف من هذا الاسم عند وقعه على كل واحد منهما . لان النفس اذا قيل عليها الحي انما يعنى به حياة عرية جرداء لا تشوبها الحياة التي من الطبائع الهيولانية في تمام وجودها وانه ليس فيها موضع للاوهام المشاكلة لاوهام البهائم ان تخطر فيها اذ من قبل تجرد طبيعتها لا تشتهي الهيولى ولا شيئاً من الهيولى من اجل ذلك ولا يرعبها مهانة شيء من ذلك . فاما اذا قيل الحي على الانسان فليس كذلك دلالته ولكن يعنى به حياة ممزوجة مخلوطة مشتبكة من الحياة غير الهيولانية الموصوفة ومن الحياة الهيولانية المشاكلة لحياة البهائم التي انما وجودها عن الطبائع الهيولانية وعليها مرجعها . وبغذائها تدوم خلقتها . وبموافقة تمازجها يكون نعيمها . وبلا تقدير اوزانها يصل الاذى والاحزان اليها مع فرقها من المهاول المختلفة المضادة في العالم الهيولاني

ومنطق النفس ايضاً ومنطق الانسان ليس بسواء لان منطق تلك انما مبداه من الاوهام غير الجسدانية ويتفطن حين ينتقل الى شرف اللاهوت . فاما منطق الانسان فان اول مشاكلته الصور الهيولانية . ومن تمثيل ما يرى يرتفع بسبيل مختلفها . واذا استقصى الانسان جهده فانه لا يقدر ولا يطيق البتة ان يذوق بحس العقل العنصري غير الجسداني

ولكنه انما يستدل عليه اما من اثار فعله واما من اشياء توجد له في
الاجساد او انه يتوهمه على خلاف حال الاجساد . فقد عرف الانسان في
كل حالاته انه غير النفس وشتان ما بينه وبينها . وان كان قد اشبهها في
بعض حروف حده على حال اتفاق الاسماء

ولا يقال للانسان جسد ايضاً في وجه الثبات والحقيقة لانه ليس يقع
على الانسان حد الجسد . لان حد الجسد من قبل خاصة طبيعته انما هو
حي غير كلماني ميوت فهو مخالف لحد الانسان اما ظاهراً فلانه غير
كلماني . واما في قوة المعنى ولطفه ففي جميع ابعاضه . لان ليس حياة
الجسد وحياة الانسان بسواء . لان حياة الجسد ليس وجودها
وخلقتها الا من تمزيج قوى الاربع الطبائع ومن تركيب جسدانيتها ومن
تقدير امتدادها . وذلك ان الخالق حيث وقّت واسس تقادير هذه الطبائع كما
تعلم قد هيأ منها افعالاً مختلفة اعم ببعضها كل الجسد وافرز بعضها لخواص
من اعضائه ومن مثل هذا التمزيج والتركيب وهذا الهنداس نشأت حياة
الجسد والبهائم . فاما الانسان فاذا قلت عنه حياً فليس مثل هذا تعني ولكنك
انما تعني حياة مؤلفة قد خالطتها حياة النفس غير الهيولانية . كذلك اذا قيل
الميت على الجسد والانسان فشتان ما يعرف من هذا الاسم في وقعه على كل
واحد منهما . لان الجسد اذا قيل عليه ميت فهذا له عرض الموت سقوط جميع
ابعاضه عن هنداس التمزيج (الذي منه تتولّد القوى) وتفرق جميع تألفه
وفساد كل جبلته او ثوابته ورياسته التي منها تكوّن اصل حياته . فاما موت
الانسان فانما هو مفارقة النفس الجسد . وذلك ان لها عناية من الله لتقبض

اذا كان ذلك خيراً لها وذلك من قضايا الحكمة الالهية التي لا تدرك .
فقد عرفت ايضاً ان حد الجسد مخالف لحد الانسان كمخالفة حد النفس
حد الانسان بعضه بالكلام الظاهر وبعضه في غور المعنى وان كان بعض
الحروف تخرج جميعاً في الحدين باتفاق اللفظ

ولا يقال الانسان ايضاً نفس وجسد معاً لانه ليس له حد احدهما
ولا حد كليهما لان للنفس والجسد كصفة خواصهما حدين يخالف كل
واحد منهما صاحبه ويخالف حد الانسان . فاما الانسان فله حد واحد فقط
مخالف لحد النفس وحد الجسد . ولكن ان كان يقال للانسان في موضع
من الكتب المقدّسة نفساً او جسداً فليس على حال الحقيقة ولا في حال
التحديد يقال هذا ولكن في وجه رفعة السيرة ووضاعة الشكل . لانه
اذا ارتفع في سيرته الى ما يلازم النفس متنزهاً عن الهيولى رغبته في
الحكمة فعادة الكتاب حينئذ ان يسميه نفساً كما هو مكتوب انه دخل مع
نوح التابوت كذا وكذا نفساً (بطرس ٣ : ٢٠) واذا انحط في تقلبه الى
شبه البهائم واعجبه ما في الهيولى لانه عديم من معرفة الالهيات وجلالتها
لينشط لطلبها وينشب شهوته فيها حينئذ من عادة الكتب ان يسميه لحماً
مراراً كما هو مكتوب لا يسكن روحي في هؤلاء الناس لانهم لحم
(تك ٦ : ٣) وعلامة ذلك انه لم يسم في الكتب المقدسة راساً نفساً
وجسداً جميعاً . لانه لا يستطيع ان يتقلب في كلتا السيرتين اعني سيرة
النفس والجسد . ولا يستطيع الانسان الواحد ان يكون في سيرته في زمان
واحد روحانياً وجسمانياً . ولو كان في مثل غير هذا الوجه الذي ذكرنا

يسمى الانسان باسم احد جزئيه لقد كان لازماً ان يسمى باسم كليهما جميعاً
ولكن هذا لم يوجد قط عند احد القديسين ولا يقال احد بعضي الانسان
هو البعض الاخر في حال الحقيقة والتحديد لانه لا تقال النفس انها جسد
ولا الجسد يقال انه نفس

ولا احد يجتري ان يقول ان النفس لاتصالها بالجسد ميُّوت غير
كلمانية . ولا للجسد لاتصاله بالنفس انه قد عرض له ان يكون كلمانياً .
ولا يستطاع ان يكون لاحد هذين البعضين حد هو حد للبعض الاخر
بالوجود والحقيقة. فالانسان على كل حال في كل وجه يعرف انه شيء ثابت
من النفس والجسد ليس بنفس ولا جسد ولا كليهما جميعاً

ومن لوازم الانسان ايضاً الا يكون قبل اجتماع ابعاضه في التركيب
كلزوم ذلك لكل المركب . فليس احد يصفه فيقول ان المركب يكون قبل
اجتماع الاشياء التي منها ركب . وقد يلزم الانسان ان يكون افضل من
ابعاضه اي افضل من النفس الجرداء ومن الجسد المفرد لان كل مركب
انما ابعاضه من اجله . فالنفس والجسد انقص من الانسان لانهما بعضاه
ومن اجله

وقد يلزم الانسان الا يقال عليه صفتان مضادتان مخالفتان بالوجود
والحقيقة مثل الميت وغير الميت والناطق وغير الناطق وجسد وغير جسد
وانه يرى ولا يرى وما شاكل ذلك وهذا لا يكون له لانه ليس بابعاضه

وقد يلزم الانسان الا يقال له نفس تلحمت ولا لحم تنفس اي لا يقال
له نفس صارت لحماً ولا لحم صار نفساً

وقد يلزم الانسان ايضاً ان يكون قد شارك جزئيه جميعاً اعني النفس
والجسد بعضهما بعضاً في اللذة والالم . ولذلك يقدر الانسان ان يتقلب في
حياة مضعفة وان كان هذا في زمان وزمان. لانه الى اي جانب مال فقد مال
جزآه ان مال الى الحياة الجسدانية وان مال الى الحياة النفسانية

والمسيح ان كان كما يستحسن بعض الناس ينبغي ان يقال له طبيعة
واحدة مركبة من لاهوت وناسوت كما ان الانسان من النفس والجسد فقد
يلزمه الا يقال له في وجه الحقيقة والتحديد لا اله ولا انسان . ولا اله
وانسان جميعاً كما لزم الانسان الا يقال له في وجه الحقيقة والتحديد
نفس ولا جسد. ولا نفس وجسد جميعاً لان له حد خاص يخالف حد جزئيه
صار له من التركيب كما بينا واوضحنا بالبحث الشافي . واظن انه
سمج جداً ان يقال على المسيح انه ليس الهاً ولا انساناً ولا انساناً والهاً جميعاً
في حال الحقيقة والتحديد . لان الكتب المقدسة هكذا تصفه معلنة مصرحة
انه اله في الطبيعة والحد وانه انسان بالطبيعة والثبات . وتقول ايضاً انه اله
وانسان معاً على مثل هذا الوجه

ثم ان كان المسيح طبيعة واحدة مركبة مثل الانسان فقد ينبغي الا يقال
احد جزئيه هو الجزء الاخر اي لا ينبغي الا يقال للاله انسان ولا للانسان
اله كما لا يقال للنفس جسد ولا للجسد نفس لتألفهما في الانسان طبيعة واحدة

وكما ان النفس لم تستفد في تركيب الانسان ان تكون جسداً من اجل
اتصالها به لانها ليس لها حد الجسد وذلك لانها ليست ميوتة غير كلمانية .
ولا يقال نفس للجسد لانه ليس كلمانياً غير ميوت لاتصاله بالنفس . كذلك

لا ينبغي ان يقال الاله انسان اي حي ناطق ميوت لتجسده وتأنسه .
ولا الانسان تأله لاجل اتصاله بالكلمة . وهذا اشنع السماجة لان الكتب
كلها قد تقول ان الكلمة الاله صار انساناً وانه انسان بعد تجسده حقاً
وعنصرياً وفي حال الحقيقة وثبات المعنى وان كان ذلك بانحطاط عمد
تدبيره استفاد ان يكون هذا . كذلك تقول ان الناسوت تأله من قبل
اتصاله بالكلمة وان كان في تلك الحال يقال فيها الكلمة انسان فهكذا
يقال هذا اله

وايضاً ان كان المسيح طبيعة واحدة مركبة مثل الانسان فليس ينبغي
ان يقال اله متجسد مثل ما لا يقال نفس تجسدت ولا جسد تنفس مع
ان اساس قول النصارى في المسيح انه اله متجسد

وايضاً ان كان المسيح طبيعة واحدة من اللاهوت والناسوت كما ان
الانسان طبيعة واحدة من النفس والجسد فقد يلزمه ان يكون شيئاً ثالثاً
سوى اللاهوت والناسوت كما لزم الانسان ان يكون شيئاً ثالثاً سوى
النفس والجسد

وان كان هذا كذلك فقد لزم المسيح بلا محالة الا يكون قبل اجتماع
جزئيه في التركيب كلزوم ذلك للانسان ولكل مركب . ولكن اجتماع
جزئي المسيح في التركيب لم يكن الا في مريم . اذاً باطلاً تكرز وتقول
جميع الكتب ومجمع نيقية المقدس ان المسيح وُلد من الاب قبل الدهور
كلها . وانه به خلق الاب كلما ما يُرى منه وما لا يرى .

ولا يستهن احد من الذين يجعلون اتصال المسيح نظير اتصال الانسان

في حال انه طبيعة واحدة مركبة بان يقول ان الكلمة الاله هو المسيح .
فقد بادره البحث فاثبت انه ليس ينبغي ان يقال ان المركب هو احد ابعاضه
وانه لا يقع على المركب حد احد ابعاضه وانه لا يقال لاحد الابعاض
انه صار البعض الاخر . فاما اهل هذا الراي فانهم يشوشون الاشياء
ويخلطونها ويلبسونها . وبينما هم في جهلهم يبدأون بصفة الطبيعة الواحدة
المركبة التي يقولون انها المسيح اذ يصرفون كلامهم الى صفة الكلمة
المتجسدة يظنون بعدُ انهم مقيمون على صفة الامر الاول وانهم لم يجوزوا
عن سبيلهم وغاياتهم . فان كانوا يصنعون هذا خداعاً ومكراً ليجتلبوا به
اهل التيه والغفلة فاف لسؤ شيطنتهم . وان كان ذلك منهم بلا حس ولا
عمد فقبحاً لغلظهم وجفائهم

وايضاً ان كان المسيح طبيعة واحدة مركبة من اللاهوت والناسوت
كان الوجد والوجع والاذى ليس في حال ذلك ينسب الى اللاهوت
لحال تحريكه وتدبيره الناسوت فقط ولكن في حال انه ذاقه مع الناسوت
واحس به وتجشمه . هذا كله يلزم اللاهوت ان ثبت هذا القول ان
المسيح طبيعة واحدة مثل الانسان . وذلك اردأ القول واشد الافتراء على
اللاهوت . لان اللاهوت ارفع واكمل شرفاً واجل واعز واصاب من
ان يصل اليه مكروه او اذى او الم او وجع . وان لمثل الالم واللذة
سبب آخر

وايضاً ان كان المسيح طبيعة واحدة من اللاهوت والناسوت كما ان
الانسان طبيعة واحدة فقد ينبغي الا يكون المسيح يشاكل الاب والروح

في الطبيعة ولا يكون هووهما متفقين في الجوهر ولا يشا كل في طبيعته الانفس والاجساد . فلا يحمقن اذاً احد فيقول ان الواحد من الناس اي الاقنوم الواحد منهم قد يشا كل انفس جميع الناس في طبيعته وهو وتلك الاجساد سواء في جسده فان هذا القول فيه تشويش وتلفيق . فليس هكذا يقال في قانون الاستقامة ومجراها ولكن ينبغي ان يقال ان نفس الانسان الواحد تشاكل انفس جميع الناس . وكذلك جسد الواحد من الناس يشا كل اجساد جميع الناس . وذلك ان ليس احد يمتري ان نفس الانسان الواحد متفقة مع سائر انفس الناس في الطبيعة . وجسده متفق مع اجساد سائر الناس في الطبيعة . فان كان الانسان كقول هؤلاء يقال انه يشا كل الانفس والاجساد في الطبيعة . اذاً قد يوجد الانسان من مثل القياس والتعديل يشا كل في الطبيعة نفسه وجسده . لان شيئان يشا كلان شيئاً اخر في الطبيعة هما لا محالة متفقان في الطبيعة معه او احدهما قد صار صاحبه لمكان الاتصال فاستفاد اسمه وحده بالحقيقة كما سنبين ذلك ان شاء الله في كتابنا هذا . فاما الانسان فقد ثبت يقيناً انه ليس يشا كل في الطبيعة لا نفسه ولا جسده . وليس يقال للانسان انه صار نفسه او انه صار جسده اي انه لا يقال انه استفاد في المصير اسم كل واحد منهما وحده . اذن باطلاً يرددون هذا المثل في كتبهم اصحاب سويرس (١)

---

(١) لا يزال الى اليوم اصحاب الطبيعة الواحدة يغالطون بهذه العبارة المبهمة ويموهون بها على البسطاء ويوهمون انها مرادفة لقولنا المسيح طبيعتان وان الاختلاف بينهما باللفظ لا غير . على انه لو كان هذا الاختلاف لا يتجاوز الالفاظ فلماذا

وايضاً ان كان المسيح طبيعة واحدة من اللاهوت والناسوت كما ان الانسان من النفس والجسد فقد يلزم ان يكون اخر خارجاً عن عدد الثالوث اي عن عدد الاب والابن وروح القدس . وبلا بد اننا اذا سجدنا للثالوث الذي ذكرنا فالمسيح نفي عن هذه السجدة لانّا ليس له نسجد ولكن لجزءه . وقد استبان قبلاً بالبحث الواسع ان جزءه ليس هو اياه وانه اياه ليس بجزءه . وانا للمسيح نسجد الذي هو واحد من تأليف الاثنين واجتماعهما ونعرف انه غير بعضهم بقدر قولهم ونلفى نسجد لرابوع اي الاب والكلمة الابن والذي ركب من اجتماع الكلمة والجسد وروح القدس . وايضاً ان كنا عمدنا باسم المسيح فقد عمدنا برابوع . وان كنا لم نعمد الا بالثالوث فانّا لم نعمد بالمسيح . والعذراء القديسة مريم ان كانت ولدت المسيح فليس الهاً ولدت . وان كانت ولدت

لا يسمعون من الكنيسة ويستعملون ما تحكم به مجامعها المسكونية التى ترى ما يرى الروح القدس ولماذا لا يخضعون لاحكام المجمع الخلكيدوني والمجامع المسكونية العامة التى اجتمعت فيها اساقفة الكنيسة من اقصى الدنيا ورفضوا ورذلوا هذه العبارة « المسيح طبيعة واحدة مركبة » ولم يقبلوا سوى قولنا « ان المسيح طبيعتان » لانه اذ كان المسيح منح كنيسته سلطاناً ان تدعو الناس الى دينه وتعلمه لهم فلها ان تستعمل الفاظاً مناسبة لشرح وايضاح عقيدتها دون سواها وليس لاحد ان يعترضها او يرفض الالفاظ التى اوجبت استعمالها ورسمتها دون سواها كما فعلت في المجمع النيقاوي برسمها استعمال لفظة Ομοούσιον اي المساوي للاب في الجوهر ورفضها كل كلمة سواها من الاريوسيين من الناموس وحققت قول الانجيل تزول السماء والارض ولا يزول يوطا

الهاً فليس المسيح ولدت . وكذلك اليهود ان كانوا صلبوا المسيح فليس رب المجد صلبوا (كو ٢ : ٨) وان كانوا صلبوا رب المجد فليس المسيح صلبوا . وكثير مثل هذا من السماجة يلحق قولهم اذا قالوا ان المسيح طبيعة واحدة مركبة من اللاهوت والناسوت كما ان الانسان من النفس والجسد . وحاشا للمسيح ان يلزمه ذلك او يقال عليه

فان تشاجر هؤلاء وامتروا بغلاظ عقولهم وزعموا انه ينبغي ان يقال ان المركب هو ابعاضه فقد امكنوا من نفوسهم من يقاتلهم وصاروا مخالفين رأيهم وان كان قولهم بعد غير مستقيم . لانهم ان حققوا هذا فقد لزمهم بلا محالة ان يقولوا ان المسيح طبيعتان وهم في كل وجه يفرّون من هذا القول . لانه ان كان المسيح مركباً من طبيعتين ويقال كزعمهم ان المركب هو ابعاضه التي منها ركب فقد اضطرهم القول ان يقولوا ان المسيح طبيعتان منهما ركب وهما جزءاه. فان ثبت ذلك وتحقق فقد لعمري نسجوا ثوب العنكبوت وصار قتالهم باطلاً وانتهى بهم الصراع الى ان صاروا في ملك اعدائهم قهراً كرهاً

فان زعموا انه ليس ينبغي ان يقال ان المركب هو ابعاضه فليقبلوا هذه السماجة التي اوضحنا انها تلزمهم من قولهم ان المسيح طبيعة واحدة اي يلزم انه لا يقال ان المسيح اله ولا انسان. ولا اله وانسان . ولتحل بهم تلك التوابع الاخر الفواحش الممتلئة افتراء التي لا يحمل تردادها وهي كريهة مخالفة مصدود عنها عند جميع النصارى وعند الذين يقومون بحجة ان المسيح طبيعة واحدة وعند كل من له ولو جزء صغير من العقل

ولكن فليعلم الذي يقرأ هذا ان الآباء القديسين وان كانوا قد شبَّهوا اتصال المسيح باتصال النفس والجسد فلم يشبّهوه في حال انه ركب من لاهوت وناسوت طبيعة واحدة مركبة مثل الانسان طبيعة واحدة من النفس والجسد . ولكن انما شبّهوه بذلك لوجه اخر سنبينه بقول واضح واسع باذن الله من غير ان نبطل كلام الاباء في احد الوجوه . بل نلزم قول الاباء اكثر مما نلزم نسمتنا . ولا نقع في السماجة المائقة والافتراء المستوجب لكل غير ذي لبّ ثم لا ننقل هذا المثل عن اتصال المسيح فيما شُبه من اتصال الانسان بما لا يشبهه . بل نبينه فيما يشبهه ونشاكله . فذلك لعمري ناموس الامثال وشريعتها لانه لو كان كل مثل حين يؤخذ الشيء ليشبه به كان يشبه في كل شيء اذن كان المأخوذ للمثل بلا تشاجر هو الذي يمثل له بعينه . وهذا نفي من شريعة الامثال. ولذلك ننقي هذا المثال من الانسان ونهذبه ونميزه فنعمد الى كل ما اذا قلناه على ربنا يسوع المسيح لحقته هذه السماجة التي ذكرناها فنفسله ونرذله ثم نختار منه الجهات التي اذا حولت على المسيح لم يتبعها شيء من السماجة والتي ان لم تؤخذ صفتها على المسيح دخل التمرد على صفته فنلزمها المسيح بلا بد . وهذا نفعله بمعونة الله اذا اوضحنا رأينا في المسيح

اننا نحن يا حبيب ليس هكذا قولنا في المسيح ولا كل هذا ضللنا عن سبيل الحق ولا سقطنا من حال المنطق حتى تكون كل هذه السماجة من رأينا وما هو تبع لها لان الافصاح مرح وجراءة القول لما يتبع ذلك جفاء وجسارة ولكنا نقول ان المسيح هو الكلمة الاله احد

الثالوث القدوس المولود من الاب قبل الدهور الذي به خلق كلما يرى وكل ما لا يرى وهو ضوء مجد الاب وصورة عينه كما تقول الكتب المهذَّبة وكما كرز وصرح مجمع نيقية المطهَّر وكل الاباء الابرار الذين من نور البارقليط استغنوا من التفقه والتفطن في غور الكتب الالهية. ونقول ان هذه الكلمة الاله تجسد من العذراء المصطفاة مريم فولد منها انساناً . فالعذراء الخالصة من اجل ذلك النقية والدة الاله نكرزها ونقولها . فاما قولنا ان الكلمة تجسد فانَّا انما نعني به انه حديثاً هبط الى حال تدبير التواضع من اجل فكنا وخلاصنا . ونحن نريك ايضاً انه صار انساناً هذا الكلمة حتى نوضح بذلك ان تجسده ليس نعني به التحاف الجسد الالتزاق به . ولكن الاتصال الحق والاتحاد الذي هو ارفع من كل اتصال واتحاد حتى انه قد جعل الذي اتصل به الهاً اعني الانسان وصار هو انساناً اعني الاله الذي اتحد بالانسان وان كان ذلك ليس في وجه واحد

ونحن اذا قلنا ان الكلمة صار انساناً فلا نرى انا نلحق به تغييراً او تبديلاً او اننا ننفي عنه شيئاً مما لم يزل له . لكننا نقول ان الكلمة بقي على ما لم يزل اي بقي على انه اله كامل بالحقيقة. وصار انساناً تاماً بالحقيقة وهو الآن بعد تجسده اله حق وانسان حق وقد يقال عليه كلا الاسمين في حال الحقيقة. ونقول انه له اي الكلمة حد اله وحد انسان بتمام ذلك . من اجل هذا نقول له بعد تجسده طبيعتان على وجه التحديد اي الطبيعتان تقالان عليه ويقع عليه اسم كل واحد منهما في الحقيقة والثبات . وقد

صار الكلمة يقال عنه اله حق وانسان حق في الطبيعة والحد وثبات المعنى وليس لانَّا نعدُّ الكلمة الاله والجسد الذي من مريم على جهة الفرقة والالتزاق نقول له طبيعتان ولا لانا لا نقول طبيعة واحدة مركبة من طبيعتين كما يقول سويروس مثل طبيعة الانسان والا فقد صرنا لا نقول اتصالاً واتحاداً حقاً لان اتحاد الطبيعة الواحدة المركبة التي تشبه اتحاد الانسان قد تتلوه سماجة كثيرة ان قيلت على المسيح. وليس هذا وجهاً حقيقياً من الاتصال ولكنه ناقص جدًّا . فهل يكون من الاتصال والاتحاد اشد والمحض واخلص من ان يكون هذا ذلك وذلك هذا؟ فهذا لعمري اصح واخلص والمحض من شيئين اجتمعا فيكون من اتحادها طبيعة واحدة. فقد نرى الاعواد والمسامير اذا اجتمعوا في صنعة الباب وجعلوا طبيعة واحدة اي طبيعة الباب لا نقول ان المسامير صارت اعواداً ولا الاعواد مسامير وان كان الباب الذي من كليهما طبيعة واحدة . كذلك ان قلت ان الانسان الذي تردده عصابة سويروس ويأتون به فوق واسفل في كتبهم وهم يصرفون الجهة والنحو الذي فيه تمثل اتصال المسيح كما قد ذكرنا فانك ان فكرت في تركيبه فانك تعلم ان النفس والجسد توافيا في اتصاله واتحاده. وان كان قد صار منها حياة واحدة فلسنا نقول ان النفس صارت جسداً ولا الجسد نفساً كما نقول على الكلمة انه صار انساناً في حال التحديد وثبات المعنى كما نقول على الانسان انه صار الهاً وان كان ليس في ذلك المعنى. فقد نردد الكلام ولا نكسل لجهل بعض الناس ومماراتهم . ونقول ايضاً ان للكلمة طبيعة واحدة متجسدة ونحن ندل بهذا

انه حديثاً صار انساناً وانه لم يكن كذلك في ابديته . ونقول ايضاً للكلمة انه طبيعتان في وجه التحديد اي اذا قلنا انه تجسد فللكلمة بعينه نريد وان له حقيقة الناسوت اي حدها بكل تمامه ليس بانقص من احدنا . فلذلك قد يلايمه كلتا الصورتين محققاً بعضها بعضاً لا يخالفان اعني لا يقال طبيعة واحدة متجسدة لانه يقال بلا بد طبيعتان لما يراد بيان ذلك لكيلا يظن ان التجسد كما قلنا التحاق الجسد والالتزاق به . لانا لو قلنا طبيعة واحدة الكلمة المتجسدة من اين يعرف ان قولنا تجسد انا انما نعني به انه صار لحماً لو لم نقل زيادة ان الكلمة طبيعتان بعد تجسده اي انه اله وانه انسان بعينه .

فنحن نقول على الكلمة في حال الوجود والحقيقة والتحديد طبيعتان نصفه بهما ونقولهما عليه قولاً راتباً ثابتاً غالباً خاصاً مع كل شيء للطبيعتين وكيف ذلك ؟

نقول للكلمة انه اله وانه انسان ونعطيه حد الاله كائناً ما كان ليس بانقص مما نعطيه للاب والروح وحد الانسان اي انه حي ناطق مائت ونقول عليه الصفات المضادة جميعاً في الوجود والحقيقة اي نقول ان الكلمة خالق ومخلوق وابدي وزمني وانه يرى وانه لا يرى وغير ميت وميت وغير محو ومحو وبسيط ومركب وغني ومسكين وكلما شاكل هذا من المضادة قد نصف به الكلمة وانما نصفه من ذلك بالرفيعة في حال انه اله ونصفه بالاخر لانه صار انساناً . ونحن نعرف بذا انه اله انما له هذا من طبيعته على حال صرفها ومحضها وتجردها . وانه قد وُلد من الاب كمن العلة .

واما كون الكلمة انساناً فليس ذلك له من قبل طبيعته على حال تجردها وصرفها ومحضها ولكن له ذلك من الاتصال الحق الثابت الذي هو فوق كل اتصال . ولذلك ينسب ويقال له طبيعتان وحقيقتهما وحدودهما وان كانت الطبيعة الواحدة لم تزل للكلمة ابدياً . فاما الطبيعة الاخرى فانه صيرّها حديثاً حيث قضى التدبير الذي من اجل خلاصنا . ونحن نقول للكلمة بعينه انه اله كله وانه انسان كله وانه كله ميت وكله غير ميت وكله قد اصيب وكله لم يصب . وكونه اصيب وما شاكل ذلك نقوله عليه ليس على النوع الذي نقول عليه انه لم يصب ولكن في نوع آخر هذا كله متصل فيه اكثر من اتصال الاعضاء في جسد واحد واكثر من اتصال النفس والجسد في انسان واحد

فاما ان يقال المسيح طبيعة واحدة مركبة من اللاهوت والناسوت كما يقال الانسان طبيعة واحدة مركبة من النفس والجسد فهذا نفي البتة من شريعة المنطق واستقامته

وان فتش احد وفحص ان كيف صار الاله انساناً من غير تغيير عن انه اله وكيف يجري على الكلمة الاله اسم الانسان وحقيقته ومعناه وصميم حده . فانّا وان كان حال التجسد ارفع من العقل الانسي فقد نقول على جهة المثل كما استفدنا من النعمة الالهية ان الانسان الحق انما هو الذي يفعل جميع الافعال الانسية بالابعاض التي منها ركب الانسان وقد اتصلت فيه على هندسة التركيب الانسي بكل الكمال اي بالنفس وبالعقل بالجسد . فلان الكلمة الاله ضمّ اليه هذه الابعاض اعني العقل والنفس

والجسد على هنداس التركيب الانسي بتهيئته وكاية كماله وفعل به الكامة الافعال الانسية على حقها وطبيعتها فقد يقال للكامة انه صار انساناً بالحقيقة والطبيعة لانه انه انما ينسب الفعل الى البادي، بالحركة. وانما يقال ان الفعل للبادي، بالحركة وان كان يفعله بشيء اخر لان الكامة الاله ليس شيئاً واحداً من افعال الطبيعة الانسية فعل بذلك التركيب الانسي الذي ضمه اليه واتصل به ولكن جميع الافعال الانسية . وليس ربما كان يفعل به وربما لا . بل كان ابداً يحركه ويفعل به ويستعمله. من اجل ذلك قد يقال للكامة انه صار انساناً . وقد نأتي بالمثل لذلك وان كان غامضاً دقيقاً لا نجارى في حقيقة الامر ولكن له اشد مشا كاة من غيره من الامثال لكيما ندعم العقل ونوقفه على وقت وهم وصووة فلا يزول عنه راساً معنى ما نصف . ونقول ان الجسد الذي من الدم كونت حياته (اح ١٧ : ١١) كما يقول الكتاب فيه وجود وعدة واستطاعة جميع حركات طبيعته اعني اتقباض وانبساط. وكاما فيه من هذا فبالعصب يكون تقلبه. ولانه متصل بالعقل فالعقل هو الذي يعمل به وهو الذي يأخذ استطاعته وعدة الحركات التي الجسد خزانتها ومعدنها فيستعملها كما شاء وفيما شاء ومتى شاء وفي الحال التي يشاء كقولك في المثل ان اللسان هو خزانة ومعدن قوى الكلام وفيه استطاعة لجميع تقلب اختلاف الحروف وقد يجري اليه المدد والقوة في العصب من الروح النفساني الذي في الدماغ فيستطيع ان يتقلب فالعقل قابض على الروح النفساني قبوضاً خفياً وهو يحرك به اللسان على نحو ارادته ومشيئته . وربما قال الحسنات وربما قال السيئات باللسان

والعقل هو المحمود فيما نطق اللسان ان كان الكلام جميلاً وهو المذموم ان كان الكلام غير جميل مع ان اصل الحركات ليس هو للعقل على حال صرف طبيعته وتجردها ولكنه للسان . وعلامة ذلك ان العقل اذا استرخى او تشذب فحينئذ يتقلب اللسان مشوشاً وعند ذلك يعلم انه عديم من تدبير العقل لان حركاته تكون على غير سداد مذبذبة (١) عابرة على غير شريعة عمل الفكر ولكن لحركات البهائم . هكذا في المثل كان الكامة الاله يعمل بالناسوت اي بالعقل والنفس والجسد المتصلة بعضها ببعض في حال هنداس وتأليف التركيب الانسي . ولان جميع العقل والنفس والجسد كهيئة كل واحد منها وسنته الطباعية كان الكامة الاله يفعل ويعمل بهذه الخليقة الانسية فعلاً ثابتاً بلا شك معروفاً بذلك له . ولذلك يقال انه صار انساناً ويجري عليه اي على الكامة جميع حد هذه الطبيعة الانسية كما يجري على احدنا

الا ان الكامة لم يكن بتقلبه الا وحدانياً اعني اقنوماً او اوجهاً حدث ووجد من اللاهوت والناسوت كما ان كل واحد منا لهذا السبب يقال له عين ووجه اي اقنوم من الناسوت لان له جميع التركيب الانسي الذى هو معدن جميع القوى والحركات والفعل وتعمل به اقنومية على نحو مشيئته من اجل ذلك . اما اصل الحركات والقوى الذي في كل واحد من ابعاض التركيب فانه طباعي لكل الناس . فاما الحركات التي

(١) مذبذة اي مهتزة مترددة

تبدو بالفعل ولها نحو موقت ومأخذ مقدَّر وشكل تقلب ونعت فعل فانها للاقنوم . وليس على انقص من هذه الحال كان للكلمة الاله جميع التركيب الانسي بجميع هنداسه الذي هو خزانة ومعدن جميع الحركات الانسية . والكلمة هو الذي كان يستعمله كما يريد . فلذلك الافعال التي بدت منه هي للكلمة ولا نرى ان القوى التي كانت في التركيب الانسي بطلت لان الكلمة هو كان المدبر والمحرك لها وان كان قد يرى ذلك جند (المانوتليين) لا بل بوجود اصل الحركات الطباعية وكما يصلح وينبغي لها طباعياً من الذي كان في ذلك التركيب الانسي الذي اتصل بالكلمة به يتحقق للكلمة انه صار انساناً . لانها ان بطلت هيئة التركيب الانسي واستطاعته فليس هو طبيعة انسية كما انه لو بطل الاحتراق من النار فقد كانت ليست بنار

ولان استطاعة القوى والفعل موجودة في الناسوت فيلزمنا ان نبرّىء الكلمة الاله من الافعال الانسية . ولكنا قد نقول ان منتهى الافعال الانسية وتمامها الظاهر الخارج وتحركها الذي كان من داخل ومبدأها على اي حال كان فهو من الكلمة وله . لانه كان المدبّر لكل ما كان للناسوت والمصرّف والمحرك له والسائس . وما كان يكون ذلك الا وقد سبق وهيأ واعدَّ له جميع استطاعته الطباعية في الجسد الذي خلقه له من العذراء . لاننا ان زعمنا انه لم يكن في الناسوت قوة استطاعة وهيئة وخليقة الافعال فقد صيرنا الناسوت اداة خرساء ووعاء اصمّ . وصار كلما فعل الكلمة الاله من الافعال الانسية خيالاً لانه لم يكن للفعل الانسي

حقيقة طباعية . وهذا هو الكفر بتجسد الكلمة اي بانه صار انساناً .

ولكن خذ بنا لايضاح فعل الكلمة وبيانها مثلاً وشبهاً من احد الافعال الانسية التي ذكرناها . ان اللسان هو اناء واداة متقلب به تتم الكلام . وهذا قد ينبغي ان يكون في طبيعته ليناً رخواً رخصاً لكيلا تعسر فيه الحركة ولكن سهلاً حتى يكون عتيداً (١) مجيباً متهيئاً لخدمة تحريك العقل الخفيف الزلق الطائر في تقلبه . وينبغي ان يكون له ايضاً من الطبيعة حدٌّ يقف امامه لكيلا يبرز خارجاً عن الاسنان كثيراً ولا يطول ولا يقصر . وقد ينبغي ان يكون فيه عصب متصل بالدماغ يسرع اليه فيه الروح النفساني مع غير ذلك من توابعه مما لا ينوب فيه التطويل . فاخبرونا ايها الحكماء اتقولون ان اللسان اذا رأيناه يتقلب كانت له الاستطاعة والقوة الهيئة الطباعية التي بها تتم تقلبه وبها كان الكلمة الاله يحركه بالعقل القابض قبوضاً طباعياً على اصل الروح النفساني وبه يحرك جميع الاعضاء ام لا ؟ فان قلتم انه لم تكن فيه هذه الهيئة الطباعة التي بها تتم تقلبه ومنها يعرف ان له الاستطاعة فقد صيرتموه اداة خرساء وجعلتموه انما له قد اللسان فقط وليس له حقيقة اللسان . والذي هو كذلك فليس ينبغي له ان يسمى طبيعة ولكن صورة خرساء ووثناً غير حساس ينحت في بشرة الانسان من حجر وهو عديم من الحقيقة الطباعية

وان قلتم انها قد كانت له هذه الاستطاعة فقد اقررتم عزمة انه قد كان له فعل طباعي وان كان الكلمة هو الذي يفعل هذا الفعل به

(١) عتيداً اى حاضراً مهياً .

وليس الفعل للطبيعة الانسية على حدتها وحيادها وعزلتها مع انه قد
يقال على الطبيعة الانسية انها كانت تفعل في الوجه الجميل الذي سنصفه
ان شاء الله . ونحن ليس نفرز لها فعلاً اقنومياً مفصولاً ولكن نحقق لها
انها لم تكن غير متحركة كشريعتها حيث كان الكلمة يحركها ويدّبرها .
وفي هذا النحو نقول فعلين طباعيين ولكن للكلمة نقولهما وليس لآخر
وآخر او لاثنين . لان الكلمة هو الذي كان يعمل بلاهوته . وهو ايضاً
كان يعمل بطبيعة ناسوته اي بالتركيب الانسي الذي كان له او بالخلقة او
كيف شاء الانسان ان يقول . ولكن فليحفظ القائل حقيقة الطبيعة
الانسية من غير ثبات وجه منها على حدته اي اقنوم انسي والا تكون تفعل
علىٰ حيادها وقد قضى حينئذ ما يراد الذي يقول هكذا . لان ليس
مشاجرتنا في الاسماء ولكنا ننظر في الاشياء بالطف النظر كاستحسان
الفلسفة الروحانية. وهذا الاتصال والاتحاد الحق هو اخلص وامحض واحق
من اتصال النفس والجسد. ولانه كان الكلمة يعمل بالتركيب الانسي افيضت
قوة لاهوت الكلمة على ذلك الناسوت حتى كان يكون غير ذلك لو لم يكن
الى النفس الكلمانية مضموماً. كذلك نقول ان الناسوت اتصل باللاهوت
ليس في حال سياسة اللاهوت له وتدبيره حركاته فقط بل في ان الذي
للاهوت جرى فوصل الى الناسوت لمكان الاتصال اكثر مما جرى
الذي للنفس للجسد. وهذا كله كان وذلك ارفع من هذا كرفعة الطبيعة
الالهية عن طبيعة النفس وانه يُعطى كل شيء اذا قرن وضم به. وليس
حركة يخطر قربه على جهة المرح والتصلف والدالة ولكن كل شيء يذعن

له قاراً هادياً هدواً لا يقدّر ومن دون اذنه ليس يقدر ان يتحرك. واما
الشيء الذي كان يجري من اللاهوت على الناسوت فهو هذا حكمته
الالهية افيضت على العقل لئلا يتبدّل من آفة. وفرح لا يقدّر قد غشي
العقل وشمله الذي بعمد تدبير يتجشم وبارادة الخلاص يتحرك . ويبدأ
له اثر عز لا منتهى له وافعال القوة والاعاجيب وكمال الجود الفائض
حتى صار جسوراً على الموت ليس في حال التفريط والتقحم ولكن لنعمة
الخلاص والتماسه وتمام كل العدل

في هذا الوجه نقول انه يشبه اتصال اللاهوت والناسوت اتصال
النفس والجسد وليس في ان يصير ويكون من اللاهوت والناسوت طبيعة
واحدة مركبة لا لمسيح كما صارت وحدثت طبيعة واحدة من النفس
والجسد للانسان الذي ليس هو احد ابعاضه. لان هذا القول يتبعه سماجة
كثيرة كما قد اوضحنا وبيّنّا غير مرة. ولانه في حال الفعل وليس في حال
التغيير يقال انه تجسد الاله فذلك انما صنع الجسد له واتخذه واختص به

وحيث اراد عقل الاباء القديسين الراسخ فيه روح القدس المتشبه
بالرحمة الالهية والمحلّ بها والمحتوي عليها ان يمثلوا ما قد عُرف ويمكن
ان يُعرف من هذا العلم المكنون بما هو دونه من الاشياء التي تُحرى وذلك
انحطاطاً لانه ارفع من عقولهم فالتمسوا ان يفصلوا هذا الفعل اي هذا
الاختصاص وهذه الاضافة من الذي يضاف الى الشيء وهو منه بائن
مفروج . ولم يكن لهم شيء اشد مشاكاة لتحقيق ما يرى من ذلك مثل
النفس والجسد . مع انه ليس في كل شيء يشبهه كما قد ذكرنا . ولكن في

الوجوه التي قد بيناها ورسمناها قبلاً مع انه ارفع وافضل من تلك الانحاء
المشاكلة من اتصال النفس والجسد . لان النفس وان كان بالجسد متصلها
فليس لها فيه سلطان الا على منتهى افعاله والبارز منها البادي والظاهر .
او ربما بادرت لئلا يهتاج فيه شيء فتقطع علله واسبابه من بعيد بحيلة وصبر
فاما اللاهوت عن الناسوت ففوق هذا كان . لانّا لسنا نقول انه كان
يهتاج البتة مبدأ اوّل الحركات الطباعية المعدولة ولا غيرها حتى كان
اللاهوت يأذن ان تثور في الزمان والحين والقدر الذي كان يعلم انه يصلح
لتدبير خلاصنا

وايضاً النفس اذا ذهبتَ ان تقرنها الى الجسد وتقيسها به فبقدر
يتنهي وغاية تتقطع تفوق قوتها قوته . من اجل ذلك طالما تحذر وتهاب
ان مدداً من حركات الجسد يأتي من موضع آخر . وكم من مرة اذا كان
ذلك فقد تقهقر النفس من تلك الحركات كالراكب الضعيف اذا ركب
المهر الصعب فيجمح به . وربما سبقت الى ما يخالف ارادتها من شدة
وعورة جري امواجه كسفينة يقوم عليها الراموز (١) فتضل وتنصرف الى
كل موضع بغير عمد من مدبرها . من اجل ذلك الذين انجحوا وظفروا
في البر انما جروا في حلبتهم اي ميدانهم بلطف فطنة الحكمة . وذلك
لانهم يحتالون لاخماد وابراد حرارة الجسد لكي يقوى فيهم العقل فيرتّب
على عرشه بقدرة . ولم يكن القديسون يرخّصون ان يعطوا الجسد شيئاً من
موافقته او نظيره . وقد كانت لعقولهم الغلبة والرزانة والكثافة بالروح .

(١) الراموز اي البحر .

وانما كانوا اذا تعمدوا تدبيراً يكون تبعاً للارادة الالهية ويلتمسون بذلك
ان يحققوا انهم على كل شيء يقدرون بالقوة الالهيــة التي سكنتهم وكل
شيء غير ذلك فلا شيء . ويفهمك بذلك مار بولس العزيز بروح القدس
انه يقول : اني اجتهد ليس كمن يضرب الجوّ ولكن اروّض جسدي واقهره
لكيلا اكون انا الذي دعوت الآخرين وشحذتهم مرذولاً (١ كور ٩ : ٢٧)

فاما اللاهوت فلم يكن هكذا عند الناسوت ولكن كانت قوته تغلب
وتفوق حركات الطبيعة الانسية بما لا يستقصى ولا يقاس حتى ان الناسوت
غطيت من اللاهوت كقطرة خل تمزج وتشاب في بحر عظيم وان كان
ذلك ليس في الاختلاط والفساد والبلبلة حتى انه من قبل الاتصال لم يكن
فرجة لشيء من نوائب النقص الانسي ان يبدو له هناك أثر لولا ان ذلك
ترك ان يكون بتعمد تدبير لالتماس الخلاص حتى قيامة المسيح من الموتى .
فلذلك لم يكن ثم رأساً فعل ولا هاجت خطرة ولا ثارت حركة الا
التي كان اللاهوت يناسبها ومن اجل ذلك الجسد الطاهر الذي كانت
له نفس وعقل ألفي وحده قد فاق الخطيئة وتجلل بجميع البر الالهي ليس
بانقص من الاله الذي اتصل به كما ليس ان يكون من الخلائق

فقد عرف من هذا ان اتصال المسيح فيما يشبه به من اتصال الانسان افضل
واعجب وارفع بما لا منتهى له . لان الذي تنتهي اليه النفس والجسد من اتصالهما
في طبيعة الانسان التي هي مركبة هو ان تكون النفس تحرك الجسد في الوجه
الذي ذكرنا انها تحركه وان يكون الجسد يحيا بحياة النفس وان تفيض ما
بها عليه في الحال والقدر الذي زعمنا . فاما الانسان فليس من اجل هذا

يسمى طبيعة واحدة مركبة ولكن للوجوه الاخر التي قد نراها في غير
الانسان من المركبين الذين قد ذكرنا من فوق وقد قلنا ان اتحاد اللاهوت
بالناسوت امحض واخلص وارفع من اتصال النفس بالجسد بما لا غاية له .
فاما المسيح فلم نقل انه طبيعة واحدة مركبة ورأينا ان نقول طبيعتين لان
المسيح قد يعرف انه الكلمة بعينه ونعلم انه صار انساناً باتصاله بالناسوت
على حال الحقيقة والكمال والطبيعة . ويقال عليه اسم الاله بمعناه واسم
الانسان بمعناه وحد الاله وحد الانسان اي يقال انه اله حقاً وانسان
حقاً . ومن هذه الصفة والقول الذي وقع بثبات معناه على الكلمة الاله
من كلا الجانبين من جانب اللاهوت ومن جانب الناسوت قد نقول
للكلمة بعد تجسده انه طبيعتان

ولكن لانّا ذكرنا الفعل فاثبتنا ان تجسد الكلمة الاله لم يكن تغييراً
الى الجسد ولا انتقالاً من موضع الى موضع ولكن بتحريكه الناسوت
والاستعمال له والفعل به وقد ينبغي ان نصف الفعل صفة بينة وما
شاكله ونوضح قولنا في المسيح وكيف كان فعله . وعلى كم جهة وما معنى
كل جهة من ذلك لكيما اذا اصيب شيء من تلك الجهات في كتب العتيقة
والحديثة او في كلام الاباء القديسين المنطوق بروح القدس ان يعرف ما
معناه وان كان انسان من الاراتقيين يمتسل قولاً قيل مستقيماً من انسان
معروف قد بلي وجرّب وامتحن وهو اهل ان يقبل منه فاختزل قوله
ولم ينزله كراي قائله ولكن يعيبه ويترك وجه الكلام الجميل الذي يفهم
عليه ويذهب الى النحو الرزل . وانما ذكرنا هذا حتى يعرف انه كلام مقرّف

اعلم يا حبيب انه قد يقال للكلمة الاله اله كالاله اي انه ابداً حي غير
محو وغير ميت وما شاكل ذلك لان هذه الصفة انما يستحقها الاله في
انه اله على حال صرف طبيعته وتجردها . ويقال للكلمة الاله انه كان يعمل
الالهيات في حال الالهية اعني بذلك الافعال التي بدت منه اي انه كان
يقيم الموتى ويصنع كل نوع من هذه الاعاجيب العجيبة بقدرة الربوبية
لان ذلك ليس كان احد يستحقه الا من كان الهاً في طبيعته لانه هو معدنه
وليس من موضع اخر يأتيه ويستفيده . ويقال للكلمة الاله انه عمل
الالهيات في حال انسيته لانه ليس بغير الجسد وخارجاً عنه عملها ولكن
بالجسد

ويقال للكلمة الاله انه عمل الالهيات في حال الهية وليس في حال
انسية مثل ما اقام جسده ومثلما الّهه . ويقال ان الكلمة الاله عمل الالهيات
ليس كاله لانه لم يكن يعملها في حال الاختزان والاكتنان كعادة اللاهوت
ويقال للكلمة انه انسان لانه صار انساناً حقاً . ويقال للكلمة انه ليس
انساناً لان ليس له ذلك من طبيعته ولكن من الاتصال بالناسوت

ويقال للكلمة انه كان يعمل الانسيات وتعرض له ويلقاها وذلك لانه
صارت له استطاعة من الطبيعة الانسية التي اتخذها لحال التدبير . ويقال
للكلمة الاله انه عمل الانسيات ولقيها في حال ناسوته لان افعال الانسية
التي فعلها كان مبدا تحريكها منه وله . من اجل ذلك اليه تنسب المصائب
والملاقي لان اعراض المصائب انما يراد بها الفاعل وان كانت تصير الى
الذي يلقاها

ويقال للكلمة انه لم يُصب ولم ينصب لانه ليس من سبيل ولا من
تهيئة ولا استطاعة ان يصل ذلك اليه في طبيعته وتجرُّد لاهوته . ويقال
للكلمة انه لم يصب ولم يؤلَّم ولم يؤذ لان تلك الانصاب والمصائب والاذى
التي حلت به وعرضت له لم تصل الى طبيعته الالهية

ويقال ايضاً ان الكلمة فعل الافعال الانسية ليس في حال انسيته
لانه كان يفعل ذلك بالاشتباك والامتزاج والاختلاط بتلك الافعال الالهية
التي كانت تفعل منه مع الافعال الانسية وكان كذلك على حال اخرى لا تشبه
في كليتها حال الانسية على صرفها ومحضها . لانه وان قيل انه جاع الكلمة
واعيا في حال تجسده وحلَّ ذلك بجسده طباعياً لكن انما عرض له
الجوع حيث خلى الحرارة الطباعية تدبُّ الى فم المعدة فتمصُّ وتؤدي
العصب الذي هناك . ومن هذا يهتاج الجوع لجمع الحياة الانسية ويشتاق
الى الطعام لتسكين ألم الحرارة . والاعياء انما عرض له هذا حيث شاء
فترك الرطوبة التي تغذي وتعوض وتريح الاعضاء ان تضمحل بقبض
الاعضاء وبسطها حتى يصير العصب الى تزيج لا يصلح فيها ولا يتهيأ
لخدمة الروح النفساني . او ترك الروح النفساني ينقبض حتى لا يستطيع
ان يفيض فيضاً غزيراً في مجاري العصب فينشطه للحركة . ولكن هذه
الاشياء وان عرضت له طباعياً قد تعرض لكل الناس ولكن ليس في
الانحاء والجهات والاسباب التي تعرض للناس . لان الناس بلا بد قد
يعتريهم ذلك ويعرض لهم . واما هو فليس بلا بد عرض له هذا ولكنه انما
تعرَّض لهذه المصائب فاتيا متعمداً تدبيراً مما يصلح لخلاصنا

وقد يقال للجسد انه ميت ويصاب ويتاذى لان ذلك له من قبل
طبيعته على صرفها وتجردها . ويقال للجسد نصب وملت وفعل الافعال
الانسية لان طبيعته مستعدة لان يعرض ذلك لها وتنفعل منها

ويقال ان الجسد عمل الانسيات ولقيها بالكلمة لان الكلمة هو
الذي كان يفعل ذلك به ويلقاه فيه . لانه كان السائس والمدبر لحركاته .
ولكن لم يصر الجسد من اتصاله بالكلمة غير فعال وغير متحرك وان كان
الكلمة هو الذي كان يحرك افعاله ويدبّرها على نحو مشيئته

ويقال ايضاً عن الجسد انه كان يعمل الالهيات لانه استفاد قوة من
فيض اللاهوت عليه لان يعمل ذلك . ويقال ان الجسد عمل الالهيات
بقوة لاهوت الكلمة لان الجسد متحرك لحال استطاعة طبيعته وان كان
الكلمة هو الذي كان يدبر لحركاته وفي هذا يقال انه كان يحركه . من
اجل ذلك يقال للجسد انه كان يعمل الالهيات بلاهوت الكلمة كما يقال
للحديد انه يحرق بالنار

ويقال للجسد انه لم يعمل الالهيات لانها ليست له طباعية على حال
تجرُّد طبيعته . ويقال للجسد انه ليس باله لانه ليس في الطبيعة اله سوى
سبب اله ولكن من الاتصال بالكلمة صار الهاً ولانها فاضت عليه
القوة الالهية كلها وان كان بعمد تدبير تأخر ان يظهر ذلك فيه على كماله
حتى كان يوم قيامته . وذلك لانه كان يحتاج الى الانصاب والمصائب من
اجل خلاصنا

هذا كله يا اخي ومثله قد يقال على المسيح حقاً اذا اخذ على جهلته

مستقيمة وقد نجده مزروعاً ملتفاً في كلام الاباء كثيراً بقدر الجهات التي كانت تصلح لهم ان يتكلموا عليها في كل دهر وكانوا يقيناً انما يتكلمون بالصواب ويحتمون بالحق في كل زمن . وليس لمكان الانحطاط كانوا يقولون ما لا يجمل وما ليس بحق كما ظن بعض الناس . من اجل ذلك قد ينبغي الا يلام من قال شيئاً من هذه الاصوات والصفات الا ان يكون مقراً مصرِّحاً جهاراً انه على جهته قاله او لانه قد وضع اصلاً سمجاً وحتماً ردياً علانية . فاذا قبل منه احد هذه الاصوات فقد عُرف انه بقدر الراي السؤ الذي قد سبق منه فاثبته ظاهراً بقوله كما قال مار قرلس القديس وهو يحد حرف « مع » وزعم انه اذا كان الاتصال الحق قد وضع قديماً واثبت علانية باقرار من قائله فليس يضر قول « مع » ولا تدخل « مع » شق الوجوه وافترازها وثبوت كل واحدة من الطبائع على حدتها . واذا كان الافتراز والاعتزال محتوماً من القائل فمعروف اذا دخلت « مع » انه انما يعني بها وجهين مفترزين مثل بطرس وبولس (١)

(١) لا يستقيم معنى هذه الجملة الا ان يكون في الاصل اليوناني بكلام القديس كيرلس « مع » بدل واو العطف في الكلام السابق . والمحصل من هذا ان القديس المذكور لا يلام لاستعماله لفظة « مع » من قوله « اتحد اللاهوت مع الناسوت في المسيح » وان قال في تفسيره معنى « مع » انها تدل على الانفصال وعدم الاتحاد لان تعليمه السابق بشأن اتحاد اللاهوت مع الناسوت عرف واثبت في غير هذا المحل ومن ثم لا يضر في ذلك استعماله لفظة « مع » ولا يريد بها الدلالة على انفصال الوجوه او الاقانيم وثبوت كل طبيعة من اللاهوت والناسوت على حدتها .

وقد ينبغي ان يقال ان نسطورس قال في موضع ان الاله لم يصب او نعرف نحن يقيناً انه انما يقول هذا على الكلمة الاله لانه عنده نفي البتة من الاتصال بالجسد . فهذا الوجه يشا كل رأيه الظاهر وليس على الجهة الحسنة التي رسمناها من فوق . وان قال اوطيش او اولليان او ايلمناريوس (١) ان الاله نصب واصيب فمعروف انه انما يقولون ذلك اما لانهم يدخلون الانصاب على طبيعة اللاهوت واما لانه انما فعل ذلك به خيالاً . فبهذه الجهة لعمري ان هذا الصوت يلائم رأيهم وليس للوجه الجميل الذي ذكرنا من فوق

وان قال اثناسيوس كما قد يقول مخالفة لايلمناريوس : ان الذي اختتن ليس هو الكلمة ولكنه الجسد وليس اللاهوت اصيب ولكن الجسد . فمعروف انه انما يقول ذلك في الوجه الجميل الذي ذكرنا وليس على مثل نسطوريوس لانه قد عرف قديماً ان رأيه مستقيم ارثوذكسي . فاما في ظاهر الكلام فهو والاراتقيين سواء ولكن قد يخالفهم في الجهة والمعنى

واذا كان يريد بها الدلالة على الفصل فانما يعنى بها وجهين او اقنومين مثل بطرس مع بولس او بطرس وبولس

(١) اوطيش هو نفس اوطيخا ويقول العرب فيه اوطاخى وهو اول رؤساء الاراتقة اصحاب الطبيعة الواحدة . واما اولليان او لوليان فهو على ما ارى لا يخلو من تحريف وربما كان نفس يوليان احد رؤساء الاراتقة اصحاب الطبيعة الواحدة من جبل كرناس في بلاد اليونان . وكذلك ايلمناريوس فاظن انه تحريف اسم ابليناريوس اللادقى الذى كان معاصراً للقديس اثناسيوس الكبير وقد ارتقه في رسالة كتبها الى اسقف كورنتية والله اعلم بالصواب

كذلك مار قرلس القديس اذا قال ان الكلمة هو كلمة وليس بجسد فليس مثل نسطوريوس يقول ان الكلمة ما صار جسداً في حال اتصال الحق ولكن قد نقبل هذا الصوت منـه وننزله على الجهة الجميلة التي ذكرنا من فوق لانها اشبه برأيه واشد مشاكلة لجهاده وقتاله

فقد عرفت يا اخي كما بينا انها تقال الصفات المخالفة المضادة على الشيء الواحد بعينه وهي حق اذا اخذت على جهات مختلفة . من اجل ذلك ينبغي الا يدان ولا يعاب ولا يلام الذي يقول هذه الاصوات الا ان يُعرف انه انما قالها على الجهات الردية اما باقرار يكون بلسانه . او قد حدَّ قولاً ردياً سمجاً علانية قديماً فيعرف حينئذ جهاراً من اهل الفطنة انه انما قالها على جهة تشاكل رايه القبيح . من اجل ذلك اطلب اليك ايها الحبيب الا تفهم مجمع خلكيدونية المقدس ولا صحيفة القديس ليون البابا الطاهر الا هكذا لان كل شيء قيل هناك ويظن من الجهلة واهل الظلم والقرف انه مشاكل لراي نسطوريوس فليس في وجه الافراز الذي عند نسطوريوس قيل منهم ذلك ولكن انما قالوه وهم يلينون قساوة اوطيش واهل رايه الذين قبلوه بغير الجهات المستقيمة

فاما ظلم هذا المجمع والعائبين له والقارفين عليـه فانهم يختطفون الكلام ويختزلونه جهلاً وبينما هم يريدون ان يغروا به اهل البلاهة والتيه والغفلة اذ سقطون في بعد سحيق لانهم لا يطيقون ان يعذلوا ثم يأخذون كلاماً مقطعاً من قول هذا المجمع الطاهر وقول القديس لاون اهل السعادة فيكتفون ان يأتوا من قول نسطورس بكلام يشبهه . ويحاً

لحمقهم اما يعلمون انك ان قطعت كلام الاباء القديسين كله وحذفته فانك تقدر ان تنتقي منه اصوتاً تشبه اصوات الاراتقيين كما قد وصفنا من فوق اي اصواتاً تقال ولكل واحد منها جهات متخالفة ولا تلزم احدى تلك الجهات على القائل الا من اقرار ظاهر يكون منه باللسان او ان تلك الجهة تتبع لحتم سابق كان من رايه او من قضيته

ولكن هؤلاء الاشقياء انما يستغيثون باسم الطبيعة الواحدة ويرون انها مثل تركيب الانسان وما يفهمون ما يقولون وما يعلمون انهم اذا قالوا ان المسيح طبيعة واحدة في هذا الوجه من التركيب فذلك منهم كفر بتجسد الكلمة اي ان ذلك مستأصل انه صار انساناً وان الاله ولد متجسداً ونصب واصيب او انه اتم تدبير خلاصنا وقضاه . ومن قبلهم قد ابادوا رجاءنا اذا كانوا يرون هذا . لانه ان كانت هذه الاشياء لا تنسب الى الاله في الوجه الذي ذكرنا فبأي نحو من العدل او باية حجة خلصنا من ابليس والموت والخطيئة والناموس

فليسكت اهل هذا الراي فانهم عن الشيطان يخاصمون . فقد كان لعمري يتمنى ان يكون الذي صلب على الجلجلة ليس باله وان كان الاله متصلاً به فاذا هو قد استراح من الخزي بالعز وثبت سلطانه وثوى يصرح على الامم بصك الخطيئة الذي كتبه ادم ابونا وكان يحرز اجناد الانفس تحت يديه في مطبق الجحيم والاجساد كانت تغرق حتى لا يكون الا الفساد الكامل الذي حلّ بها والبر لم يكن يشرق راساً في اولاد ادم . فاما نحن فحاشا لنا ان نرى هذا الراي ولكنا نقول ان الكلمة الاله صار

انساناً في الوجه الذي ذكرنا وانه هو المسيح وهو الذي اصيب وصلب
في حال تجسده ولان القتل ينسب اليـه صار ذبيحة وقرباناً لعدل الاب
وفتح به باب الخلاص بالحق والعدل . ونقول انه صار انساناً في انه كان
يفعل كل ما يفعله الانسان بذلك التركيب الانسي الذي ضمه اليه وكان
ناسوته بحياة الكلمة يحيا . لانه كان يفيض عليه كل ما للاهوت الكلمة في
الوجه الذي قد بينا وبغير ان نعطل ناسوته من الحياة الطباعية التي بها
تحيا كل طبيعة الناس . فاذا قلنا هكذا فقد بطل ورفع الافراز رفعاً عجيباً
وعُرف الاتصال والاتحاد انه ارفع من اتصال واتحاد الانسان بما لا غاية
له ولا قدر

واما هؤلاء اذ يقولون ان اتصال المسيح على جهة التركيب الانسي
بقدر رايهم فقد ابطلوا من قبلهم انه صار انساناً في الوجه الذي نقول نحن
وانه قد تألم الجسد وان كانوا علانيـة يأنفون ان يجحدوا هذا ولكنه
بلا محالة تبع لقولهم اذ يقولون ان المسيح طبيعة واحدة مركبة فليختـاروا
احد امرين اما ان ينتفوا ويكفروا بهذه الطبيعة الواحدة المركبة التي
يرددونها على اهل خاصيتهم واهوائهم شغباً وجهلاً فيسلمون من هذا العار
الذي لزمهم بالعدل بعد البحث والفحص العميم الشافي ويقولون كما يقضي
الحق ان الكلمة الاله طبيعتان على وجه التحديد والحقيقة بعد تجسده .
واما ان يترتبوا علانية مع من يجحد ان الاله صار انساناً . فاذاً قد صاروا
شراً من النسطورية لان نسطور انما كان يلتمس ان يثبت انه لم يصر
الاله انساناً ولم يولد من مريم العذراء ولم يُنصب ولم يصب ولم يمت .

وذلك بلا بد لازم للقائلين للمسيح طبيعة واحدة مع غير ذلك من السماجة
التي بينا في هذا الكتاب

فاقبل يا اخي من ضعفنا هدية هذا القول وتفقه فيه غير متكاسل .
وتبينه حسناً وكن فيه قاضياً عدلاً وبلطافة عقلك تحوّل عاجلاً الى حزب
اهل الحق مع الرعية الفاضلة واعرض عن اهواء وراي الطبيعة الواحدة
المركبة وعمن يقوم بحجة ذلك فانهم اهل الكراهة والسماجة . وانظر اليهم
بعين صافية فانك ستراهم يتمايلون وينكفون ويتذبذبون . فتنحَّ يا اخي عن
رأيهم وغلطهم واختلط مع الارثوذكسيين وكن في كنيستهم البهية الطاهرة
النقية وضع الارثوذكسية لنفسك اساساً صحيحاً تبني عليه اعمال صلاحك
الذي قد ارى رأيك مستعداً لها حريصاً عليها لئلا يكون عناؤك باطلاً
فتلقى كضارب الحق اذا حضرت شدة النزاع وعدمت بها الاكليل
ونسأل الله الا يعرض عنك ولا لمن يبتغي وجهه بالنية الصادقة
بصلاة والدة الاله مريم وصلوات ابينا القديس سابا الذي في ديره نُسخ
الكتاب الذي هذا الكتاب نسخ عنه مع صلاة جميع الآباء الاطهار القديسين
الذين ايمانهم ايمان الارثوذكسية المستقيم المقرين بالستة المجامع المقدسة
وصلاة جميع من آمن الايمان المستقيم المقبول الذي هو ايمان مجمع
خلكيدونية وجماعته القديسين الذين حضروه آمين

ميمر

في تحقيق ناموس موسى المقدس والانبياء الذين تنبأوا على المسيح والانجيل الطاهر الذى نقله الى الامم تلاميذ المسيح المولود من مريم العذراء وتحقيق الارثوذكسية التى يلسبها الناس الى الخلكيدونية وابطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملة وضعه المعلم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كيرثاودورس اسقف حرّان

ا

ان الله ترآى لموسى في طور سينا (سفر الخروج ف ٢ و٣) فانتخبه ان يشترع ديناً لبني اسرائيل وامره ان يشخص الى فرعون ملك مصر وان ينقذهم من يديه وان موسى استعفى الله من البعثة متعللاً وتأتى عليه الخوف استعظاماً للامر الذي اراد افراده له. وقال الله: مَن انا حتى آتي فرعون واخلص امّتك من يديه. فقال له الله: انا اساعدك واشدّد كلامك. ولكن انطلق حتى تجمع مشيخة بني اسرائيل فتقول لهم: انّ الرب اله ابائكم ارسلني. اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب بعثني اليكم. فقال موسى: لو قد اتيتُ بني اسرائيل فقلت لهم ان اله ابائكم ارسلني اليكم فقالوا له ما اسمه ماذا اقول لهم؟ فقال له الله: قل لهم الذي لم يزل بعثني اليكم. وقال الله: انا الذي لم ازل وانا اله ابرهيم واله اسحق

واله يعقوب. ثم قال موسى لله: هُبْ انّي اتيتهم فانبأتهم بهذا القول هنك فانهم يقولون لي انك مُبطل لم يترآى (كذا) الله لك فماذا اقول لهم؟ حينئذ قال له: اي شيء هذا الذي بيدك؟. فقال له موسى: عصاً. فقال الله له: ارم بها على الارض فرمى بها على الارض فتحوّلت ثعباناً فراعت موسى وجعل يفرُّ منها. فقال الله له: تناوله بذَنَبه. فتناوله بالذنب فعاد الثعبان عصاً. ثم قال الله: ادخل يدك في رُدْنك. فادخلها فاذا هي قد برصت برصاً يققاً ناصعاً كالثلج. فقال له الله: أعدها الى ردنك. فردها ثم اخرجها فاذا هي قد رجعت الى لون بشرته. وقال له الله: ان آمن بني اسرائيل بالآية الاولى كان به والا آمنو بالآية الثانية وان لم يؤمنوا بالآية الثانية فانشف من ماء النهر (١) واهرقه على الارض فانه سيتحوّل دماً ليؤمنوا ان اله ابائهم بعثك اليهم. فلما اعطاه قوة الاعاجيب رضي بالعسر ان ينبعث الى مصر

فمن هنا يستدل اولو الالباب ان الدين لا ينبغي لمن كان محتاطاً في النظر فيه ان يقبله من واضعه الا بالاعاجيب لان موسى قد كان يعلم انه لو ذهب يدّعي ان الله بعثه ليشترع ديناً بلا برهان يأتي به على نفسه من اعاجيب يعملها لا يقدر احد ان يعمل مثلها الا من أيّده الله قد كان سبيل لكل ذي عقل ان يزبره (٢) وان يرد عليه قوله ويحقره ويصد عنه.

---

(١) لنشف الماء من الغدير استقاه
(٢) زبرهُ باللغة انتهرهُ. و«قد» رابطة جواب لو. وهي كثيرة في كلامه

لكنه علم انه اذا كان مدلًى بقوة الاعاجيب فقد اتخذ اداة قويّة يرمي بها من كان ذا نية يرتاد لنفسه خيراً ويقوده الى الدخول فيما يضع له من عبادة الله. وكذلك ينبغي لكل ذي لبّ الا يقبل ديناً ليس اساسه على الاعاجيب الالهية التي هي برهان على تحقيق الآتي به انه من الله . فمن قبل الدين على غير هذا الاساس فقد فرّط وترك الحزم في الامر الذي لم يُخلق الحزمُ في الانسان الا له وبذل نفسه للتلف واسترخى لمن يجتذبه الى الهلاك ويختلجه عن السبيل المؤدى الى السعادة التي اليها وحدها تتوق العقول

فمن قبل الدين الذي اتى به موسى فقد رُشد لان موسى انما حقق نبوته ورسالته من الله بعمل الاعاجيب التي لا تصنع الا بقوة الله. وحيث اتى الذين قبلوه بالغيب وقصّ عليهم كيف خلق الله السماء والارض وانبأهم بما كان قبلهم مما لم تكن تدركه عقولهم فقد احسنوا حيث الزموا نفوسهم القنوع به وتصديقه . لان الله لن يقوّي على عمل الاعاجيب الا من كان ساعياً في موافقته ويدعو الى رشده وهداه

وكذلك المسيح الهنا الحكمة الحق لم يبدأ بشيء من التعليم حتى اظهر قوته الالهية بالاعاجيب وقرّب اليه من كان مبتلًى في انواع الاسقام والامراض المؤلمة المعذبة فشفاهم واسعدهم بالبرء الكامل. فلما كان ذلك منه دنت اليه الجموع من الجليل واورشليم وكوَر الاردن . فلما راى الجموع حوله دعا تلاميذه اليه ففتح فاه وعلمهم وقال : طوبى للمساكين بالروح فان ملكوت السماء لهم . ثم تلا عليهم تعليمه واشترع لهم ناموسه

الاول فاول واخذ بشكل موسى . ولم يزل يخلط عجباً بناموس وناموساً بعجب حتى قضى تدبيره كله وصُلب ودُفن وقام لليوم الثالث . فمن اتبع المسيح لعجائبه التي لا تحصى فقد رُشد وقويت حجته كما قويت حجة الذين قبلوا موسى لِما عمل من الاعاجيب

واذا قرنت الامرين كان هذا الآخر اقوى من الاول وان كان كلاهما قويين لان اعاجيب المسيح لا تحصى ولا تعدّ ولم يقتصر على ما هو عمل من الاعاجيب مباشرة بل اعطى تلاميذه سلطاناً ان يعملوها باسمه . فاما موسى فانه عمل اعاجيب معدودة وكان يعملها لا بقوة نفسه ولكن بقوة الله وامره او بالابتهال له ولم يدعُ موسى احداً قط فقال له : انطلق فاعمل الاعاجيب باسمي. وبحق كان كل ما قد كان من المسيح ومن موسى وذلك ان المسيح اله وابن اله وكان قادراً ان يعمل بقوة نفسه الاعاجيب وان يقوّي من احب على ان يعمل مثلها باسمه . فاما موسى فانما كان عبداً مأموراً وكانت قوته على عمل الاعاجيب ليست لنفسه وانما كانت لله . فلذلك لم يكن يعمل عجباً حتى يوعز اليه من الله ان يعمله او يبتهل اليه فيأذن له في عمله . وكما ان موسى كان يعمل الاعاجيب بقوة الله وامره والابتهال اليه كذلك كان تلاميذ المسيح يعملون الاعاجيب لا باسم الله لكن باسم يسوع المسيح وقوته وامره والابتهال اليه . والتلاميذ في عمل الاعاجيب اقوى من موسى كثيراً لان موسى انما كان يوعز اليه او يبتهل قبل ان يعمل العجب اما التلاميذ فان اكثر اعاجيبهم كانت بلا تضرع . ولم يكن اكثر من ان يقولوا « باسم المسيح ليقم هذا الميت »

او « ليفتح هذا الاعمى عينيه » او « ليصح هذا المقعد » فكان يكون كما يقولون . ولم يقفوا عند ذلك فقط حتى ان مار بطرس كان يمشي فكان حيثما بلغ ظله لم يكن يسقط ظله على مريض الا شفاه (اعمال ٥ : ١٥) ومار بولس قد كان تؤخذ لفافته فتوضع على المرضى فيأتيهم البر (اعمال ١٩ : ١١ و١٢)

وبهؤلاء التلاميذ تحقق كلام داود حيث يقول : « ان الرب يعطي المبشرين بالقوة الكثيرة » (مز ٦٧ : ١٢) فليس لليهود من الحجة في قبولهم موسى الا دون ما للامم في قبول المسيح لان الامر هنا اعظم منه هناك كما ان ضوء الشمس اعظم من ضوء السراج . وقد كانت الامم تقتصر على ما عاينوا من الاعاجيب التي عملها تلاميذ المسيح باسم المسيح وكان ذلك حسبها داعية الى قبول المسيح والايمان بكل ما قاله هو وتلاميذه عنه هذا ولو لم يكن ناموس موسى والانبياء تنبأوا عليه لانه كما ان موسى حيث اتى بني اسرائيل وصدقوه وقبلوا ما حكي لهم عن الله لِما صنع بين ايديهم من تلك الاعاجيب . وان كان لم يكن احد ممن كان قبل موسى تنبأ على مجيء موسى ولم يلزمه بنو اسرائيل ان يحقق نفسه بعد الاعاجيب بنبوة من كان قبله عليه كذلك الامم قد كان يسعهم ان يؤمنوا بالمسيح ويصدقوه لما صنع من الاعاجيب التي لا تحصى التي عملها هو وتلاميذه ولو لم يكن موسى والانبياء تنبأوا عليه . فكم ينبغي ان تقبل المسيح اكثر مما قُبل موسى لشرف ما قد سبق ايضاً من نبوة موسى والانبياء كلهم عليه وعلى تدبيره كله من الصلب (اش ٦٥ : ٢) والطعن (زكر ١٢ : ١٠) وتسمير اليدين والرجلين والاقتراع

على ثيابه (مز ٢١ : ١٧ - ١٩) والبصق في وجهه (اش ٥٠ : ٦) وجلد ظهره (مز ٨٢ : ١٤) وانه بجراحه يفدي الناس من خطاياهم ويداوي امراض ذنوبهم (اش ٥٣ : ٥) وانه سُقي خلاً واطعم مراً (مز ٦٨ : ٢٢) ومواضع ما قد ذكرنا معروفة في الانبياء

والعجب منك يا يهودي حيث تكون قد قبلت موسى لاعاجيبه المعدودة ولا تقبل المسيح باعاجيبه التي لا تحصى ولا تعد . وهذا لو انك عدل قد كان واجباً عليك ان تقبله ولو لم يكن موسى والانبياء تنبأوا عليه كما قبلت موسى باعاجيبه ولم تكلفه ان يحقق نفسه مع ذلك بنبوة من كان قبله عليه . ولو ان موسى كان امرك الا تقبل نبياً بعده كما امر المسيح النصارى قد كنت لعمري معذوراً حيث تشكك بالمسيح ولكن موسى لم يزل في ناموسه الطاهر يرجيك نبياً يأتي من بعده (تث ١٨ : ١٥ و ١٨) ويأمرك عزيمة بالسمع والطاعة له في كل ما امرك به . وينذرك الموت ان انت عصيت هذا النبي ويقول ان هذا النبي مثله واضع الناموس وعهداً جديداً . وقد كان ينبغي من هذا القول ان تبطل الانبياء كلهم ما خلا هذا الواحد الذي امرت بطاعته كائناً من كان . وقد اخبرك موسى ان يعقوب تنبأ لك انها لا تفنى منك النبوة حتى يأتيك المسيح الذي هو رجاء الامم (تك ٤٩ : ١٠) وبهذا حقق الانبياء كلهم الذين قبل المسيح . ثم خصّ هذا الواحد وامرك بطاعته مراراً عن قول الله . فكان ما سبق من اخبار موسى اياك بمجيء هذا النبي الذي هو واضع عهداً ينبغي الا يحبسك طرفة عين عن قبول المسيح والايمان به حيث عمل هذه الاعاجيب . وكان يحق عليك ان تتدبر بعقلك

فتقول ان النبي الذي امرني موسى بطاعته هو هذا . اذ كان يعمل الاعاجيب
التي لا تحصى ولم يعمل موسى مثلها التي لو ان موسى اوقف امره فلم يأمر
بطاعته ولم ينهَ عنها قد كانت توجب له عليَّ من العدل ان اقبله بها وحدها
ولا اكلفه ان يحقق نفسه بنبوة من كان قبله عليه كما قبلت موسى

كذلك اعلم يا يهودي ان هذا النبي هو واضع الناموس وعهداً جديداً
ولذلك خصه بان اوعز اليك بطاعته وردّد ذلك عليك . فاسمع الى قول الله
في ارميا النبي : انها ستأتي ايام يقول الرب اني اشترع لبني اسرائيل وليت
يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي اشترعت لهم اذ اخرجتهم من ارض
مصر (ار ٣١ : ٣١) وقال داود للرب : اقِم لهم يارب واضع ناموس لتعليم
الامم انهم اناس (مز ٩ : ١١)

فان قلت يا يهودي ان اسلافي الذين ظهر هذا الذي يسمونه المسيح
فيهم وفي ايامهم قد تلفوا وانا لست اعلم انه عمل عجباً . قلنا لك : ان بيان ذلك
قريب منك اذا حسنت نيتك في خلاص نفسك . وينبغي لك ان تعلم ان
المسيح قد عمل هذه الاعاجيب التي ذكرنا من قبول الامم اياه وحمله اياهم
على كل ما يخالف عقولهم واهواءهم وشهواتهم ونقله اياهم من رخاء الى
شدة ومن همل الى حصر ومن سعة الى ضيق ومن الرخص الى التشديد
ومن الشهوات المباحة التي كانت لهم الى هجران الدنيا باسرها في شانه
ورفض لذات الجسد وفخر الدنيا وان يُقدموا على القتل انفسهم بكل نوع
من العذاب والمكاره على الا يكفروا به . وقال لهم : من كفر بي بين ايدي
الناس كفرت انا به بين يدي ابي الذي في السماوات . وقال : انظروا ما

قلته لكم في السر فاعلنوه انتم على الاجاجير ولا تخافوا من يقتل البدن
ولا يستطيع ان يقتل النفس ولكن خافوا من يستطيع ان يقتل النفس
والبدن جميعاً ويلقيهما في جهنم . وقال : من اهلك نفسه في شاني وجدها
في حياة الابد . وقال : من اتبعني ولم يبغض اباه وامه واخوته واخواته
وولده وانسباءه فليس لي باهل . وقال : اني مخيلكم كالخراف بين الذئاب
وان الدنيا تكون في سرور وانتم في حزن . وانها ستأتي ايام من يقتلكم
يرى انه يقرّب لله ذبيحة

واشترع عليهم ان يباشروا هم قتل انفسهم في المثل بقطع شهواتهم
واستئصال اهوائهم . وقال : من لطمك على خدك فحوّل له الآخر .
ومن سلبك رداءك فزده ثوبك . وان نظرت الى امراة كي تشتهيها فقد
زنيت بها في قلبك . وان قلت لصاحبك راقا او احمق وجبت عليك نار
جهنم . وقال : سمعت انه قيل للاولين احب محبك وابغض عدوك فانا
اقول احبوا اعداءكم واحسنوا الدعاء لهم وما شاكل ذلك

فاخبرني يا يهودي كيف تظن ان الامم قبلت المسيح على هذه الشدة
والموت الذي قد اشترعه عليهم ولا سيما مع شنع ما نسبه الى نفسه من
الصلب والاوجاع والفضيحة . وان اعداءهُ شتموه وسمروا يديه ورجليه
وعلقوه على خشبة وسقوه خلاً واطعموه مرّاً حتى رشح منه عرق خاثر
كالدم . وانه قال وهو على الصليب الهي الهي لِمَ خذلتني فان هذا
الامر ينبغي ان ينفر السامعين كلهم من اتباع المسيح ومن اتخاذه الهاً كما
قد اتخذته الامم كلها . وهذا معروف انه لم يكن يقبل ابداً لولا

ان هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ قد عملت حقا . وهي التي كانت تقهر العقول وتضطرها الى قبول المسيح والايمان به لا محالة

ولو ان المسيح كانت همته الغرور لكان ينبغي له ولو كان لقي هذه الامور التي ذكرنا ان يأمر تلاميذه بكتمانها الامم وان يعظموه عندهم ويجلوا امره . ولكان قوله ان يطمعهم في الرخص والشهوات ليكون ذلك يدعوهم الى المسارعة اليه . ولكن لم يفعل هذا وحاشا له ذلك . بل شنع على نفسه عند من دعاهم الى الايمان به وكافهم القتل والموت في شأنه

او ليس هذا عجيباً . ان موسى دعا الله فعظم الله وقال : « ان الله خالق السماء والارض وانه فوق السموات » واتى ذلك من تمجيد الله واجلاله في كل نحو . وبدأ بخلاص بني اسرائيل بان فكهم من عبوديّة فرعون وشقّ لهم البحر واحدر لهم المن والسلوى وفجر لهم الماء من الصخور وقتل لهم الامم . وقال لهم ان الله سيقوّيكم فتقتلون امم الشام وتستحوذون على بلادهم وترثونها . واشترع ناموساً ممتلئاً رخصاً وفي كل ذلك لم يتبعه احد من الامم ولا قنع بنو اسرائيل بقوله ولا آمنوا بالهه بل نزل على طور سينا فارتعد الجبل تحته ودخن وادخل الروع في قلوب بني اسرائيل من منظره فلم يلبثوا حتى عبدوا العجل وهم تحت طور سينا وتلاميذ المسيح خرجوا الى الامم فشنعوا عندهم على المسيح بهذه الاوجاع التي ذكرنا والصلب والكلام الذي يظن انه وهن وكافوهم هذه الشدة التي اشترعها المسيح عليهم فاجابهم الخلق . ومن لا يعلم ان هذا لم يكن الا من

شرف الاعاجيب التي كانوا يعملونها باسم المسيح التي هي ارفع من اعاجيب موسى كما ان السماء ارفع من الارض

ولا تستطيع ان تقول يا يهودي ان الامم انما اتّبعت المسيح تعصباً لقرابة كانت بينهم وبينه . فهذا عليك انت . ولقد كان الانسان جديراً ان يولج هذه التهمة عليك بانك اتبعت موسى تعصباً له لانه كان منك ولتشرُف بدولته وتعتز بملكه الذي اعطاه الله . فاما الامم فانه لا سبيل لشيء من هذه التهمة ان تدخل عليهم في اتباعهم المسيح لان التلاميذ الذين دعوهم كانوا من اليهود وانما دعوهم الى من كان في ظاهر امره من اليهود وكان ينبغي ان يدعوهم ذلك الى الاقشعرار والنفار منه لان اليهود كانوا اعداء الامم كلها ولم يشوبوا في دعوتهم طمعاً ولا شرفاً ولا عزّاً بل خلاف ذلك كله . اذاً اعلم يا يهودي ان هذه الامم كلها لم تتخذ المسيح الهاً ولم تدن له بهذه الطاعة التي تبلغ مهج النفوس في كل يوم الا بهذه الاعاجيب التي ذكرنا ان التلاميذ عملوها بين ايديهم باسم المسيح

ولعلك تقول ان هذه الامم اتبعت المسيح بالجهل . فان كان هذا كذلك عندك فاجهل ان كنت صادقاً هذا الكلام الشنيع الذي يقال في المسيح وهذه الشرائع التي فرضها واذهب اقنع بها ولو رجلاً واحداً من الجهال . ولكن لست تقدر على هذا بل الجهال اشد نفاراً من قبول هذا الامر من غيرهم لان الجاهل انما همته شهوته كالبهيمة . واقرب الكلام الذي يشربه عقل الجاهل ما كان مموهاً سوقياً . ولقد كان دينك يا هذا اولى ان يقبله الجاهل من دين النصارى لما في دينك مما ذكرنا من تعظيم الله

واجلاله جهاراً والارعاب منه ولما فيه من الرخص والطمع في الملك والعز
والعسل واللبن وتزويج النسا الكثيرة والطلاق متى شئت واستذلال الامم
وانك ستحمل كما زعمت على رقابهم ويكونون لك عبيداً وبناتهم اماء
وانك ستبني لك مدينة وهيكلاً بالزمرُّد والياقوت . هذا الى مثله يغرّ
الجهال وفي مثله يطمعون . ولو خرج احد يدعو الى هذا ويضمنه للناس
لما كان عجباً ان يتبعه الناس ولا سيما اذا هبت له اذ ، ريح من دولة يُعطاها
كما قد رأيناه يكون

وان قلت يا صاح ان هذه الامم التي اتبعت المسيح انما كانوا حكماء
فحكمتهم هي التي دعتهم الى اتباعه . فانه ينبغي لك ان تكون تبعاً لهم اذ
سبتهم الى الحكمة مع ان هذا الامر الشنيع الذي يوصف به المسيح
ويُنسب اليه لا يقبله حكيم من حكماء الدنيا وقد يفوق عقول الناس
كلهم حتى تفيض عليها نعمة روح القدس فتقنعها ان المسيح اله كما قال
مار بولس انه ليس احد يقدر ان يقول ان المسيح رب الا بروح القدس
وان لم تصدّق بهذا فاحمل دعوة المسيح الى كل حكيم من حكماء الدنيا
واقنع بها ولو واحداً منهم . ولكن لا تستطيع لان حكمة الدنيا انما همتها
فخر الدنيا والا تصدّق ما خالف حدود الكيان التي غاصت عليها دون
عقل العامة والتجمل بصفاقة الكلام والغرور بحلاوة الكلام . ودعوة المسيح
خلاف لهذا كله . ولكن الامر كما قال بولس انه بحكمة الله لم يعرف
العالم الله بالحكمة فاحب الله ان يجتبي من الذين يؤمنون بحمق الدعوة
(١ كور ١ : ٢٨)

وان قلت ان الذين اتبعوا المسيح كانوا في عقولهم اوساطاً فقد تقول
ما لا يكون لان اوساط العقول غايتها الحزم في امور الدنيا الظاهرة والا
يقبلوا الا شكيلاً لما قد اختبروه قديماً مما ادّت اليه التجارب والحواس
ودعوة المسيح لا يمكن ان يثق بها هذه العقول بل هي تشمئز منها
وتستجفيها جداً

فمن حيث قبلت الاشياء التي ذكرنا كنت مضطراً ان تعرف لا محالة
ان المسيح لم تقبله هذه الامم التي هي خمسة اسداس الناس (١) الا بما
راوا من هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وكتب التلاميذ وبقوة
الروح القدس التي دبّت في عقولهم خفياً فاقنعتها ان المسيح اله وابن اله
كما قال عن نفسه وان كان قد لقي من الاوجاع والصلب ما يقال فيه .
وانه لم يلقَ هذه الاوجاع عجزاً ولا عبثاً بل لسبب مستقيم وان كان
ذلك يخفى عن من لم يلمع قلبه بروح القدس . وان هذا الامر الذي ذكرنا
يحقق لا محالة ان الامم لم تقبل المسيح الا بهذه الاعاجيب المذكورة في
الانجيل وفي كتب التلاميذ . وذلك يضطر عقلك الى ان تؤمن وتقر بهذه
الاعاجيب كانك قد رايتها وعاينتها . وهذه الاعاجيب اقنعت ان المسيح
اله وابن اله كما قال عن نفسه . والمسيح والتلاميذ شهدوا على موسى
والانبياء كلهم انهم انبياء وحققوهم . وبشهادة المسيح وتلاميذه يحقق موسى
والانبياء اليوم عند ذي العقل انهم كانوا مرسلين من الله

(١) هذا شاهد جميل النصرانية في القرن التاسع على عهد ابي قرة

واما انت يا يهودي فانك لو كلفت اليوم ان تأتي بسبيل عقل يحقق
به عند احد الناس موسى او واحد من الانبياء لما قدرت على ذلك. ولقد
مكث ناموس موسى والانبياء نحو اكثر من الف وخمسمائة سنة لم يقدر
ان يقنع بذلك احداً من الامم انه من الله. ولا اباؤك اقاموا على الناموس
او على عبادة الله . ولما جاء المسيح اقنع الامم كلها باعاجيبه وحقق عندهم
موسى والانبياء وصار المسيح في وجه كاروزَ اولئك . وبحق فعل ذلك
المسيح وما كان اولاه به . لانه هو الذي بعثهم وامرهم ان يتنبأوا عليه
وان يصوّروه لئلا تنكره العقول اذا ظهر ماشياً على الارض . ولذلك قدم
ميخا النبي فتنبأ عليه فقال : « اسمعوا يا جميع الامم وانصتوا يا كل الشعوب
وليكن الرب عليكم شهيداً فان الرب يخرج من موضعه وينزل حتى يطأ
على الارض . هذا في شان خطيئة يعقوب وفي سبب ذنوب اسرائيل »
(ميخا ١ : ٢ - ٥) وارميا قال فيه ايضاً : « هذا الهنا لا يُعدُّ معه آخر
الذي وجد طريق المعرفة واعطاها يعقوب حبيبه واسرائيل خليله . ومن
بعد ذلك تراءى وبين الناس تقلب (باروك ٣ ٣٧ : - ٣٨) وموسى انما
قال له الله ان يجعل هرون كاهناً ويقرب الذبائح على حذو ما اراه الله في
الجبل (خروج ٢٥ : ٤٠) . ومن ههنا اعلمك ان هنا كاهناً اخر غير
هرون هرونُ صورته . وذبيحة اخرى غير تلك الذبائح تلك الذبائح
صورتها . فجاء داود وفسر لك ذلك الكاهن الذي هرون صورته واخبرك
انه رب جلس على الكرسي عن يمين الله وانه ابن مولود من الله قبل كل
الدهور حيث قال : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك

تحت قدميك . وقال الله لهذا : اني من البطن قبل النور ولدتك . وقال له
انت الكاهن الى الابد على شكل ملكسذق مز ١٠٩ : ١ - ٤) وقال
اشعيا وفسر لك تلك الذبيحة التي ذبيحتك صورة لها وقال ان المسيح يقول
عن نفسه : اني لست اعصى وامتري . اعطيتُ ظهري للسياط وخدي
للطم ولم اردّ وجهي عن فضيحة البصاق (اش ٥٠ : ٦) وقال في اشعيا
انه ليس له منظر ولا جمال . فرايناه فلم يكن له منظر ولا جمال بل منظره
حقير دون مناظر الناس . هو انسان مجروح يعرف ان يحتمل
الامراض . كان حقيراً لا يُعدّ فهو يحتمل امراضنا وفي شاننا توجّع
ونحن حسبناه في نصب مجروحاً من الله مبتلى وهو انما جُرح في شان
معاصينا وعرضت له المصائب في شان خطايانا . ادب سلامنا عليه وبجراحه
تداوينا . ضلّ كلنا كالمواشي ضل كل واحد منا سبيله . والرب اسلمه
في شان خطايانا . لم يفتح فاه اذ ابتلي . كالشاة للذبيحة ساقوه وكالخروف
امام الجزار . كان ساكتاً كذلك لم يفتح فاه بتواضعه (اش ٥٣ : ١ - ٧)

هذا يا يهودي يدلك ان كان لك عقل ان هرون كاهنك كان صورة
لهذا الكاهن وذبيحتك كانت صورة لهذه الذبيحة. لانه لو كان كاهنك
هو الذي كان يستغفر الذنوب للناس وذبيحتك هي التي كانت بها تغفر الذنوب
لقد كان هذا الكاهن الذي ذكره داود وهذه الذبيحة التي ذكرها اشعيا
عبثاً جعلها الله وكان موسى باطلاً اخبرك ان الذي في يدك صورة. وجاء
داود واشعيا وفسرا لك تلك الصورة . لكنك لم تعقلها في زمانها كما قال
لك موسى : انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يُعطكم الله عيوناً

تبصرون بها ولا اذاناً تسمعون بها ولا قلوباً تفهمون بها (تث ٢٩ : ٤)
فلو ان الاشياء التي رايت يا يهودي لم تكن صورة لغيرها ولم تكن تعني
غيرها كيف كان يجوز لموسى ان يقول لك انك قد رايت ما صنع الله
بين يديك فلم يعطكم الله عيوناً تبصرون بها ولا آذاناً تسمعون بها ولا
قلوباً تفهمون بها . ولكن هذا الامر يدلك انه انما كانت بيدك صورة
وامراً يُعنى به غيره . وقال داود محققاً ذلك لك : ان آباءنا لم يفهموا بمصر
اعاجيبك (مز ١٠٥ : ٧) فحسبك يا يهودي ان كنت ذا لب او تلتمس
اكتساب الخير لنفسك فقد اتاك الشفاء وكان اتاك من قبل لو قبلته من
معلمي النصرانية الذين نطقوا بروح القدس واوضحوا امر المسيح كله من
العقل والكتاب جميعاً . فهذا تثبيت النصرانية بالاضطرار الذي لا محيص
عنه لكل ذي عقل ونية . فالعقل يقود الى المسيح لا محالة والمسيح يحقق
موسى والانبياء . فلنا العتيقة والحديثة كما قال سليمان بن داود في تسبحة
التسابيح (٧ : ١٣) ان على ابوابنا كل الثمرات العتيقة والحديثة

٢

لكن اي شيء نتفع به معشر النصارى الا ملة الخلكيدونية دون
النسطوريين واليعقوبيين واللوليانيين (١) (والمنوثليين) وغيرهم من

(١) كذا في الاصل راجع حاشية وجه ١٣٥

الاراسيس الذين ينتحلون النصرانية لان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرنا
يرى ان سعينا في تثبيت النصرانية انما هو له لانه زعم انه النصراني
الحق

وقد يحق علينا كما اثبتنا النصرانية من كل دين وحققنا انها هي الدين
الحق وحدها ان نفصل الارثوذكسية من هذه الاراسيس ونحقق انها هي
النصرانية وحدها وان كل تلك الاراسيس باطل . وقد اثبتنا هذا بعون
روح القدس قديماً في سبيل الدارس اللطيف عند كل من كان لطيف العقل
يقدر ان يغوص على الامور الغامضة التي تغيب عن العوام ولكن سبيل
الدارس اللطيف ليس فيه قنوع للعامّة من السوقيين والاكارين واشباههم
وقليلاً ما يصل اليهم الشفاء بذلك الوجه . من اجل ذلك ينبغي ان نشترع
منهاجاً آخر نيراً ومحجة واضحة يقدر ان يسلكها الفقيه والعرَض من الناس
والفيلسوف والسوقي فنحقق بذلك الارثوذكسية ونبدي نورها كنور
الشمس لا يخفى على صغير ولا كبير حتى لا يكون لاحد علة في التخلف
عنها . وتكون الحجة لازمة لمن اغتبط بالطغيان الذي هو عليه من
الاراسيس ويكون ذلك سروراً لاهل الارثوذكسية في توفيق روح
القدس اياهم لصواب الايمان واستقامة الدين ونشحذهم على ان يجمعوا
مع الايمان البر وحسن العمل لكيلا يخيبوا من منفعته فتكون كينونته
بايديهم وبالاً عليهم ان عطلوا ما ينوبهم من العمل بطاعة المسيح

فما هذا الطريق الوضح ليت شعري الذي تحققه الارثوذكسية ؟ اما
نحن يا هؤلاء معشر كل من ينتحل دين النصرانية فقد اتفقنا على لزوم

كتب العتيقة والحديثة والتصديق بها . وانما جعل الفرقة بيننا ما قد اختلفنا فيه من معاني هذه الكتب . وهذا الامر هو الذي افرز كل فريق منا في كنيسة وعلى حدة . وحرَّم علينا ان يصلي بعضنا مع بعض . فلزم احد امرين اما ان نقول ان كلنا مقبول عند المسيح اذ كنا مقيمين على نُسخ العتيقة والحديثة التي كتبها لنا روح القدس وان المسيح لا يحاسبنا على ما سقط عنه ظن احدِنا من معاني الكلام الذي في هذه الكتب . واما ان نقول انه لا يقبل منا التمسك بنسخ هذه الكتب دون السقوط على حقيقة معاني كلامها الذي اياه عنى روح القدس فيما لا يتم الدين الا به

فان قال قائل ان المسيح يرضى منك بالتمسك بنسخ هذه الكتب دون المعرفة بحقيقة معانيها فقد صيَّر النصرانية يهوديَّة وجعل غايته باللفظ لا بالعقل وامر النصارى ان يجتمعوا في كنيسة واحدة وصلاة واحدة في احتشادهم وان يتفرقوا في ارواحهم ووعظهم وان يعبدوا في ظاهرهم الهاً واحداً وفي باطنهم آلهة مختلفة وزيَّن عندهم ان يتسموا باسم مسيح واحد في السنتهم ويتوهمون كثيرين في قلوبهم . وهذه عبادة ليس يرضى بها المسيح حاشا له كما قال : اني لست مدخلاً الحرب محل الدعة (١) فلا بد لكل نصراني ان كان على حقيقةِ ما ينتحل من ان يعبد المسيح والاب والروح بخالص المعنى الذي في كتب العتيقة والحديثة والا كان يهودياً لا يحتسب الا ان يقول : اما ان الله تغير من حال الى حال واما ان يكون آلهة كثيرة . لانه حيث يسمع من موسى (تث ٤ : ٢٤

(١) ليس في الانجيل آية على هذا اللفظ وانما يشير الكاتب الى معنى اقوال الر[illegible]

، ان الله نار آكلة » فيكون مجوسياً لانه انما يسقط ذهنه على النار التي تعبدها المجوس . واذا سمع من دانيال النبي (٧ : ٩) « انه عتيق الايام شعره كالصوف النقي » يتوهَّم الله شيخاً كبيراً . واذا سمع من حزقيال (١ : ٢٧) انه من خصره الى فوق نار وانه مثل اللازورد ومن خصره الى اسفل نار » فانه يتوهم الله اما قد تغير عما كان فيه او ان هذا الاله غير الذي راى دانيال وغير الذي ذكر موسى . وهذا اسمج ما يكون اذ تضطرب هذه الثلاثة في عقل المؤمن . واذا سمع المسيح يقول عن نفسه (يو ١٠ : ٩) « انه باب » توهم باباً واذا سمعه يقول (يو ١٥ : ١) انه كرمة » ظنه قد تغير او ظن ان هذا مسيح غير ذاك وما شاكل هذا كثير . اذاً لا محالة انه لا بد من ان يلزم معنى الكتاب على حقيقته فيما هو اصل الدين والا فلا عبادة

فاذا كان هذا كذلك فليست الكنيسة التي يسكنها المسيح الا واحدة من هذه الكنائس المختلفة التي كل واحدة منها تدَّعي انها هي المقيمة على حقيقة النصرانية

ولكن كيف يصنع السوقيون والاكارون وكل الناس الا القليل منهم اذ عقولهم لا تغوص على حقيقة هذه المعاني . والمسيح لا يقبل منهم غير هذه الحقيقة . افيحسن ان نقول ان المسيح كلفهم ما لا يطيقون ؟ حاشا له . والا فقد صيَّر هبوطه من السَّماء في شانهم وسفكهُ دمهُ عنهم وبالاً عليهم . وان كان يكلفهم هذا فهو لا يكلفهم ما لا يطيقون . ونحن نعلم ان اكثرهم الا الطائفة اليسيرة منهم لا تغوص عقولهم على ما قد

كلفوا . فكيف بمعرفة السبيل التي تبلغه عقولهم اذا سلكوا وصلوا الى حقيقة هذه المعاني . وهذا السبيل ليس احد من الهراطقيين يعرفه ولا يهتدي له واليه . بل ليس من الحياة للهرتيق الا كلام يجري في ظلمة به تمكن من غرور الاغراء ويعوّج شفتيه ويظن من يسمعه من الجهال انه خزانة الحكمة . ويقودهم بذلك الى اتباعه اذا نطق بالكلام الذي يغمض عليهم . وهو ايضاً لا يعرف ذلك الكلام بل كما قال بولس الرسول (١ كور ١٤ : ٢ - ٦) « لا يدري ما يتكلم به ولا شيء يحقق » ولكن هذا السبيل الواضح هو عند الارثوذكسية وبه اهتدوا الى حياة الابد . ونحن نعلم ان المسيح لم يكن يعطل هذا الامر ولا كان يترك هذه العامّة بغير طريق واضح تعرفه عقولهم يؤديهم الى حقيقة هذه المعاني التي يكلفهم اياها . ولا سيما اذ قد كان يعرف هو والتلاميذ ان هذه الاراسيس ستكون وان الشيطان سيغربل الكنيسة بها حتى تحصل على قمحها الحق (لوقا ١٢ : ٣١)

واما هذا السبيل فقد اوضحه روح القدس على يدي موسى راس الانبياء في الناموس وذلك ان الله انزل عليه الاحكام التي امره ان يحكم بها على بني اسرائيل . وان موسى رمى بهذه الاحكام الى قضاة احبارهم فولاهم ان يقضوا بين بني اسرائيل وجعل منهم راس عشرة وراس خمسين وراس مائة وراس الف وامرهم ان ينفذوا الحكومة بين بني اسرائيل بالعدل . وقال لهم : انظروا ما وضح لكم من هذه الاحكام فانفذوه على اخوتكم . ومهما غمض عليكم منها وشككتم فيه فارفعوه الي

حتى ارفعه الى الله واتيكم فيه بالحق (تث ١ : ١٠ - ١٧) فكانوا يفعلون ذلك ما دام موسى بين اظهرهم

فلما اراد الله ان يتوفى موسى خلف الاردن علم موسى بروح القدس ان لو قد فقده بنو اسرائيل وقعوا في اضطراب من الشك وتشتت امرهم ووقع الصدع بينهم . فوضع لهم الناموس الثاني بروح القدس وترك لهم خلفاً منه لا يزول الى الدهر . وقال لهم (تث ١٧ : ٨) « يا بني اسرائيل اذا تعذر عليكم شيء شككتم فيه من القضاء بين الدم والدم وبين الحكومة والحكومة وبين النجسة والنجسة وبين التشاجر والتشاجر فكان كلام اختلاف في مدائنكم فعليكم بالموضع الذي يختار الرب الهك ان يُدعى باسمه فيه . فافزع الى هناك في تلك الايام وائتِ بالكهنة واللاويين والديان الذي يكون هناك في تلك الايام فينظرون في ذلك وينبئونك بحقيقة الحكم فتتبع القضية التي يخبرونك بها من ذلك الموضع الذي يختار الرب الهك ان يدعى باسمه فيه . وتحفظ جدًّا ان تنتهي الى ما اشترعوه لك وتعمل بالناموس والقضية التي يقولون لك . ولا تحيدنّ عن الامر الذي يوعزون به اليك يميناً ولا شمالاً . والانسان الذي يتعظم ولا يسمع للكاهن الذي يخدم باسم الرب الهك او القاضي الذي يكون هناك في تلك الايام فليُقتل ذلك الانسان وابيدوا العداة من بني اسرائيل لكي تسمع الامة كلها فينكل ذلك بها وتنتهي عن العدوان »

الا ترى ان موسى لم يجعل النظر في الاحكام التي يختلف فيها وفصلها الى احد من العامّة ممن يدّعي العلم او ممن لا يدّعيه بل اراه

روح القدس فاسند ذلك الى جمع الكهنة والى الديان الذي يكون في المكان الذي يختار الله ان يُدعى هناك باسمه . ولم يجعل لمن دون اولئك معهم نظراً البتة . ولكنه امر العامّة كائناً من كان ممن يرى انه عالم وممن يرى انه ليس بعالم ان ينتهوا عزيمة الى القضاء الذي يخرج لهم من ذلك الجمع كان على احدهم او له . وقضى بالموت على من نفخته العظمة ولم يذلّ قلبه لقبول ما قضوا بهِ عليه وظن ان رأيه افضل من رأيهم . وانما قضى موسى بالموت على من لا يقبل قضيتهم لانه علم ان الروح القدس اذ قد اسند امر هذه الشكوك وهذا الاختلاف اليهم فهو يوفق عقولهم للصواب فيه لا محالة ولا يخذلهم كائنين في عقولهم وحالاتهم من كانوا ولا يدع ان يخرج منهم الا الصواب

وان قال قائل ان روح القدس امر العامة بطاعة هذا المجمع الذي في هذا الموضع في احكامهم الغامضة وزعم انه يخذلهم ان يخرج منهم الباطل فقد صيّر صاحب هذا القول روح القدس هو الذي يُضلّ الامة وقائل هذا القول هو الذي يجدف على روح القدس حقاً حيث يكون روح القدس شمس الهدى ومعدن النور يجعله هو سبب الضلال ولكن حاشا لله ان يكون الامر كذلك. بل نحن واثقون مطمئنة قلوبنا ان روح القدس لا يترك هذا الجمع ان يخرج منه قضية الا في موضعها

والحديثة المقدسة التي انما كانت العتيقة صورة لها دبّر فيها كذلك روح القدس كما دبّر في العتيقة وجعل كل ما اختلف فيه النصارى من الدين ان يرفع الى مجمع السليحين وجعل للسليحين راساً واحداً يكون منتهى

الاحكام العامية كلها اليه والى مجمعه وان يقضوا فيها بما اراهم روح القدس.

ومعرفته في البركسيس (ف ١٣ : ١٥) وذلك ان بولس وبرنابا انتخبا من روح القدس وهما بانطاكية ان يجولا في البلدان فيكرزا انجيل المسيح وانهما خرجا فانجزا ما افرزا له من ذلك ثم رجعا الى انطاكية . فبينما هما هناك اذ نزل رجال من بيت المقدس الى انطاكية وكانوا يعلمون الاخوة ويقولون لهم انكم ان لم تختتنوا كسنّة موسى لا تستطيعون ان تحيوا . وان بولس وبرنابا خالفاهم في ذلك وخاصماهم فيه. فاتفق القوم جميعاً ان يطلع بولس وبرنابا ونفر من اولئك الى السليحيين والقسيسين باورشليم في شان هذا التشاجر. فلما وصلوا الى اورشليم اذا ثمّ اناس كانوا من هوى الفرسيين كانوا قد تنصروا . فنهض هؤلاء فقالوا للسليحيين انه ينبغي ان تختتنوا من آمن من الامم وان تقدموا اليهم في حفظ ناموس موسى فاجتمع السليحيون عند ذلك والقسيسون لينظروا في هذا الامر . وكانت هناك مباحثة كثيرة

ثم نهض بطرس وقال لهم : « ايها الرجال اخوتي قد علمتم ان الله في الايام العادية انما اختار ان يسمع الامم كلمة الانجيل من فيّ وان يؤمنوا . والله الذي يعرف القلوب زكاهم واعطاهم روح القدس كما اعطانا . ولم يجعل بيننا وبينهم فصلاً لانه طهّر قلوبهم . فانتم يا هؤلاء لم تخالفون الله فتضعون على اعناق التلاميذ النير الذي لم نطق نحن ولا آباؤنا ان نحتمله . وانما نوقن ان نحيا بنعمة ربنا يسوع كما يحيا اولئك

فاجاب يعقوب عند ذلك فقال : « ايها الرجال اسمعوا ان سمعان

قد قضى عليكم كيف رضي الله ان يتخذ من الامم امة لاسمه وهذا يوافق كلام الانبياء كما هو مكتوب : اني من بعد ذلك اعود فابني مسكن داود المتهتك واجدّد ما خرب منه واقيمه لكي يبتغي سائر الناس وجه الرب وكل الامم الذين يدعى اسم الرب عليهم . قال الرب ذلك الفاعل ذلك فانا اقضي الا يؤذى من يرجع الى الله من الامم ولكن ارى ان يؤمروا باجتناب ادناس الاوثان والزنا والميتة والدم »

فراى عند ذلك السليحيون والقسيسون مع جماعة الكنيسة واختاروا منهم رجلين بعثوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا وهما يهوذا الذي يقال له برسابا وسلوان رجلين شريفين في الاخوة وكتبوا معهما بهذا : « من السليحيين والقسيسين والاخوة الى الكنيسة التي بانطاكية وسوريا والاخوة الذين هم من الامم افرحوا . قد بلغنا ان اناساً منا خرجوا فعكروكم بالكلام وقلبوا نفوسكم وقالوا انه ينبغي لكم ان تختتنوا وان تحفظوا ناموس موسى ما لم نأمرهم به . فراينا عامّة ان نختار رجلين ونسرّحهما اليكم مع اخينا برنابا وبولس اللذين بذلا انفسهما للمسيح فبعثنا يهوذا وسلوان وتقدمنا اليهما ان يوصلا كلامنا من افواههما . ألا فقد راى الروح القدس ورابنا الا يوضع عليكم ثقل فوق ما لا بد منه ان تجتنبوا ضحايا الاوثان والدم والميتة والزنا . فاذا انتهيتم عن ذلك فنعم ما تصنعون » ثم ان يهوذا وسلوان ودّعا الجماعة ونزلا الى انطاكية وجمعا الكنيسة واعطياهم الصحيفة فلما قرأوا الصحيفة فرحوا بالعزاء الذي ورد عليهم . وكان يهوذا وسلوان نبيين فعزّيا الاخوة بكلام كثير وثبتاهم

الا ترى ان الذين نزلوا الى انطاكية يأمرون بالختان وحفظ الناموس انما كانوا من جماعة الاخوة الذين كانوا باورشليم . وبولس وبرنابا اللذين خالفا هؤلاء قد كانا من علية السليحيين فحيث تشاجر الفريقين بانطاكية فيما اختلفوا فيه لم تقبل الكنيسة لا من بولس وبرنابا ولا من اولئك . ولكنهم ارتفعوا كلهم الى مجمع السليحيين الذي كان ماربطرس رئيساً واماماً . فحيث توافى مجمع السليحيين ونظروا في الامر قضوا بما رأوا ونسبوا قضيتهم الى روح القدس وقالوا انه رأي الروح القدس ورابنا . الا ترى ان هذا المجمع الذي فوَّض اليه المسيح النظر في امور الاراسيس لا يرى الا ما يرى روح القدس وانه واجب ان يُرفع كل ما يختلف فيه من امور الدين الى هذا المجمع . وليس لاحد كائناً من كان كبيراً ولا صغيراً ان يتفرد برايه دون هذا المجمع وان يوعز الى الكنيسة ان تقبل منه وحده . فلعمري لهذا لم تقبل الكنيسة من ماربولس وبرنابا اللذين كانا شمس العالم دون الجماعة . فليس لاحد اسقفاً كان او بطركاً او غيره ان يقول للكنيسة : « أن اقبلي ما اقول دون السليحيين »

واعلم ان السليحيين راسهم ماربطرس الذي قال له المسيح (متى١٦:١٨) (١) « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لا تغلبها » وقال له ايضاً ثلث مرار بعد قيامته على بحر طبرية (يو٢١:١٥-١٧) « ياسمعان اتحبني ارعَ خرافي وكباشي ونعاجي » وقال له في موضع آخر (لو ٢٢ : ٣١) « ياسمعان ان الشيطان يسأل ان يغربلكم كالقمح وانا طلبت

١) ان كل ما يقوله هنا ابو قرة عن رئاسة القديس بطرس وخلفائه لحري بالاعتبار

الا تخسر ايمانك . ولكن انت في الحين اعطف على اخوتك وثبتهم.
الا ترى ان مار بطرس هو اساس الكنيسة المخصوص بالرعية ومن آمن
ايمانه ابداً لا يخسر ايمانه وهو المأمور ان يعطف على اخوته ويثبتهم

وقول المسيح « اني طلبت لاجلك الا تخسر ايمانك ولكن اعطف
على اخوتك في الحين وثبتهم » لا نرى انه عنى به مار بطرس نفسه
والسليحيين باعيانهم بل انما عنى بذلك وُلاة مرتبة مار بطرس التي هي
رومية وولاة مراتب السليحيين . وكما انه قال للسليحيين « اني معكم
الايام كلها الى آخر الدهر » ولم يعنِ بهذا القول السليحيين باعيانهم فقط
بل عنى ايضاً اصحاب مراتبهم ورعيتهم . وكذلك القول الاخر الذي قاله
لمار بطرس « ان اعطف في الحين وثبّت اخوتك وانه لا يُخسر ايمانك »
انما عنى بذلك ولاة مرتبته . والدليل على ذلك ان مار بطرس نفسه هو
الذي خسر ايمانه من بين السليحيين وكفر بالمسيح . ولعل المسيح انما
خذله لهذا اي ليحقق عندنا انه ليس اياه عنى بذلك القول . ولم نرَ احداً
من السليحيين وقع ولا احتاج احد الى مار بطرس ان يثبّته

فان قال قائل انه انما عنى المسيح بهذا القول مار بطرس نفسه
والسليحيين باعيانهم فقد جعل الكنيسة لا مثبت لها بعد موت مار بطرس
وكيف يكون هذا ونحن نرى الغربلة كلها انما كانت من الشيطان للكنيسة
بعد موت السليحيين . وهذا يدل على انه ليس اياهم عنى المسيح بهذا
القول . فلعمري ان كل واحد ليعلم ان الاراتيقين انما ثاروا في الكنيسة
بعد موت السليحيين بولس السميساطي واريوس واوناميوس وسباليس

والبيناريوس واورجنوس وغيرهم. ولو كان هذا القول الذي في الانجيل
انما عنى به مار بطرس والسليحيين باعيانهم اذاً قد كانت الكنيسة بعدهم
معطلة من العزاء ولا كان احد ينقذها من هؤلاء الاراتيقين الذين
اراسيسهم حقاً هي ابواب الجحيم التي قال المسيح انها لا تغلب الكنيسة
(متى ١٦ : ١٨) اذاً لا محالة ان هذا القول انما عنى به ولاة مرتبة
مار بطرس الذين لم يزالوا يثبّتون اخوتهم ولن يزالون ما بقي الدهر

او ما تعلمون ان آريوس حيث خرج انما اجتمع الجمع عليه بامر اسقف
رومية فطرحه المجمع القديس وابطل اراسيسه وقبلت الكنيسة هذا المجمع
ودفعت اريوس كما قبلت كنيسة انطاكية اذ ذاك صحيفة السليحيين ورمت
هؤلاء الاراتيقين الذين يعلمونها ان تختتن وتقبل الناموس. وحيث خرج
مقذانيوس وقال في روح القدس ما قال كذلك اجتمع عليه جمع
بالقسطنطينية بامر اسقف رومية فطرحه المجمع القديس وقبلت الكنيسة
ذلك المجمع كما قبلت المجمع الاول واقصت مقذانيوس كما اقصت آريوس
وتعلمت من هذين المجمعين ان تقول ان الاب والروح من جوهر الاب
وان كل واحد منهما اله لم يزل مع الاب ومن الاب . وقبلت الكنيسة
هذين المجمعين على مثل ما قبلت كنيسة انطاكية اذ ذاك مجمع السليحيين
وكما لم يكن لكنيسة انطاكية نظر مع رأي السليحيين كذلك لم يكن لاحد
نظر مع راي هذين المجمعين . وكما ان ما كتب به السليحيون اذ ذاك
الى كنيسة انطاكية انما كان راي روح القدس كذلك لا تشك الكنيسة
ان راي هذين المجمعين هو راي روح القدس . وكما لم تقبل كنيسة

انطاكية اذ ذاك لا من بولس وبرنابا ولا من الاخرين حتى رفعتهم الى مجمع السليحيين فتوقعت رأي ذلك المجمع فلما اتاها تعزت به كذلك لم تقبل الكنيسة لا من اريوس ومقذانيوس ولا ممن كان يخاصمهم في زمانهم من الاباء القديسين حتى رفعت ذلك الى المجمع المقدس فتوقعت رايه . فلما اتاها قبلته فتعزَّت به وسُرَّت

وحيث خرج نسطوريوس فقال في المسيح ما قال وانكرت الكنيسة قوله رفعته الى المجمع المقدس كعادتها . فاجتمع بافسس جمع عليه بامر اسقف رومية فطرحه المجمع المقدس وابطل قوله . وقبلت الكنيسة المقدسة ذلك المجمع ونفت نسطوريوس وجحدت قوله وعلمت انه ليس لها نظر مع ذلك المجمع بل قد فرض عليها من الروح القدس ان تتبعه على نحو ما بيَّنا .

فانت ايها النسطوري اعلم انك في خطإ وانك زللتَ عن الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة ونُفيت من المسيح وبرئتَ من سكانته اذ لم تقبل رأي المجمع المقدَّس الذي فرض روح القدس قبوله وهو رأي روح القدس . والعجب منك انك اتبعت نسطوريوس وانت لم تؤمر باتباعه وفضلته على مار بولس وبرنابا جميعاً حيث ترى الكنيسة لم تقبل هذين وهما نور البشر فقبلت انت نسطوريوس وتركت المجمع المقدس الذي اتباعه لازم لك واتخذت لنفسك سنداً واهياً ووثقت بعقل انسي وتركت توفيق روح القدس . واعلم انه لا عذر لك حيث قبلت رأيَ المجمعين الاولين مسترسلاً اليهما بلا تفتيش كما امرك روح القدس وثبتْ نفسك

عن هذا الثالث الذي قد امرت من روح القدس بقبوله كما أمرت بقبول ذينك واشركت عقلك مع رأيه ولم تطمئن الى روح القدس الموفق له والناطق به . وان انت تجنيت العلل على هذا المجمع فاعلم ان اريوس واصحابه يتجنون على المجمع الاول ويلحقون به العيوب بجهدهم ومقذانيوس واصحابه يتجنون على المجمع الثاني ويعيبونه ولا يبالون . وكما انه ليس لهما ولا عندك عذر في تجنيهم على هذين المجمعين كذلك يلزمك ان تعلم انه لا عذر لك عند المسيح في تجنيك على هذا المجمع الثالث

وحيث خرج اوطيخيوس وديسقوروس وقالا في المسيح ما قالا فانكرت الكنيسة قولهما فنهض من الاباء القديسين من يخاصمهما فلم تقبل الكنيسة لا منهما ولا ممن يخاصمهما ولكنها رفعتهما الى المجمع المقدس كعادتها . فاجتمع عليهما المجمع الرابع بخلكيدونية بامر اسقف رومية فطرحهما وابطل قولهما فقبلت الكنيسة قول هذا المجمع كما قبلت الثلاثة المجامع واقصت اوطيخيوس وديسقوروس ولفظت قولهما . وعلمت انه ليس لها نظر مع هذا المجمع وايقنت ان الراي الذي خرج منه هو راي روح القدس لا محالة

وانت يا يعقوبي ما بالك قبلت الثلاثة المجامع مسترسلاً اليها من غير ان تجعل لنفسك نظراً مع رايهم ولم تقبل هذا المجمع الرابع ؟ ولكنك آثرت عليه اوطيخيوس وديسقوروس وتركت ان تعتمد على عمود الحق الذي جعله لك روح القدس واعتمدت على قصبة مرضوضة وامكنت من لحمك ان يُشرَّح ويسيل دم نفسك وتموت موتاً روحانياً لحاجة في اتباع

من لم يفترض عليك اتباعه بل قد نهيت عنه كما نهيت عن الحية التي صارت اداة الطغيان . ثم لم تزل تنتقل من راي رجل الى راي غيره يغيرون دينك ويمسخونه حتى استوجبتَ ان تسمى كثير الرؤوس ومن لا راس له (١) واشبهت حجراً يزول عن الاساس فهو لا يزال يتدحرج حتى يهبط الى اسفل السافلين كذلك دحرجك اوطيخيوس وديسقوروس وثيادسيس وسواريوس ويعقوب وغيرهم (٢) وادخل عليك كل واحد منهم في دينك الغش الذي وافق رايه وخالف كل واحد منهم صاحبه وخالف الحق

فان تجنيت على هذا المجمع المقدس فلا ترى انك سبقت من قصب (٣) المجامع المقدسة الى ما قد تخلف عنه من كان قبلك . فلعمري ان اريوس ومقذنيوس ونسطوريوس واصحابهم ليقصب كل فريق منهم المجمع الذي طرحه قصباً لا يترك فيه جهداً . ولست تقول في هذا المجمع الرابع الا دون ما يقول كل واحد من اولئك في المجمع الذي اقصاه . فان حسنت لاولئك مذمة المجامع المقدسة الماضية قبل هذا المجمع فالحق برايهم وقل بقولهم واخلع عنك من نير روح القدس جهاراً . وان

(١) اشارة الى شيعة منهم دعيت « acéphales » اي لا رأس لهم

(٢) كل من هؤلاء زعيم لشيعة خاصة من اصحاب الطبيعة الواحدة نسبت اليه وعرفت باسمه تختلف كل واحدة منها عن الاخرى وتخالف كلها تعليم الكنيسة في شأن اتحاد المسيح ولم يزل الى اليوم هذا الاختلاف بين هذه الشيع باقياً عند اليعاقبة السريان والاقباط والارمن من غير الكاثوليك

(٣) يقال قصبه اذا عابه ولامه

كنت تعيب على هؤلاء تجنيهم على تلك المجامع المقدسة وتقضي عليهم بالضلالة في مخالفتهم اياها فعب على نفسك تجنيك على هذا المجمع الرابع المقدس واقضِ على نفسك بالضلال في مخالفتك اياه

اما المجمع الخامس فليس احد يحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نحاوره بمثل ما حاورنا به اصحابه ونلحق به مثل ما الحقنا بهم

ثم خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا ايضاً في المسيح ما قالوا . فانكرت الكنيسة قولهم وبارزهم اناس من الآباء يجادلونهم ويردعون قولهم . فلم تقبل الكنيسة منهم قبولاً صارماً لا منهم ولا ممن كان يجادلهم بل رفعتهم كعادتها الى المجمع . فاجتمع المجمع السادس المقدس بالقسطنطينية بامر اسقف رومية (١) فطرحهم وابطل قولهم فقبلت الكنيسة المقدسة هذا المجمع كما قبلت المجامع التي كانت قبله وهجرت مقاريوس واصحابه وبصقت قولهم

فما بالك يا (منوثيليتي) قبلتَ المجمع الاول والثاني والثالث مسترسلاً منبسطاً ولم ترَ ان لك مع رأيهم رأياً كما امرك روح القدس . فلما بلغت المجمع السادس كانك قد نسيت تعليم روح القدس وسكرتَ سكراً لم تصحَ بعده فاقبلت على ابائك الذين يستحقون منك الكرامة وقد أمرت من روح القدس ان تقيم على حدهم وجعلت تشتمهم كالكلب الكلب وتزيل حدهم وهتكت السياج الذي كان يحفظك من الشيطان فخرجت

(١) ترى ان ابا قرّة يذكر دائماً رئاسة الاحبار الرومانيين على المجامع كما يقول الكاثوليك

تمكن من نفسك الذئاب . فهذا منك تفريط يؤديك الى الهلاك . فان تجنيت على هذا المجمع المقدس فاعلم انه قد سبقك من كان قبلك من الاراسيس الى تجني كل فريق منهم على المجمع الذي طرحه ولم يثنه شيء عن ان يلحق به كل ما ادبّ الشيطان في قلبه. فان كنت تعيب على اولئك تجنيهم على تلك المجامع فعاجل نفسك بالعيب في تجنيك على هذا المجمع السادس وارتدّ عن تيهك وادخل في رشدك . وان كنت لا تعيب على اولئك قصبهم تلك المجامع المقدسة فاخلع العذار من راسك اصلاً والحق باصحابك وقل بقول كل اراسيس كانت منذ ذلك

ولكن ما عسى ان يبلغ من تجنيكم يا معشر الهراطقيين عامة على هذه المجامع ؟ انما ينقم احدكم على هذه المجامع المقدسة لاحد ثلاثة اشياء : اما ان يقول ان المجمع الذي ينقم عليه بئس ما قضى به من جهل او جور. واما ان يقول ان هذا المجمع انما جمعه احد الملوك فلذلك ينبغي الا يقبل. واما ان يقول ان هذا المجمع الذي كان قبل هذا المجمع الذي ينقم عليه كان قد جزم الا يزاد على ما قد وضع ولا يُنقص منه فلذلك لا ينبغي ان يقبل هذا المجمع الذي بعده

فان قال احدكم في هذه المجامع انه بئس ما قضى به من قبل جهل او جور فقد ادخل قائل هذا القول رايه فيما لم يجعل اليه روح القدس ان ينظر فيه ولا الى غيره . وتداخلته العظمة ومنعته من ان يذلّ لقضية المجمع واستوجب الموت الروحاني لا محالة كما تسمعون ناموس موسى المقدس لا يأذن لاحد من الناس ان يكون له نظر مع المجمع او ان يستبد

براي نفسه دون قضية المجمع . والا فقد لحقه القتل عزيمة لا محيص له منه

وان قلت يا هرطيق في المجمع الذي تنقم عليه انه انما جمعه الملوك فلذلك لا ينبغي ان يقبل من ذكر المجمعين الاولين حيث كل مجمع يقبله احد ممن ينتحل النصرانية اليوم انه انما جمع كل واحد منها ملك من الملوك وقد يعرف هذا كل احد ان مجمع نيقية انما جمعه قسطنطين الملك الكبير . والمجمع الثاني جمعه بالقسطنطينية ثاودوسيوس الملك الكبير . والمجمع الثالث جمعه بافسس ثاودوسيوس الملك الصغير . والمجمع الرابع جمعه بخلكيدونية مرقيانوس الملك. والمجمع الخامس جمعه بالقسطنطينية يسطينيانوس الملك الكبير . والمجمع السادس جمعه بالقسطنطينية قسطنطين الملك ابن هرقل . فانت يا (منوثيليتي) ان نقمت على المجمع الخامس والسادس بان الملوك جمعتها وقد استحقا الا يقبلا لان الملوك قهرت فيهما الناس ولهما فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الرابع والمجامع التي قبله . لان كل واحد من المجامع انما جمعه ملك كما قد بينا . وكل هرطيق طُرح في احد هذه المجامع قد يعتلّ مثل علتك ويقول ان الملك الذي جمع ذلك المجمع هو الذي قهر الناس ان يطرحوه وبقهره اجتمع ذلك المجمع عليه . فان اجزت لنفسك الا تنتفي من قضية هذين المجمعين لان الملوك جمعتهما فأجز لليعقوبيين والنسطوريين ولمقذانيوس واريوس واصحابهم انتفاء كل فريق منهم من قضية المجمع الذي طرحه لانه انما جمعه ملك . وان كنت لا تجيز لاولئك ان ينتفوا من قضايا تلك المجامع لجمع الملك اياها فلا

تجيزنّ لنفسك الانتفاء من قضية هذين المجمعين لجمع الملوك اياهما

وانت يا يعقوبي ان نقمت على المجمع الرابع الذي طرحك بان الملك جمعه ولذلك يستحق ان لا تقبل قضيته لان الملك كلف الناس فيه وله . فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الثالث والمجمعين اللذين كانا قبله اذ كان جمع كل واحد منهما ملك من الملوك . واوسع نسطوريوس ومقذانيوس واريوس عذراً حيث لم يقبل كل وا حد منهم القضية التي جرت عليه من المجمع الذي طرحه . فقد يعتلّ كل واحد من اولئك بمثل علتك ويقول ان الملك قهر المجمع الذي طرحه ان يجتمع عليه وقهر الناس ان يقبلوا قضية ذلك المجمع . فان اجزت لنفسك دفع قضية هذا المجمع الرابع لجمع الملك اياه فأجز لكل واحد من اولئك دفع المجمع الذي طرحه . وان كنت لا تجيز لكل واحد من اولئك دفع قضية المجمع الذي طرحه فلا تجيزنّ لنفسك دفع قضية ذلك المجمع الرابع ولا تكن ظالماً عادياً او مجنوناً

وانت يا نسطوري كذلك نبدي عليك هذه الحجة كما قد لزمت اليعقوبيين (والمنوثيليثيين) فليس لك ان تنقم على المجمع الذي طرحك لجمع الملك اياه وتدفع لذلك قضيته والا فقد اوسعت مقذانيوس وآريوس عذراً بدفع كل واحد منهما قضية المجمع الذي طرحه فقد لعمري يعتلون بمثل علتك . وان انت فعلت هذا فقد هدمت كل ما تؤمن به مما قبلته من ذينك المجمعين . وهذا سبيل ليس يوصل به الى عيب احد من تلك المجامع بل ينبغي للكنيسة ان تحمد المسيح حيث ذلّل الملوك لها ان يخدموا

اباءها ومعلميها لان كل ملك اجتمع مجمع من هذه المجامع في زمانه انما كان من ابرّ الجميع اذ كان يرفده بضيفانه ويكفّ الشعب لتمكين الآباء من النظر في الدين على هدوّ ودعة وتنفيذ قضيته . فاما الملك فانه لم يكن اليه من النظر في امر الدين ولا من اثبات القضية في شيء . وانما كان خادماً للآباء سامعاً لهم مطيعاً قابلاً لكل ما قضوا به في امر الدين من غير ان يشركهم في شيء من النظر . وان احد منكم يا معشر الاراتقة الذين ينتحلون دين النصرانية اليوم عاب معونة الملوك لهذه المجامع وحضورهم اياها فقد ابطل من قبله كل ما في ايدي النصارى واعادنا الى ان نتمسك بنسخ كتب العتيقة والحديثة . فلا يبالي احدنا ان قال مثل اريوس ان الابن مخلوق او ان قال مثل مقذانيوس ان روح القدس مخلوق وان قال مثلما قال وثلم حائط الكنيسة الحافظ الرعية من كل ذئب خاطف طُرد منها وافسد الدين كله وصيّر النصرانية يهوديّة

وان قلت يا هرطيق كائناً من كنت من الهراطقة في المجمع الذي طرحك « ان المجمع الذي كان قبله حتم الا يزاد ولا ينقص مما وضع هو وكذلك لا ينبغي لهذا المجمع الذي كان بعده ان يقبل » فاعلم انك تقول ما لا تعقله ولا تدري ما غايته . لان قضية كل مجمع من هذه المجامع المقدسة انما هي دواء يهيئه روح القدس تدفع به عن جسد الكنيسة داء تلك الاراسيس التي حرمها ذلك المجمع . وحيث يقول ذلك المجمع انه ليس لاحد ان يزيد على ما قد وضع ولا ينقص منه انما يعني ليس لاحد ان ينقض علينا ولا يجعل لداء هذه الاراسيس التي حرمناها دواء غير

هذا الذي هيئناه بروح القدس . لان روح القدس لا ينقض على نفسه
وليس يقول هذا المجمع للكنيسة ان هاج فيها مرض اراسيس اخرى بعد
مرض تلك الاراسيس التي هو طرحها فليس للآباء الذين هم اطباؤها
ان يجتمعوا ويقصوا عنها ذلك المرض كما اقصى هو المرض الذي هاج في
زمانه . ولو فعل ذلك المجمع وحاشا له لكان يستحكم عليها كل مرض
يحدث من بعده ومنع الاباء من مداواتها . وهذا خلاف روح القدس
الذي جعل هذه المجامع عوضاً عن السليحيين لا تزول الى الدهر كما
قد جعل موسى تلك المجامع التي امر بطاعتها خلفاً منه لا يزول في كل ما
حدث من الاختلاف من اهل الناموس

وان كنت يا هرطيق تلجّ وتقول « ان المجمع الذي تقبله انما حرّم
الا يزاد على قضيته ولا ينقص منها ملتمساً الا يكون بعده مجمع آخر » فقد
حان لك ان تبطل المجامع كلها الاول منها والاخر . لان ماربولس قد
قال للكنيسة انه ان اتاها هو نفسه او ملاك من السماء يعلمها غير ما علمها
فهو محروم . وقد اتسع من هذا القول بقدر قولك يا هرطيق لآريوس
ان يقول لمجمع نيقية : اني لست اقبل تعليمك لان ماربولس قد حرم الا
يعلم احد الكنيسة غير ما قد علمها هو . ولمقذانيوس ان يقول للمجمع
الثاني اني لا اقبل منكم تعليمكم لان ماربولس قد حرّم الا يعلّم احد
الكنيسة غير ما قد علمه هو وان المجمع الذي كان قبلكم قد حرّم ايضاً
مثل ذلك الا يزاد على قضيته ولا ينقص منها . وان حسن هذا عندك
يا هرطيق فقد رددتنا الى ان نتمسك بنسخ كتب العتيقة والحديثة ولا

يبالي احدنا ان يقول كما قال اريوس ان الابن مخلوق . ولا يضرُّه ان
يقول كما قال مقذانيوس ان روح القدس مخلوق . ولا يعاب على احد
ان يقول بقول مَن احبَّ من الهراطيقيين وقد صيرت من قبلك
النصرانية يهوديّة كما قلنا بدءاً

ولكن ليس الامر على ما تذكرون يا معشر الهراتقة وبئسما فهمتم
قول الآباء بل انما تشبه الكنيسة المقدسة ابن الملك وتشبه الآباء اطباء قد
وكلهم الملك بابنه ان يحفظوا جسده وان يدفعوا عنه كل داء وسقم .
وتشبه الاراسيس الامراض والاسقام . وهؤلاء الاطباء الموكلون بهذا
الجسد ليس يخطأ احدهم البتة ان نظر جسد ابن هذا الملك قد اعتراه
مرض فدفع المرض عن جسده بدواء هيأهُ له ثم قال : انه ليس لاحد
سلطان ان يغير شيئاً من هذا الدواء الذي هيأته انا . فنقول ان هذا
الطبيب انما يريد به ليس بمأذون لاحد ان يعالج ذلك المرض الذي هيأ له
ذلك الدواء بغير ذلك الدواء الذي عالجه به هو . وليس يقول هذا الطبيب
لمن بعده من الاطباء : انه ان عرض لجسد ابن الملك مرض آخر بعد
هذا المرض فليس لكم سلطان ان تعالجوه والا فقد اسلم ابن الملك للتهلكة
وصار غاشاً للملك عدواً له

كذلك كل مجمع من هذه المجامع المقدسة انما هيأ دواء الاراسيس
التي ثارت في زمانه واعلم الناس ان دواءه بالغ ملائم لمرض تلك الاراسيس
وانه ليس لاحد سلطان ان يعالج تلك الاراسيس ويقاتلها بخلاف ما قد
عالجها هو به وقاتلها . ولم يأمر اطباء الروح الذين بعده ان ثارت اراسيس

في زمانهم الا يهيئوا لها دواء يدفعونها به والا كان غاشاً للمسيح وعدوًّا له . وحاشا لمجمع يجمعه روح القدس ان يكون كذلك . وبئسما فهمتم يا معشر الاراتقة قول الآباء . ولقد سخر بكم الشيطان عدوّ ذرّيّة آدم فزيّن لكم ان تجدّفوا على روح القدس بمذمتكم قضايا المجمع التي هي قضايا روح القدس كما قد اخبرتكم ان السليحيين انفسهم قالوا حيث اخرجوا القضية على الهراسيس التي ثارت في زمانهم انه رأى روح القدس ورأينا . واعلموا الناس كلهم ان رايهم راي روح القدس . فمن جدّف على قضية احد المجامع فانه انما يجدف على روح القدس

ولعلك تقول ياهرطيق ان هذا المجمع الذي طرحك قد نقض على المجمع الذي كان قبله اذا ذهب الانسان ان يفتش معاني كلامه . فلذلك زعمت انه ليس من روح القدس لان روح القدس لا ينقض على نفسه . فنقول لك يا هرطيق انك غليظ العقل وليس يضيء لك روح القدس لاعوجاج نيتك . لذلك تظن ان هذا المجمع الذي طردك من الكنيسة قد نقض على الذي قبله . ولكن ليس لك ان تشرك نظرك مع نظر المجمع ان كنت تعقل ما قد امرك روح القدس في الناموس على يد موسى راس الانبياء . بل عليك ان تقبل قضية المجمع عزيمة والا لحقك الموت الروحاني . وروح القدس لم يخذل مجمع الرسل ان يخرج منه الخطا في احد الوجوه اذ قد اسند النظر فيما يختلف فيه من امر الدين اليه كما قد اوضحنا لك مراراً . والا كان روح القدس الذي فرض على الناس ان يطيعوه هو الذي يقود الناس الى الضلالة التي تخرج لهم منهُ وحاشا

لروح القدس ان يفعل ذلك . فان اجزت لنفسك يا هرطيق ان تنظر في قضية المجمع الذي طرحك وتفتش قوله وتقول انه قد خالف المجمع الذي كان قبله فسوّغ لآريوس ان ينظر في قضية مجمع نيقية الذي طرحه ويقول ان قولهم خلاف لما في انجيل السليحيين . واجز لمقذانيوس ان ينظر في قضية المجمع الثاني الذي طرحه ويقول ان قولهم خلاف قضية المجمع الاول . ولكن اظنك لست تفعل هذا اذ تشرك نظرك مع قضية المجمع الذي طرحك . فمن حيث قلتم الكلام يامعشر الهراتيقيين عامة فليس بمأذون لكم من روح القدس ولا لغيركم ان تتجنوا بالعلل على هذه المجامع المقدسة او تخالفوا قضيتها باحد الاسباب . والا فباطلاً امر روح القدس على يدي موسى راس الانبياء ان يُقتل كل من لا يقبل قضية المجمع فقد كان لعمري الفسحة لكل واحد من الناس اذا خرجت عليه قضية من المجمع ان يتجنى على ذلك المجمع . ولا يستطيع ان يرفض قضيته بسبب ذلك التجني ويسلم من الموت . ولكن لم يخلِّ روح القدس احداً زاهداً بل ألزم الموت عزيمة كل من خالف قضية المجمع كائناً من كان . ولم يجعل في ذلك استثناء ولم يمكن لاحد منه فرجة يحيد اليها من الموت في التجني على المجمع او غير ذلك من الاسباب . كذلك يلزمكم يا كافة الهراطقة عامة فاعلموا ذلك . وكل من خالف هذه المجامع المقدسة فان المسيح يميته الموت الروحاني ويعطل قلوبكم من سكانة روح القدس فانظروا من الذي يسكنكم

واعلموا كلكم ايها المخالفون لروح القدس ان من كان منكم لا يدّعي علماً فقد وضح له طريق الرشد ولا عذر له في ترك المجامع

المقدسة التي افضى عقله الى المعرفة بانه يجب عليه اتباعها لا محالة . وليس شيء يحبس احدكم عن ان يغرب عن ملكوت الله ويخرج مأسوراً عن عرس المسيح ان لم يتبع هذه الجامع المقدسة . واما من يدَّعي منكم العلم فانه انما يشبه احبار اليهود والفريسيين الذين صرفوا مسامعهم عن تعليم روح القدس وغرفوا لهم من خثرة عكر عقولهم فاسكرهم سكراً اختلجهم عن قبول المسيح الذي اليه كان الناموس يسوقهم وزيَّنوا لهم الافتراء عليه . كذلك انتم غررتم هؤلاء المساكين فصرفتم قلوبهم عن طاعة روح القدس الذي ينطق على افواه المجامع المقدسة . وغرفتم لهم من فضاضة عقولكم وظلمة اذهانكم وما تلتمسونه بعمى قلوبكم وحملتموهم ان يجدّفوا على روح القدس قاتلكم الله كيف هلكتم واهلكتم . اوهقتم من اتبعكم الى قعر الجحيم واوهق الشيطان كلكم واستصحبكم الى نار جهنم المعدَّة له ولملائكته . وصرتم له في هلاكه انساً وعزاء

فهل يريد الانسان منكم ان يعتزل ناحية ويقوم المجمع ناحية اخرى فينادي احدكم الناس ويقول : الا ايها الناس عامة اتَّهموا هذا المجمع وصدقوني فاني اعلم وانصح لكم من هذا المجمع . فكيف استحققت ويحك ان تكون قد فزت بالحكمة الروحانية بل بالعمى الشيطاني دون الناس كلهم وصرتَ انظر الناس للناس بل اغشَّهم لنفسك ولهم . وقد كان ينبغي لروح القدس لو كنت كما قد تظن بنفسك بجهلك ان يدلَّ الناس عليك قديماً حتى يعرفوا موضعك ويصفك لهم في كتبه المقدسة كما قد وصف هذا المجمع الذي ذكرنا ويجعل لك في الكتب المقدسة علامات

يومىء اليك بها كما قد اومأ الى هذا المجمع المقدس ويجهد الناس على اتباعك كما اجهدهم على اتباع المجمع ولكن ليس من ذلك اعجب ايها الاعمى الذي لست تدري ما تقول وماذا تحقق كما قال ماربولس على مثلك . وقد استحكم الجهل فيك واكتنفك التيه من كل ناحية ولا تحس بذلك غلظاً وبلاهة . ولكن العجب من هؤلاء الاشقياء الذين يتركون المجامع المقدسة ان ينقادوا لها كما امرهم روح القدس وقد امكنوك من ارسانهم ان تقودهم كالاعمى الذي قال ربنا في الانجيل : ان اعمى يقود اعمى وكلاهما في الهوتة يسقطان . واكثروا ان يتخذوا لانفسهم معلم الضلالة مثلك وبدغدغة مسامعهم كما قال ماربولس (٢ تيم ٤ : ٣) فاما نحن معشر الارثوذكسية وابناء الكنيسة المقدسة فاننا نمجد ونشكر المسيح الهنا الذي اعطانا الحزم وطاعة المجامع المقدسة التي نطق على لسانها روح القدس فصرنا الى محلته وآوينا الى صير غنمه وسلمنا بحفظه من الشيطان الذئب الخاطف الذي يرصد انفسنا ان يعترض من احدنا شرود الكنيسة فيأخذه فريسة له وصيداً . فنسأل ربنا والهنا يسوع المسيح ان يثبتنا على صخرة كنيسته المقدسة ابداً ويسقينا من كاس تعليمها حتى نسكر بحبه سكراً يملأ عقولنا ويبسط قلوبنا لطاعته وحفظ وصاياه التي بها نحيا ونرث ملكوت السموات المعدة لكل من كان مبنياً على اساس مار بطرس الذي من روح القدس . فيا روح القدس الهمنا معرفة المسيح الابن الازلي الاله ابن الاله الذي تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء في شان خلاصنا له المجد والجلال والعز والكرامة مع الاب والروح القدس الآن ودائماً والى دهر الداهرين امين

﴿ تنبيه ﴾

لم يكن هنا محل هذا الميمر في الاصل . وانما ابقيناه الى الاخير لعلنا نقف على نسخة ثانية نستعين بها على اصلاح واتمام ما نقص من نسختنا وقد بحثنا على ذلك في ما وصلت اليه يدنا من قوائم مخطوطات مكاتب اوربا ومكاتب بلادنا الشرقية فلم نجد ضالتنا . ولذلك عولنا على نشره على علاته خوفاً من ان تذهب الايام بما بقي منه . ولئلا يكون مكان الكلمات التى اكلها العث من النسخة الاصلية فارغاً وينقطع سياق الكلام مراراً وضعنا مكان ذلك كلاماً نظنه اقرب الى كلام المؤلف وقد جعلناه بين هاتين العلامتين « » ليعلم القاري انه منا لا من المؤلف حتى اذا وجدت نسخة تامة يوضع كل شيء في موضعه والله الموفق للصواب

ميمر

في الرد على من ينكر لله التجسد والحلول فيما احب ان يحلّ فيه « من خلقه » وانه في حلوله في الجسد المأخوذ من مريم « المطهرة بمنزلة جلوسه على العرش في السماء » . وضعه كير ثاودورس اسقف حرّان.

« لعلك تقول » يا هذا قد اتيت ان لا سبيل الى « غفران خطايا الناس الا » بالاوجاع التي حلت بهذا « الابن و » تعرض لها حتى تجشمها عنا « وفاء عن العقوبة » المستوجبها كل واحد منا « عن ذنوبه » ولكن بقي عليك ان تخبرنا « كيف هذا » الابن الذي هو اله وعدل « الاله احب ان » يحويه جسيد حتى يوصل اليه « الاوجاع التي لا تستطيع » سبيلاً الى اللحوق به . فنحن « نقول ان الله » غير محوى ولا محدود ولا نهاية « له لكنه شاء » تبارك ان يظهر لخلقه من حيث « انه احب ان يظهر لهم افعاله » له

وكلامه من الموضع الذي يصلح لهم . وهذا منه نعمة عليهم ومنفعة لهم لانه لو لم يفعل ذلك بهم لسهت عقولهم « في طلب محلة قراره » ابتغاء له ولما كان لهم هدو ولا قرار عن « معرفته » وكانوا مداونين في ذلك فيه باطلاً ولا يؤديهم « مع هذا » اضطرابهم الى ادراكه الذي لا راحة لهم « الا به . من » اجل ذلك جعل له عرشاً يجلس عليه « في السماء » منذ اول ما خلقهم ليس لحاجته » الى عرش يتعلى عليه ولكن لحاجتهم « الى معرفة » محلة قراره ليكونوا يسجدون « له فيه » وليوعز اليهم باموره منه كما قال « ميخا النبي : رايت » الرب اله اسرائيل جالساً « على كرسيه وجميع » اجناد الملائكة مصطفين « عن يمينه وعن » شماله فقال الرب من « يغوي احاب حتى يصعد ويسقط في راموت جلعاد » فقال هذا كذا وذاك كذا فخرج الروح وقام بين يدي الرب وقال انا اخدعه « فقال له » الرب باي شيء فقال بكذا وكذا. فقال الرب اخرج واصنع هكذا فانك تقتدر وتفعل (٣ ملوك ٢٢:١٦-٢٢) الا ترى ان للرب كرسياً « يبدو » لملائكته ويوعز اليهم باموره منه كما قلنا وقال « اشعيا » النبي اني رأيت الرب جالساً على كرسي عالٍ رفيع واذياله تملأ الهيكل ومن فوقه السرافون قائمون لكل واحد » منهم ستة اجنحة بجناحين منها « يغطون وجوههم وبجناحين منها يغطون ارجلهم » وبجناحين منها يطيرون » ويصرخ كل واحد منهم الى « صاحبه قدوس قدوس » الرب الصابوت السماء والارض كلها مملوءة من مجده (اش ٦: ١-٣) الا ترى ان تسبيح الملائكة « لله » يكون تجاه الكرسي الذي يجلس عليه « الرب الاله » .

« ودانيال النبي » قال اني رأيت الكراسي « نصبت فجلس عتيق الايام
وكان لباسه ابيض كالثلج وشعر راسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار
وعجلاته ناراً مضطرمة . ومن امامه يجري ويخرج نهر من نار . و »
جلس الف الف يقومون بين يديه وربوات ربوات يحوطون به (دا ٧ : ٩)

وقال الثلاثة الفتية وهم في اتون النار ببابل لله مبارك انت الذي
ترى اللجج وانت جالس على الكروبيم . مبارك انت على كرسي جلال
ملكك (دا ٣ : ٥٤)

وقال داود النبي : الرب في السماء كرسيه (١٠٢ : ١٩) فقد اتفق
على جلوسه الكرسي كل الانبياء ولست « اظن ان احداً من اهل »
الايمان يخالفهم في ذلك

ولا احد « منهم » يقدر ان يقول ان الله لجلوسه « على الكرسي لا
يكون في كل موضع من السماء » بل نعلم كلنا ان « الله في كل المواضع »
ونعلم انه « مالىء السماء » كلها غير انه لا يبدو لملائكته « في السماء » الا
من العرش والى ما هنالك يرفعون التمجيد « لله » لحلول الله فيه وهم لا
يجهلون . كذلك نحن نعرف ان الابن الازلي هو في كل موضع ولا نهاية
له ولا يحويه شيء ولا يحتاج الى الحلول « في موضع من » المواضع غير
انه تبارك برحمته لحاجتنا نحن « البشر الى مخلص حل في » الجسد الذي
اخذه من مريم العذراء المطهرة « وعرضه الى » الآلام والاوجاع التي
كانت اذا « حلت به » فدانا بذلك من لعنة الناموس « ولاجل ذلك » حل
فيه برحمته وصار لنا هذا « الجسد » بمنزلة العرش في السماء « لان »

الجسد بفعل اللاهوت « الذي كان متحداً به اخلص وارفع اتحاداً
تعرض » للمصائب حتى حلت به فداء عن الناس

فما بال المخالفين لنا ينكرون « لله الحلول » في الجسد المأخوذ من « مريم
العذراء المطهرة وهم يقولون » ان الله جلس على العرش « في السماء » ؛
وقد كان يحق عليهم اما ان لا يعيبوا مثل الذين يقولون . واما ان لا
يقولوا مثل الذين يعيبون

ولكن لعلك تقول ان العرش واسع والجسد المأخوذ من مريم ضيق
فلذلك لا ينكر لله ان يحل في العرش وقد ينكر له ان يحل في الجسد .
فنقول لك يا حبيباه : ان العرش والسماوات والارض ولو كان مثلها بما لا
يحصيه عدد ضيقة لله ان تسعه جل وتبارك . وليس ما ضاق عن ذلك او
اتسع الا واحداً عنده . وليس حلوله في هذا الجسد الا كحلوله في العرش

وان قلت ان العرش طاهر والجسد الانسي لا يعدله في هذا الحد
قلنا لك ان العرش في الخلقة ليس باطهر من الناسوت بل تقول انت
ونقول نحن ان الله لم يخلق خلقاً اكرم عليه من الانسان . ولم يكن الله
يتقزز من الحلول في اكرم خلقه عليه . بل هذا الخلق الانسي اولى به ان
يحل به الله من كل الخلق لما تقدم مع ان النجس الذي يتقزز الله منه انما
هو الخطيئة فقط . وهذا الجسد المأخوذ من مريم ما دبت فيه للخطيئة
حركة قط كما قال بولس الرسول انه اشبهنا في كل شيء ما خلا الخطيئة
(عب ٤ : ١٥) وقال اشعيا النبي فيه عن الاب ان فساق امتي يؤدونه الى
الموت وانا معطي الجبشاء بدل دفنه والاغنياء بدل موته . لانه لم يصنع

خطيئة ولم يلفَ الغش في فيه (اش ٥٣ : ٩) وقال ايضاً فيه انه يتعبد
للكثيرين وخطاياهم يحتمل من اجل ذلك يرث كثيراً . وللاعزاء يقسم
الاسلاب . لان نفسه اسلمت للموت . وحسب مع الفساق وهو يستأصل
خطايا كثيرين وفي شان معاصيهم يسلم (اش ٥٣ : ١٢) هذا كله قاله
اشعيا . وقال ايضاً انها تخرج عصاً من اصل يسى وزهرة من جزره يطلع
فتطمئن عليه روح الله روح الحكمة والفهم روح المعرفة والقوة روح
الحلم والورع (اش ١١ : ١) وقال ايضاً انه يقضي للمساكين بالعدل ويحكم
على الاشراف بالاستقامة (اش ١١ : ٤) وقال ان الرب يشد خصره
بالعدل والحق يحوط جوانبه (اش ١١ : ٥) وقال الله في الاحد عشر نبياً
فيه اني باعث اليكم شمس بر وطبكم على جوانحه (ملا ٤ : ٢) يعني صليبه
فجسد المسيح هو شمس البر كما تنبأت عليه الانبياء . وكذلك كان اللاهوت
كجسد الشمس للنور . كما ان الله خلق النور في اليوم الاول ثم خلق
جسد الشمس في اليوم الرابع واحل فيه ذلك النور الذي كان قد خلقه في
اليوم الاول كذلك صار هذا الجسد المأخوذ من مريم محلة اللاهوت
منه يشرق نورها وتبدو افعاله وكلامه للملائكة وللخلق كلهم . وهذا
الجسد لم يُؤخذ من مريم العذراء حتى طهّرها روح القدس من اوساخ
الخطيئة كلها واخذه منها الابن الازلي نقياً طاهراً مهذباً متهيئاً لحلول
اللاهوت فيه . وبعد حلول اللاهوت فيه صار عيناً تفيض منه كل
مفاخر اللاهوت من البر والحكمة والقوة غير ان الابن الازلي حصر
جلال لاهوته فلم يظهره في جسده اذ كان يتقلب بين الناس وترك الافعال

الانسية تظهر فيه من الاكل والشرب والنوم وغير ذلك لكيلا ينكره
الشيطان ويجتري عليه حتى تحل به على يد اهل طاعته تلك الاوجاع التي
كان حلولها به خلاصاً من خطيئتنا وابطالاً لحجة الشيطان التي كانت على
ادم بدخوله في طاعته غير مكره

فلما قضى تدبيره من ذلك واسلم ناسوته في شأننا اقامه لليوم الثالث
وافاض منه جلاله كله . وطلع فيه بالمجد الى السماء حيث رتب به على
العرش الذي كان عليه من قبل غير متجسد . ومن هناك يتوقع مجيؤه ان
يجي في ذلك الجسد على السحاب باجناد ملائكته ليدين الاحياء والاموات
ويكافي كل واحد بما عمل (اع ١ : ١١)

والعجب ممن ينكر حلول الله في هذا الجسد الانسي الذي هو كما
قلنا حقاً اكرم خلائقه ولا ينكر حلوله في العوسج الذي كلم منه موسى
(خر ٣ : ٢٢) وحلوله في عامود السحاب الذي كان يهبط فيه على سرادق
موسى ويكلمه منه ويسجد بنو اسرائيل نحو ذلك العامود كل واحد منهم
من ناحية خيمته حيث كانت (خر ٣٣ : ٩) فكيف ينكرون لنا ان نسجد
لله في هذا الجسد الانسي كما سجد له بنو اسرائيل في عامود السحابة ؟
فلعمري ان الجسد الانسي لاكرم خلقاً من السحابة كما السماء اكرم خلقاً
من الارض . وحيث جعل موسى بامر الله صفيحة الذهب التي سمّاها
غفراناً قال له الله ان قل لهارون اخيك لا يدخلن هو وبنوه كل ساعة
الى القدس من الستر تجاه الغفران لئلا يموت لاني متجل في السحابة
على الغفران (اح ١٦ : ٢) فاذا كان الله يرى في السحابة على الغفران

كما قال فلا ينكرن احد على النصارى قولهم ان الناس راوا الله في الجسد الانسي

وحيث اقام موسى القبة التي امره الله باقامتها ودهنها بدهن القدس وقدَّسها به كان موسى يدخلها ليكلم الله فيها وكان يسمع صوت الله يكلمه من فوق الغفران الذي كان فوق تابوت العهد في وسط الكاروبيم (عد ٧ : ١ ـ ٨٩) فكما ان الله كان في تلك القبة الواسعة بل كان في كل موضع واحب الا يكلم موسى الا من هذا الغفران الذي كان بين الكاروبيم كذلك الابن الازلي الاله ابن الاله كان في السماء وفي الارض وفي كل موضع واحب ان يكلم الناس من هذا الجسد الانسي الذي اخذه من مريم المطهَّرة . ولا نريد ان نتبع الكتب المقدسة فنخرج منها كثيراً مما يضاهي ما تقول من حلول الابن الازلي في الجسد وانه كلم الناس منه وهو فيه وابدا لهم افعاله وقوته الالهية وحكمته وبرّه فان بما اتيناه كفاية لمن يعقل ويلتمس الحق بالنية المستقيمة . فللابن الذي ولي خلاصنا بتجسده من مريم العذراء المطهَّرة الحمد والمجد والبركات مع الاب وروح القدس الى دهر الداهرين

خاتمة الكتاب

لمصححه

بلغنا والحمد لله الى هذا الحد من تصحيح هذا الكتاب الجليل . وقد تكلفنا في هذا السبيل من المشقة والعناية ما يعلمه الله والذين مارسوا قرآءة المخطوطات القديمة وليس عندنا للكتاب نسخة اخرى تقابلها على نسختنا المخلصية لنستعين بها على تصحيحها سوى الشيء اليسير الذي ذكرناه في اول الكتاب . الا ان حضرة الاب لويس شيخو اوقفني على كتاب مخطوط اشتراه جديداً من احد اصحاب المكاتب في بيروت وهو مجموع مواعظ لايام الصوم فيه « عظة ليوم الاربعاء من السبة الاولى من الصوم الكبير لابينا البار ثاودورس اسقف حران يبين ان كيف يجب ان نمقت الرزائل وكيف ينبغي ان يكون مسيرنا في هذه الدنيا وغير ذلك » وهي تختلف بلغتها وتفرُّق مواضيعها عن تاليف ابي قرة في هذا المجموع وهذه العظة نفسها موجودة في مخطوط قديم في مكتبة القديس يعقوب للروم في القدس الشريف كتبت في طورسينا سنة ٦٩٥٩ لادم (١٤٥١) للمسيح على نسخة قديمة وقوبلت عليها ولا تخرج عن ان تكون مترجمة عن اليونانية نظير باقي العظات التي يتضمنها الكتاب المذكور

وقد نشرت مجلة المشرق (١) والكتاب تحت الطبع نبذة لحضرة

(١) المشرق السنة السادسة في الجزء الثاني والعشرين

الاب لويس معلوف اليسوعي عنوانها « اقدم المخطوطات العربية » ذكر فيها اكتشافه على مخطوط قديم كتب في سبق القديس خاريطون من اعمال القدس الشريف سنة ٨٧٧ للمسيح وجده في دار العاديات البريطاني بين المخطوطات الشرقية في مدينة لندن . والكتاب مبتور من اوله ذهب منه اسم التاليف الاول الذي فيه واسم مؤلفه ويلي هذا تاليف ثاني في اكرام الصور نسب الى ابي قرة. ولذلك ظن حضرة الاب المذكور ان التاليف الاول له ايضاً لما ظهر له من مشابهة الخط بين التاليفين في هذا المحطوط والمشابهة اللغوية بين هذين التاليفين والميمر الذي نشرته في المشرق . وقد كان في عزمي ان اضم هذه النبذة الى مجموعي هذا ليكون الكتاب اكمل واتم ولذلك حالما عرفت بها استاذنت حضرته بذلك قبل ان تصدر في المشرق

الا انها لما صدرت في المشرق وطالعتها اولاً وثانياً وجدتها غامضة المعنى في مواضع كثيرة وناقصة لم ينشر الا بعض فصول منها وهو القسم الذي نسخه الاب المذكور وهي على ما ظهر لي لا تشاكل تاليف ابي قرة في هذا المجموع اذ ليس فيها شيء من براعة اساليبه وقوة حجته وحدة قلمه وشدته في جداله مع اخصامه ولا سيما في اختلاف الايات التي يستشهد بها نفسها ابو قرة في مجموعي وصاحب النبذة المذكورة. وقد ذكر كل منهما ست ايات من الكتاب المقدس لم يتفقا فيها نثبت الاولى منها هنا ليعلم الفرق بين الاثنين وهي استشهاد صاحب النبذة بقوله تعالى « لنخلق انساناً على صورتنا وشبهنا » . فقد وردت في مجموعي

هكذا « اخلقوا بنا انساناً على صورتنا وتمثالنا » وفي هذا كفاية وغنى عن ذكر غيرها . وفي قوله (صفحة ١٠٢٣) « ان القبور في ارض المغرب مغاور وبيوت من حجارة يلقى في البيت الواحد والمغارة الواحدة بشر كثير » دليل على ان صاحب النبذة من المشارقة او النساطرة ويؤيد هذا راي من ذهب انه وجد في عصر واحد اثنان دعيا بابي قرة احدهما ملكي او خلكيدوني وهو صاحب هذا المجموع والثاني نسطوري كما يظهر ذلك من الحاشية التي علقها على النبذة المذكورة حضرة الاب لويس شيخو وهي لا تخلو من الفائدة في سبيل تعريف المؤلف ولذلك نثبتها هنا وهي « ثم وجدنا له (اي لابي قرة) ذكراً في بعض التآليف القديمة فنرويها هنا ليرى القراء تضارب الاقوال في حق هذا الرجل الشهير . ١ً جاء في كتاب الاشراق في الاصول الدينية لدانيال السرياني المارديني « ان الروم قالوا بمشيئة واحدة وفعل واحد الى زمان مكسيموس الراهب وتاودريقي الحراني ويوحنا الدمشقي » فدعا ابا قرة تاودريقي (ونظنه تصحيف تاودريتي) ونسبه الى حران وجعله بين المناقضين لبدعة المشيئة الواحدة مع القديسين الجليلين مكسيموس ويوحنا الدمشقي . ٢ً وجاء في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (١ : ٨٤٩) نقلاً عن كتاب مخطوط قديماً باليونانية ان ثاودورس هذا كان اسقفاً على مدينة حران في سورية المجوفة . ٣ً وروي في كتاب مصباح الظلمة لابي بركات القبطي ان ابا قرة من كتبة النساطرة ٤ً. وفي قائمة مخطوطات لندن السريانية لرَيت في الجزء الثاني (ص ٩٠) « قصة مار شمعون من زيتا اسقف حران ونصيبين المعروف عند العرب بابي قرة »

ويقال هناك انه كان في بغداد سنة ١١٣٥ للاسكندر (سنه ٨٢٤ للمسيح) . ٥ً وبين مخطوطات مكتبة باريس جدال جرى في حضرة المأمون بين عبد يشوع جاثليق النساطرة وبين ابي قرة الملكي وابي رائطة اليعقوبي . فيؤخذ من هذه الشهادات انه وجد كاتبان في زمن واحد عُرفا بابي قرة . احدهما نسطوري اسمه شمعون من زيتا كان اسقفاً على حران (المجاورة للرها) ونصيبين . ولهذا تأليف جدليّ تناقلته الايدي منه نسخ عديدة في مكاتب اوربّة وخزائن الخاصّة في الشرق . والاخر ملكي اسمه ثاودوروس ناصب البدعة المنوثيليثية وهو صاحب الكتب اللاهوتية العديدة التي طُبع منها قسم في مجموع الآباء اليونان ووجد منها قسماً الابوان الفاضلان الخوري قسطنطين باشا المخلصي ولويس معلوف اليسوعي . وكان هذا اسقفاً على حرّان . ولكن حران هذه غير حران ما بين النهرين . ولكن يصعب تعيين موقعها . ويوجد عدة امكنة في الشام بهذا الاسم منها حران العواميد في اللجأ . وحران في غوطة الشام وحران في ايالة حلب (راجع معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٣٢) . ولعلها قارة التي سبق لنا ذكرها فصحفت بحرّان . اما دخول ثوادورس ابي قرة بغداد فحتمل لان الملكيين كان لهم فيها مطران من ملتهم »

ولم ابدل ولم اغير شيئاً من النسخة التي بين يديّ بل تتبعتها بكل تدقيق بعد اعمال النظر والفكر طويلاً فيما استوقف الذهن في بعض المواضع منها عن فهمها لتشويش او خلل وقع في بعض عباراتها حتى صارت هذه العبارات ساقطة او نافرة ومخالفة لسائر عبارة الكتاب في

وضوح معانيها وحسن بيانها وبعيدة عما عرف به المؤلف من قوة العارضة على التصرف باساليب اللغة العربية والتراكيب الفصيحة فيها ورسوخ قدمه في العلوم الفلسفية والفنون اللسانية في غير لغتنا وتحمل كل ذي لب على ان ينسب هذا الخلل الى النساخ لا الى المؤلف. على انه والحمد لله لم يتناقلوا هذا الكتاب كثيراً ولم يتلاعبوا فيه الا قليلاً لان النسخة التي نقل عنها نسخته الطيب الذكر المطران باسيليوس وقابلها عليها (كما يظهر مما علقه على هامشها) كانت بتاريخ سنة ١٠٥١ وبفضل عنايته ابقى لنا هذه النسخة الفريدة وهي مطابقة كل المطابقة الى القسم الذي وجدته في المخطوط القديم الذي ذكرته في اول الكتاب (من صفحة ٤٩ الى ٦١) وللقسم الذي كتبه قبله معلمه الطيب الاثر المطران افتيميوس الصيفي (من صفحة ١٥٥ الى صفحة ١٧٠)

وجل اصلاحي فيها كان بتقديم ماكان مؤخراً وتأخير ماكان مقدماً واظهار ما كان محذوفاً او مقدراً ولم ازد على الاصل شيئاً من ذات نفسي الا كلمة « منوثيليتين » وضعتها بين هلالين لدلالة على انها مني لا من المؤلف وقد ابدلتها من لفظة مرادفة لا تسمح لنا المحبة بابقائها على اصلها. ولم احذف من الاصل شيئاً الا نحو نصف صفحة من الرسالة اذ تعذر عليّ وعلى الناسخ معرفة موضعه الحقيقي وقد نسب ذلك الى غلط المجلد اي الذي جلد النسخة التي نقل المطران باسيليوس نسخته عنها والفضل كل الفضل لهذا المطران بابقائه لنا هذه النسخة الوحيدة من هذا التاليف الجليل الفريد تغمده الله برحمته ورضوانه

﴿ تآليف ابي قرة اليونانية ﴾

ولاجل اتمام الفائدة نثبت هنا فهرس تاليف ابي قرة اليونانية مترجمة عن مجموعة تاليف الاباء اليونان التي طبعها مين من نسخة في مكتبة مدرسة دير المخلص

١ لثاودورس ابي قرة الذي صار اسقفاً على حران . في ان لنا خمسة اعداء خلصنا منهم المخلص . وهو محاورة بين مسيحي وغير مؤمن

٢ له في شرح الكلمات التي يستعملها الفلاسفة . ودحض ارتقة الاكفاليين (الذين لا راس لهم) والسفاريين المفسدة للنفس

٣ . محاورة له مع رجل حمصي اقترح عليه برهاناً عقلياً على اثبات وجود الله

٤ . رسالة تتضمن ايضاح الايمان المستقيم البري من العيب مرسلة من البابا المغبوط توما بطريرك اورشليم الى الاراتقة الذين في ارمينية املاها بالعربية ثاودورس الملقب بابي قرة الصائر اسقفاً على حران ومترجمة من الكاهن مخائيل قيم الكرسي الاورشليمي الذي معه ارسلت محتوية على الايمان الوحيد والحقيقي حسب تحديد المجمع الخلكيدوني والكلام المحدد عما يخص الايمان بالمسيح الهنا .

٥ . له . لماذا تقول ان ناسوت المسيح هو ناسوت بطرس وبولس ولا تقول ان جسده المسيح الذي نتناوله هو جسد بطرس وبولس وباقي الناس ويليه الجواب عليه .

٦ في بيان اتصال دنس خطيئة ادم الى كل الجنس البشري بمثل فلاح اخذ غصن الكرمة وجعله اياماً في الزيت ثم زرعه فان عناقيد العنب تحفظ طعم الزيت . وفي بيان اتصال نعمة التطهير الينا من تجسد المسيح بمثل من ياخذ بذر البطيخ ويجعله اياماً في العسل ثم يزرعه فان البطيخ الناتج منه يحفظ طعم العسل

٧ لثاودورس اسقف حران نفسه في محاربة المسيح مع الشيطان وماذا افاد البشر انتصار المسيح على الشيطان

٨ لابي قرة نفسه جواب على سؤال اعرابي قال له هل المسيح الهك وهل لك اله آخر فاذاً الاب والروح القدس زائدان وذلك في مثل نظير المثل الذي ذكر صفحة ٤٢ في جوابه على من يقول للنصراني اتكفر بكل اله غير الاب

٩ لابي قرة نفسه جوابه لهاجري قال له هل صلب اليهود المسيح باختياره ام مكرهاً

١٠ محاورة له مع يهودي يبرهن له فيها ان في التوراة اشياء كثيرة منها ما يقال على المسيح ومنها ما يقال على من كانوا صورة له من القديسين

١١ محاورة لثاودورس ابي قرة مع نسطوري قال له ابو قرة : ابن العذراء ام ابن الله قال كل سلطان اعطي لي في السماء وعلى الارض . وهو نظير قوله في صفحة ٥٤ في تفسيره هذه الاية

١٢ محاورة مع نسطوري قال له ابو قرة : من مات عنا انسان ام اله ويرد عليه بما رد في صفحة ٥٣ على النسطوري اذا قال ان هذا الانسان مات عنا باختياره وحريته .

١٣ محاورة له في ان الكلمة ابن الله ولد من امراة حقيقة لا خيالاً وجاع وتألم ومات لاجل التدبير لا طبيعياً وكلامه فيها نظير كلامه في صفحة ٢٢١ في بيان كيف صار الكلمة انساناً وصفحة ١٣١ في بيان كيف يقال للكلمة انه عمل الآسيات

١٤ محاورة لطيفة مع نسطوري قال له لماذا تدعون مريم العذراء ام الله لا ام المسيح وارني في الكتاب المقدس لفظة ام الله. اجابه ابو قرة بل انت ارني فيه لفظة ام المسيح فذكر له فصل متى « اما مولد يسوع المسيح فهكذا كان الخ » واستنتج ان التي ولدت يسوع المسيح يجب ان تدعى ام المسيح. فقال له ابو قرة سالت عن اللفظة واما اذا اردت الحقيقة والمعنى اتيت لك بالف برهان على ان المسيح اله والتي ولدته يجب ان تدعى ام الله

١٥ محاورة له مع نسطوري في شان المسيح وان الله مسحه بما انه انسان لكون الله لا يُمسح فالمسيح اذاً انسان ممسوح واله معاً

١٦ محاورة له مع رجل وثني قال له الا تقول ان الله في كل مكان فكيف يمكن ان يكون في احشاء امه. وجوابه عليه بمثل عقل الانسان الذي يبحث ويطلب الامور الخارجة عنه ويفعل فيها ويفهمها وهو مع ذلك لا يخلو من الانسان

١٧ محاورة له مع غير مؤمن قال له كيف يقول المسيح صريحاً من لم يعتمد بالماء والروح لا يدخل ملكوت السماوات وكيف امكن ان يدخل الصديقون الذين كانوا قبل مجي المسيح ملكوت السماوات. وجوابه له بان المسيح اعتمد عنهم حيث يقول انا اقدس ذاتي عنهم الخ

١٨ محاورة له مع احد السراكسة وهو كلام نقله عن القديس يوحنا الدمشقي في دعوة موسى وانجيل المسيح الخ (ذكر مع تاليف الدمشقي)

١٩ و ٢٠ محاورتان له مع المذكور

٢١ محاورة له معه في تحقيق النصرانية بكرز او دعوة الصغار والحقيرين

٢٢ محاورة له معه في ان الخبز المقدس او القربان الطاهر هو جسد المسيح

٢٣ محاورة له معه في ان المسيح الانسان هو اله حق ايضاً

٢٤ محاورة له في وحدة الزوجات

٢٥ في تحقيق ان لله ابناً معادلاً له في الجوهر وعدم الابتداء والازلية وله مشابهة معما اورده في صفحة ٩٢ وما بعدها

٢٦ محاورة له مع اراتيقي يحقق ان الاب من طبعه يلد دائماً وان الابن يولد دائماً

٢٧ مقالة له في اسماء الله الحسنى او الكمالات الالهية

٢٨ محاورة له مع اراتيقي في معنى الله واللاهوت وانهما يدلان على اثنين لا على شيء واحد

٢٩ محاورة له مع نسطوري في الطبيعة التي اتخذها المسيح اذ ولد متجسداً

٣٠ محاورة له مع يعقوبي في ان المسيح اله وانسان معاً وانه بحسب طبيعته البشرية التي اتخذها من مريم العذراء انسان وانه بحسب طبيعة الكلمة هو اله ايضاً

٣١ محاورة له برد على من قال له من اصحاب اوريجانوس بالي عدل

فهرس

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	٦	ڢي	في
٣	١٣	فيِ	في
٤	٢	سره	قرة
٤	١٦	العربيةة	بالعربية
١٢	٣	منهم على تلك	منهم نفسه على تلك
١٧	١٩	تتعبه	نعبعه
١٨	٦	لجه	لجأ
١٨	١٥	اسمخ	اسمج
١٨	١٨	يلغى	يلفى
١٨	١٩	ترى	نرى
٢٣	٣	تام	تاماً
٢٤	١٨	ذللك	ذلك
٣١	١٤	تصنعنن	تصنعن
٣٥	١٩	وما وما	وما
٣٩	١٠	الايام	اخر الايام
٤٢	٢٠	يما	يمناً
٤٦	٢	الكتب الهاً تاماً	وسمت الابن والروح القدس الهاً تاماً
٤٦	١٥	التوراة	بالتوراة
٤٧	٨	كان يستشنع	كان كذلك ان يستشنع
٤٨	١٣	نحو في اخر	في نحو أخر
٤٨	١٨	يتهزوا	يتهزون (بالرفع فيه وفي الذي بعده)
٥١	٩	احدنا مات عنا	احدنا ولا ان الابن الازلي مات عنا
٥٣	١١	للحمدة	للمحمدة
٥٣	٢٠	كاونت	وكانت
«	«	ان كانه .	لانه ان كان

صفحة	سطر	خطا	صواب
٦٠	٩	بغى	بغي
٦٤	٨	اذان	اذ
٦٥	١٤	وكان	كان
»	١٩	الازل	الازلي
٦٦	١٤	»	»
٦٧	١٩	»	»
٦٩	١١	»	"
٨٧	١٤	اد	اني
٩١	١٥	الله	لله
٩٦	٣	شاء كل	شا كل
»	١٨	الداني	المداني
١٠٩	١٧	الكتب	الكتاب
١١٠	٥	النعس	النفس
١١١	١٦	الا يقال	ان يقال
١١٥	٢٠	ولا يز ول بوطا	ولا يزول بوطا من الناموس
١١٨	١٠	الالتزاق	والالتزاق
١١٩	١٦	منها	منهما
١٢٠	٥	لكبلا	لكيلا
١٢٢	١٠	صووة	صورة
١٣٠	١٧	لفتسل	يفسل
١٣٣	١٥	الخدمة	لخدمة
١٥٠	٦	اد	ادنى

وقد بقي غير هذه من الاغلاط التي فاتني اصلاحها مثل بينًا وقد تكررت من قوله بينا انت ملتمس و بعض حروف تكسرت عند الطبع ولله الكمال في كل امر